ثورة
الشيخ "سعيد بيران"

٢٣٤
٢٣٥

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

الوعـــــي

العددان ٢٣٤ و٢٣٥ ـ السنة العشرون ـ رجب وشعبان ١٤٢٧هـ ـ آب وأيلول ٢٠٠٦م

بزوغ نور من المسجد الأقصى: انطلاقة مسيرة حزب التحرير

أثر غياب الحزب السياسي على سقوط الخلافة وإقامتها

كلمة «أمير حزب التحرير» بمناسبة الذكرى الأليمة الخامسة والثمانين للقضاء على الخلافة

سقطت الخلافة فسقطت فلسطين وأخواتها، وستعود بعودتها

ما فقدته الأمة بعد هدم الخلافة

- المانع من النصرة في طريقه إلى الزوال
- أبا ياسين أعلنها وكبِّر (قصيدة)
- هكذا كانوا... يوم كنا
- أعداد المسلمين في دول العالم

AL-WAIE

الوعي

السنة العشرون ٢٣٤- ٢٣٥

جامعية – فكرية – ثقافية

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

ثمن النسخة

لبنان	:	١٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	:	١ يورو
أميركا	:	٢,٥٠ دولار أميركي
كندا	:	٢,٥٠ دولار كندي
أستراليا	:	٢,٥٠ دولار أسترالي
بريطانيا	:	١ جنيه إسترليني
السويد	:	١٥ كورون سويدي
الدانمرك	:	١٥ كورون دانمركي
بلجيكا	:	١ يورو
سويسرا	:	٢ فرنك سويسري
النمسا	:	١ يورو
باكستان	:	دولار أميركي
تركيا	:	دولار أميركي
اليمن	:	٤٠ ريالاً

إلى السادة الكتّاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها وتحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.
- جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في ألمانيا.

إقرأ في هذا العدد
(٢٣٤ - ٢٣٥)

- كلمة «الوعي»: كلمة «أمير حزب التحرير» بمناسبة الذكرى الأليمة الخامسة والثمانين للقضاء على الخلافة ٣
- بزوغ نور من المسجد الأقصى: انطلاقة مسيرة حزب التحرير ٩
- أبا ياسين أعلنها وكبِّر (قصيدة) ٣٩
- أثر غياب الحزب السياسي على سقوط الخلافة وإقامتها ٤٠
- ما فقدته الأمة بعد هدم الخلافة ٤٤
- سقطت الخلافة فسقطت فلسطين وأخواتها وستعود بعودتها ٥٠
- مع القرآن الكريم: الآثار السياسية للحكم بغير ما أنزل الله ٥٦
- رياض الجنة: قُبِلَ المَهرُ وزُفَّتِ العروس ٦١
- أخبار المسلمين في العالم ٦٣
- ثورة الشيخ "سعيد بيران" ٧١
- منشورات الشريف حسين (وثيقة) ٨٤
- مواقف مشرفة ٨٥
- ثوروا عليهم (قصيدة) ٩٦
- هكذا كانوا... يوم كنا!! ٩٨
- هكذا كنا... فمتى نعود؟ (وثائق) ١٠٢
- ظهور الدولة الإسلامية كدولة أولى في العالم بدون منازع ١٠٨
- أعداد المسلمين في دول العالم ١١٧
- المانع من النصرة في طريقه إلى الزوال ١٢٢
- إعرف عدوك ١٢٧
- فتى التحرير ١٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

بثت إذاعة المكتب الإعلامي لحزب التحرير كلمة أمير الحزب، حفظه الله، بمناسبة الذكرى الأليمة الخامسة والثمانين للقضاء على الخلافة. وفيما يلي النص الكامل للكلمة:

كلمة الوعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

أمس كانت ذكرى الإسراء والمعراج، فاحتفل المسلمون، وخطب الخطباء، وتحدث المتحدثون، وأظهروا شوقهم إلى الأقصى والصلاةِ فيه، ثم أنشد المنشدون مدائح وأناشيد، وبكى من بكى وحزن من حزن ... لكنَّ هؤلاء المتحدثين وأولئك الخطباءَ والمنشدين لم يذكروا مَنْ حَفِظَ الأقصى وفلسطين، حتى إذا ذهب ذهبت فلسطين والأقصى، لم يذكروا الخلافة حافظةَ الدين والدنيا، لم يذكروا الخليفة الذي يُقاتَل مِنْ ورائه ويُتَّقى به، أليس هذا غريباً عجيباً؟!

نتكلم عن فلسطينَ وعن الأقصى، وعن المعراجِ وأرضِ المسرى، البلدِ الطيب المبارك، ولا نذكر الخلافة التي فتحتْهُ، والخلافةَ التي أنقذتْه، والخلافة التي حفظتْه.. لم يذكر الخطباءُ كيف تُعاد الأرض المباركة، ونفرٌ من أهلها ينادي بالفم الملآن بتقاسمها مع يهود، لم يذكر الخطباء كيف تُحفظ بيضةُ الإسلام، وكيف تُصان الأعراض والحرمات، وكيف يُمنع تمزُّق المسلمين، وكيف يُقضى على نفوذ الكفار المستعمرين في بلاد المسلمين، أليس هذا غريباً عجيباً؟!

يذكر الخطباء ما وسعهم من قولٍ منمق جميل في المسرى والمعراج ولا يذكرون كيف يعيدون بلد المسرى إلى ديار الإسلام؟! ألا تحتاج الخلافةُ التي فتحته وأنقذته وحفظته، ثم عندما ذهبت ذهب، ألا تحتاج كلمةً من هؤلاء وأولئك؟ أليس هذا غريباً عجيباً؟

أيها المسلمون

نحن اليوم في الذكرى الخامسة والثمانين لِتَمَكُّنِ الكفار المستعمرين بالتعاونِ مع خونة المسلمين من العرب والترك، من القضاء على الخلافة في إستانبول، في الثامن والعشرين من رجب سنة ألفٍ وثلاثمائة واثنتين وأربعين للهجرة الموافق للثالث من آذار سنة ألفٍ وتسعمائة وأربعٍ وعشرين للميلاد، والحال هي الحال، تتداعى علينا الأمم كتداعي الأكلة إلى قصعتها، ونحن فوق المليار ولكننا غثاء كغثاء السيل!

بالأمس وجهنا لكم نداءً لِتَغْذُّوا السير معنا لنقيمَ الخلافة من جديد، وَجَّهْنا لكم نداءً يدعوكم إلى عز الدنيا وعز الآخرة. وجهنا لكم نداءً يدعوكم إلى اتباع السبيل القويم والصراط المستقيم. ناديناكم أن تَجِدُّوا معنا وتجتهدوا، فلا يهدأ لكم بال حتى تُرفع رايةُ العُقاب، رايةُ رسول الله ﷺ لتخفق في الأعالي إلى عنان السماء، فتعودوا خير أمة أخرجت

للناس.

فماذا وكيف أجبتم؟

فريق منكم أجاب واستجاب، وسار مع الركب من خلاله أو من ورائه، فصاحَبَنا المسير والمصير إلى حيث نقيم الخلافة بإذن الله من جديد، ونرفع الراية بإذن العزيز الحميد، فبارك الله في ذلك الفريق وجزاه الله خيراً.

لكنَّ هناك من قال وقال على أثر النداء وبعد النداء:

هناك من قال: غرَّ هؤلاء دينُهم، حزب التحرير مغرور بنفسه، إنه يحلم بإقامة الخلافة، وهي هذه الأيام مستحيلة! ونقول هل حزب التحرير يحلم وهو يتلو وعد الله بالاستخلاف لمن آمن وعمل صالحاً ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾[النور ٥٥]؟

هل حزب التحرير يحلم وهو يقرأ حديث رسول الله ﷺ بعودة الخلافة من جديد: « ... ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»؟

ثم هل تكون الخلافةُ مستحيلةً في بلاد المسلمين؟ أيكون الحكم بالإسلام مستحيلاً في بلاد الإسلام؟ ولا يكون الحكم بغير الإسلام في بلاد الإسلام مستحيلاً بل أمراً واقعاً؟! ما لكم كيف تحكمون؟!

وقيل إن حزب التحرير لا بضاعةَ له إلا الخلافة، حيث حلَّ أو ارتحل لا ينطق إلا بالخلافة، لا يعرف غيرها، ولا إلْفَ له غيرُها ... هكذا!

نعم إن الخلافة هي البضاعةُ والصناعة، هي العزُّ والمنعة، هي حافظةُ الدين والدنيا، هي الأصلُ والفصل، بها تقام الأحكام، وتحدُّ الحدود، وتفتح الفتوح وترفع الرؤوس بالحق. هي التي شَرَع المسلمون بها قبل أن يشرعوا بتجهيز رسول الله ﷺ ودفنه صلوات الله وسلامه عليه، على أهمية ذلك وعظمته، وكل ذلك لعظم الخلافة وأهميتِها حيث رأى كبارُ الصحابة أن الاشتغال بها أولى من ذلك الفرض الكبير: تجهيز الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

نعم الخلافةُ هي البضاعةُ والصناعة، هي التي تقضي على دولة يهود وتعيد فلسطين كاملة إلى ديار الإسلام، هي التي تقضي على سلطان الهندوس في كشمير، وحكم الروس في الشيشان وكل القفقاس وتتارستان، هي التي تعيد القرم إلى أصلها، وكلَّ بلاد الإسلام إلى أصلها وفصلها. هي التي تحرر البلاد والعباد من نفوذ الكفر وعملائه، وبطش زبانيته وأزلامه. هي التي تمنع تمزُّق العراق والسودان، وتعيد اللحمة إلى الصومال، وتزيل الحدود والسدود التي رسمها الكفار المستعمرون من أطراف المحيط الهادي حيث إندونيسيا وماليزيا إلى شواطئ الأطلسي حيث المغرب والأندلس. إنها التي تنشر العدل والخير، وتُعز الإسلام والمسلمين، وتقطع دابر الظلم والشر، وتُذل الكفر والكافرين.

ويقول القائل أو تفعلُ الخلافة كلَّ هذا؟ أتصنع النصر وتدفع الهزيمة؟ ونقول نعم، يقول بهذا ربنا سبحانه وتعالى ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد ٧]، ونصرُ اللهِ الحق لا يكون إلا بإقامة دولة الإسلام التي تقيم أحكامَه، فإذا أقيمت نصرها الله سبحانه، ورسختْ وعزّتْ، فاحترمها أصدقاؤها وهابها أعداؤها. ويقول بهذا رسوله ﷺ: «الإمام جُنَّة يُقاتل من ورائه ويُتقى به» فالخليفةُ والخلافة جُنة، أي وقاية، ومن كانت له وقاية، فهو بإذن الله منصور في النهاية، لا تضيع حقوقه، ولا بلاده، ولا يجرؤ أن يقتربَ منه أعداؤه. وينطق بهذا تاريخ الخلافة، فأين بيزنطة وصولجانها؟ وأين المدائن والأكاسرة؟ ثم من مدَّ الصوت بالتكبير في تلك البقاع الممتدة على طول الأرض وعرضها من المحيط إلى المحيط لولا دولة الإسلام وجند الإسلام وعدل الإسلام؟ ولو علمت الخلافةُ أرضاً وراء المحيطين شرقاً وغرباً لخاضت عُبابَهما تدعو إلى الله الرحمن الرحيم العزيز الحكيم.

أيها المسلمون

تلك أقوال، واضح من مدلولها، أنَّ نداءنا لم يؤثر في نفر من الناس، لأن أولئك لا زالوا يظنون أن الخلافة أمرُها بعيد حتى الاستحالة، ومثل أولئك لا ينفعهم مزيد مخاطبة أو نداء، فهم قد غشيهم ما غشيهم.

ثم هناك أقوال أخرى على أثر النداء، قالها أصحابها على استحياء، كأنهم يقررون عجزهم أو تقصيرَهم عن اللحاق بالرَّكب:

فمن القوم من ابتسم للنداء، ثم مضى،

ومنهم من غاص في أعماق اللغة فأخرج من روائعها مدحاً للنداء، ثم مضى،

ومنهم من قال قلوبنا معكم، وإذا أقيمت الخلافة ستجدوننا معكم شاهدين لكم بالحق ثم مضى،

وكل هؤلاء أجابوا النداء بالقول دون الفعل، وهو قول لا يسمن ولا يغني من جوع، فهو كمن يرسم صورةَ رغيفٍ لرجل جائع!

أيها المسلمون

ثم إن هناك من أخذ منحىً آخر غيرَ الذي سبق، فقال:

نعم، وعد الله حق، وبشرى رسوله حق، ولكن لهذا وقتاً في كتاب الله، سيتحقق عندما يأتي وقتُه، فلا داعيَ لوجود حزب يعمل لها هذه الأيام، حيث الحكام يلاحقون الدعاة إلى الله، يبطشون بهم بل ويعذبونهم حتى الموت، فلا داعيَ لتجشُّم المشاق في أمر سيأتي في وقته لا يتخلف!

إن هذا القول يدل على مسحة من التقوى ولكنها مسحةٌ السذَّج أو لنقل البسطاء من المسلمين. صحيح إن الخلافة ستعود، وهي ستعود في وقتها المعلوم عند الله رب العالمين. ولكنَّ

الله سبحانه لن يُنزل ملائكةً من السماء يقيمونها للناس، ومن ثمَّ ينام الناس ويصحون وإذ بهم يرون الخليفة والخلافة تقرئهم السلام وتصبِّحهم بخير!

إنَّ لله سنناً في هذا الكون، جاء بها رسلُه وأنبياؤه، بأن يتحقق وعد الله وبشرى رسول الله بعمل العاملين الصادقين المخلصين، هكذا سار رسول الله ﷺ، وهكذا سار صحابة رسول الله ﷺ، وهكذا سار الخلفاء من بعدهم.

دعا رسول الله ﷺ إلى ربه في مكة وأصحابُه معه، في جو عاصف مليءٍ بطيش الجاهلية وبطشها، واستمر على ذلك رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام، وطلبَ النصرةَ من القبائل نحو ثلاثَ عشرةَ مرةً، وأرسل مصعب للمدينة، وتحمل الأذى والصعاب إلى أن أقام الدولة الإسلامية الأولى في المدينة، هذا ورسول الله ﷺ يوحى إليه، وهو أحب الخلق إلى الله سبحانه، ومع ذلك فلم يُنزل الله لرسوله ملائكةً يقيمون له دولةً، وهو ﷺ جالسٌ وصحبُه دون عمل، أو أنهم كانوا نياماً فما فتحوا عيونهم إلا ودولة لهم وجيش، ولأعدائهم محق وسحق، فقاموا يجمعون الغنائم دون أن يبذلوا الوسع في الدعوة إلى الله كما يحب سبحانه ويرضى. ليس هكذا الأمر بل رسول الله ﷺ يكافح ويكافح في مكة، ويهاجر في شدة، ويقاتل في بدر، ويسوي الصفوف، ويُعِدُّ القوم للقتال، ثم يدخل العريش يدعو الله نَصْره، بعد ذلك وليس قبل ذلك، أنزل الله سبحانه ملائكته تقاتل مع المسلمين ... أرأيتم؟ تقاتل الملائكةُ مع المسلمين وليس نيابةً عنهم وهم قاعدون. وهكذا في كل زمان يؤيد الله بملائكته، وبنصره، وبمددٍ من عنده، وما يعلم جنودَ ربك إلا هو، لكن كلَّ ذلك ليس نيابةً عن المسلمين بل عوناً لهم وهم يعملون مخلصين صادقين.

هذه هي سنة الله في خلقه بيَّنها رسول الله ﷺ لصحبه وسار عليها خلفاؤه من بعده، فهم لما سمعوا وقرأوا حديث رسول الله ﷺ بفتح القسطنطينية والثناءِ على أميرها وجيشها حرص كل خليفة على أن يرسل جيشاً لفتحها راجياً الله سبحانه أن تتحقق البشرى على يديه فينالَ ذلك الثناءَ العظيم، ولم يقعدوا عن أعمال الفتح ليكرمهم الله بفتحها وهم نائمون لا يعملون. هكذا فهم المسلمون أحاديث البشرى بأنها حافزةٌ على العمل الجادِّ المجدِّ لتتحققَ البشرى على أيديهم، لا أن يضعوا رِجْلاً على رجل ينتظرون تحقيق البشرى وهم قاعدون.

أيها المسلمون

ألم تكفِ خمس وثمانون سنةً من الوقوع في الإثم لمن لم يعمل لإيجاد الخليفة وبيعته، بأن يتوب ويثوب، ويعملَ مع العاملين؟ ألم يقل الرسول ﷺ «ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» ثم ألم يإنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق؟

ألم تكفِ خمس وثمانون سنةً من الضياع وعدم وجود الخلافة حتى أصبحنا كالأيتام على مائدة اللئام، ألم تكفِ تلك السنون لنصحوَ ونستيقظ؟

ألم تكفِ خمس وثمانون سنةً من تداعي الأمم علينا كتداعي الأكلة إلى قصعتها، لأن نعتبر ونتعظ!

ألم تكفِ خمس وثمانون سنةً من توالي المصائب على رؤوسنا:

استولى اليهود على فلسطين، وامتدّوا إلى غير فلسطين، وها أنتم ترون جرائمهم في فلسطين ولبنان تطال البشر والشجر والحجر، وكل موبقة تمر على عقل بشر، ومع ذلك فحكام المسلمين، بدل أن يقودوا جيوشهم المحبوسة في الثكنات، إلى الجهاد، ترى ممثليهم يجتمعون في ماليزيا ولبنان، ثم يهرولون إلى نيويورك يلتمسون الحل من قرارات مجلس الأمن، قرارات الدول الكافرة المستعمرة، قرارات أميركا الراعي الأكبر ليهود، فإذا صدر قرار ١٧٠١ تلقفوه وصفقوا لبيع دماء لبنان بقرار قاتل في سوق الصراع الأميركي الفرنسي، يباركونه وهو يحقق ليهود ما لم يستطيعوه في الحروب!

هؤلاء حكامكم أيها المسلمون، يهود يعتدون ويجرمون، والحكام لاهون بل هم لليهود موالون ومصفقون، وأمثلهم طريقةً من انتفض قائلاً: إذا اقترب عدوان يهود على لبنان مني سأتدخل، وكأن ضرب اليهود لنقاط حدوده ليس اقتراباً منه! وآخر يرسل وفداً إلى قطاع غزة يقنعهم أن يسامحوا يهود ويهادنوهم، ولا يرى بأساً بعد كل الذبح والسلخ الذي يقترفه يهود في فلسطين من أن يوصي بالصفح والعفو وأن الله يحب المحسنين!

هذه مصيبتنا في فلسطين وحول فلسطين، لكن أرض المسلمين تنوء بمصائب أخرى، فقد استولى الهندوس على كشمير، وأحكم الروس الطَّوق على الشيشان وكلِّ القفقاس وتتارستان، وذهبت القرم، وكانت حصنَ المسلمين في شمال البحر الأسود، توأمَ حصنه في جنوبه، ثم غزت أميركا وبريطانيا وأحلافهما العراقَ وأفغانستان، وضُيِّق الخناق في الصين على تركستان الشرقية بالقتل والتهجير، واستشرى نفوذ الكفار المستعمرين في بلاد المسلمين ...، أفلا تكفي تلك السنون الملأى بالمصائب على رؤوسنا لأن تجعل الدماء تغلي في العروق، فتحرِّكَ الأجسام والأقدام، والعقولَ والقلوب، معيدةً مجد الإسلام بإعادة دولته من جديد؟

ثم أليس غريباً عجيباً أن يوجد بيننا بعد كل ما علمناه من عز كنا عليه في ظل الخلافة، وما شهدناه من ذل نحن عليه بعد ضياع الخلافة، حتى أصبحنا في ذيل الأمم، لا في العير ولا في النفير، أليس غريباً عجيباً أن يوجد بيننا من لا يعمل لإعادة الخلافة من جديد، وأداء هذا الفرض العظيم، الطريق المستقيم إلى عز الدنيا والآخرة؟

أليس غريباً عجيباً أن لا يزال بيننا من يقول باستحالة عودة الخلافة، أو من يقول أقيموا الخلافة وعندما تقام سنؤيدكم وندعمكم ونشهد لكم بالحق، أو من يقول لا داعيَ للعمل لها فهي لا بد قائمةٌ في وقتها فلماذا تجشُّم المشاق لأمر قادم في موعده المسطورِ في الكتاب؟!

ثم أليس غريباً عجيباً محزناً أن يُظهر أحدٌ النصرة فإذا جد الجدُّ نكص على عقبيه،

يذكر التبرير تلو التبرير، وهو لو فعل لكان مع مصعب، وأُسيد، وسعد وأسعد، يفرح كما فرحوا بنصر الله في الدنيا، ويفوز كما فازوا برضوانه سبحانه في الآخرة، فيجلسُ معهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر؟

أيها المسلمون

واللهِ الذي لا إله إلا هو لن تعودوا خير أمة أخرجتْ للناس دون أن تشمروا عن ساعد الجد وتقيموا الخلافة،

إنه واللهِ الذي لا إله إلا هو لن تنالوا المكانة التي يحبها الله ورسوله إلا إذا احتكمتم لشرعه سبحانه ثم لا تجدون في أنفسكم حرجاً وتسلموا تسليماً،

إنه واللهِ الذي لا إله إلا هو لن يزول الذل عنكم وتصبحوا سادة الدنيا بحق إلا إذا تمسكتم بكتاب الله وسنة رسوله، تعضُّون عليهما بالنواجذ حيث حللتم وحيث ترحلون.

أيها المسلمون

بالأمس وجهنا لكم نداءً، فاستجاب من استجاب ونصر من نصر، وتردد من تردد وخذل من خذل ... وإننا لن نقولَ لكم اليوم بأنه يكفينا من استجاب ونصر، وبعداً لمن تردد وخذل، بل إننا نرجو من الله سبحانه أن يهدي من تردد إلى أرشد الأمر، ويشدَّ عزيمة من خذل فيعودَ إلى سابق الخير، وسنبقى نناديكم إلى عز الدنيا والآخرة، فالرائد لا يكذب أهله، بل يَصْدُقُهم وينصحُ لهم، وإنَّ الخير في هذه الأمة إلى يوم القيامة، ومن خذلنا بالأمس قد يلحق بنا اليوم أو في الغد، فنحن نحمل الخيرَ والنصحَ بإذن الله، وهذان سيجدان لهما موضعاً في القلوب، فيدفعان التائهَ، بإذن الله، لأن يثوب.

أما نحن، شبابُ حزب التحرير، فلن نيأس من روح الله، وسواء أأسرعتم في النصر والتأييد، أم تباطأتم، فإننا على عهد الله ماضون، وبهدي رسول الله ﷺ مقتدون، ولن يقعدنا عن ذلك، بإذن الله، لا مؤامراتُ الكفار ولا كيدُهم، ولا سجونُ العملاء ولا بطشُهم، ولا اشتدادُ الكرب وطولُ انتظار الفرج، ولا قساوةُ العيش وضيقُ المخرج، بل نستمر نغذُّ السير بجد واجتهاد، وإخلاصٍ لله، وصدقٍ مع رسول الله، ضارعين إليه سبحانه أن يكرمنا بإقامة الخلافة، فهي ملءُ البصر والفؤاد، وهي الفضل من رب العباد، نراها رأي العين وإن ظنوها قد ابتعدتْ، ونستبشر بقربها إذا ما الأزمة اشتدَّتْ، وعيوننا ترنو إلى هناك: نصرٍ من الله وفتح قريب، ورضوان من الله أكبر، وبشر المؤمنين.

وحسبنا قول الله سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝﴾[غافر ٥١]. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الثامن والعشرون من رجب ١٤٢٧هـ، الموافق للثاني والعشرين من آب ٢٠٠٦م ❑

انطلاقة مسيرة

حزب التحرير

شاء الله أن نكون في آخر الزمان، حيث الفتن فيه كقطع الليل المظلم تجعل الحليم حيران، فقد غاض حكم الله عن الأرض وعمّ الظلم وانتشر الطغيان... وشاء الله أن يكون لهذا الليل إدبارٌ، ولصبح الخلافة إسفارٌ، ولنفوس تاقت إلى رضى ربها استبشارٌ... فعادت الخلافة إلى اللسان بعد انقطاع، وإلى الأذهان بعد تشتت عنها وضياع... وشاء الله أن يدعو لها أهلٌ هم لها أهلٌ، أهلٌ قل نصيرهم حتى بين أهلهم، وأن يصبروا عليها حتى صارت بإقرار من أعدائهم هي الشمس التي يَخافٌ منها من ألِفَ الظلم والظلمة، وأمن العيش في العتمة، يخاف أن تبزغ لتقول «هذا ربي».

ولا شك أن لكل طريق معالمها، فمتى رأى سالكو هذه الطريق أنهم بدأوا مثلما بدأ رسولهم الكريم ﷺ، وساروا مثلما سار، فقد حقّ لهم أن يقتنعوا أنهم واصلون إلى ما وصل إليه ﷺ ومحققون ما وعد به: «خلافة راشدة على منهاج النبوة».

وإنه لفخر ما بعده فخرإذا وفّق الله سبحانه حزب التحرير ليكون هو تلك الثلة المؤمنة، والجماعة الموعودة، والطائفة المنصورة، بإذن الله. وإننا لنرجو من الله سبحانه وتعالى تلك المأثرة، تلك المكرمة التي يطمع بها كل تقيّ نقيّ وفيّ...

وهذا شيء يسير مما استطعنا أن نجمعه من سيرة من أسس هذا الحزب وأقام عماده «العالم العلامة الشيط تقي الدين النبهاني» وسيرة من أكمل البناء من بعده وشاده « العالم الكبير الشيط عبد القديم زلوم» وسيرة من يرجى من الله تعالى أن يهيئ له النصر ويمكّن له القيادة «عالم الأصول عطا أبو الرشتة»...

وهذه أيضاً بعض الأضواء نلقيها على حزب التحرير ليتبين للقارئ صفاء فكرته، وصحة طريقته، وحسن تأسيه، وقوة استمساكه...

وأخيراً هذا طرف من بعض المقابلات مع بعض الأعضاء من الرعيل الأول الذين شهدوا الفترة الأولى للعمل في حزب التحرير والتي كانت مليئة بالصعوبات، ولكنها كذلك بالأمل بالنصر...

١ ـ تقي الدين النبهاني... الشيخ المؤسس

هو العالم العلاّمة، مؤسس حزب التحرير، الشيخ تقي الدين بن إبراهيم بن مصطفى بن إسماعيل بن يوسف النبهاني نسبة لقبيلة بني نبهان من عرب البادية في فلسطين التي استوطنت قرية «اجزم» قضاء صفد التابعة لمدينة حيفا في شمال فلسطين. ولد الشيخ في قرية اجزم وفي الراجح من الأقوال عام ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م، في بيت علم ودين مشهور بالورع والتقوى، كان والده الشيخ إبراهيم شيخاً فقيهاً يعمل مدرساً للعلوم الشرعية في وزارة المعارف الفلسطينية، كما كانت والدته على إلمام كبير بالأمور الشرعية التي اكتسبتها عن والدها الشيخ يوسف.

والشيخ يوسف هو، كما جاء عنه في التراجم: يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن حسن بن محمد النبهاني الشافعي "أبو المحاسن" أديب شاعر صوفي، من القضاة البارزين، تولى القضاء في قصبة جنين من أعمال نابلس، ورحل إلى القسطنطينية، وعين قاضياً بكوي سنجق من أعمال ولاية الموصل، فرئيساً لمحكمة الجزاء في اللاذقية ثم في القدس، فرئيساً لمحكمة الحقوق ببيروت، له تصانيف كثيرة تبلغ ثمانية وأربعين مؤلفاً.

لقد كان لتلك النشأة الأثر البالغ في تكوين شخصية الشيخ تقي الدين الإسلامية، فحفظ القرآن كله غيباً في سن مبكرة وهو لم يتجاوز الثالثة عشرة بعد، وتأثر بتقوى ووعي جده لأمه واستفاد من علمه الغزير، وتمتع مبكراً بالوعي السياسي وخاصة القضايا السياسية المهمة التي كان لجده دراية بها من خلال صلته الوثيقة برجال الحكم في الدولة العثمانية، وأفاد الشيخ من حضوره المجالس والمناظرات الفقهية التي كان يعقدها جده الشيخ يوسف، وقد لفت نظر جده نبوغه ونباهته الفائقة أثناء مشاركته في مجالس العلم تلك، فاهتم به اهتماماً كبيراً وأقنع والده بضرورة إرساله إلى الأزهر لمواصلة التعليم الشرعي.

علمه ودراسته:

التحق الشيخ تقي الدين بالثانوية الأزهرية عام ١٩٢٨م، واجتازها في العام نفسه بتفوق فنال شهادة الغرباء، والتحق إثرها بكلية دار العلوم التي كانت آنذاك تتبع الأزهر، وإلى جانب ذلك كان يحضر حلقات علمية في الأزهر الشريف على شيوخ أرشده إليهم جده من مثل الشيخ محمد الخضر حسين -رحمه الله- حيث كان نظام الدراسة القديم في الأزهر يسمح بذلك. ورغم جمع الشيخ النبهاني بين النظام الأزهري القديم، وبين دار العلوم فإنه أظهر تفوقاً وتمايزاً في جده واجتهاده، ولفت أنظار أقرانه ومعلميه لما

عرف عنه من عمق في الفكر ورجاحة في الرأي وقوة الحجة في المناقشات والمناظرات الفكرية التي كانت تعج بها معاهد العلم آنذاك في القاهرة وغيرها من بلاد المسلمين.

الشهادات التي يحملها الشيخ النبهاني هي الثانوية الأزهرية، وشهادة الغرباء من الأزهر، ودبلوم في اللغة العربية وآدابها من كلية دار العلوم في القاهرة، وحصل من المعهد العالي للقضاء الشرعي التابع للأزهر على إجازة في القضاء، وتخرج من الأزهر عام ١٩٣٢م حاصلاً على الشهادة العالمية في الشريعة.

المجالات التي عمل فيها:

عمل الشيخ في سلك التعليم الشرعي في وزارة المعارف حتى سنة ١٩٣٨م حيث انتقل لمزاولة القضاء الشرعي، فتدرج في ذلك حيث ابتدأ بوظيفة باش كاتب محكمة حيفا المركزية ثم مُشاور (مساعد قاضي) ثم قاضي محكمة الرملة حتى عام ١٩٤٨م، حيث خرج للشام إثر سقوط فلسطين بيد اليهود. ثم عاد في السنة نفسها ليعين قاضياً لمحكمة القدس الشرعية، بعدها عين قاضياً بمحكمة الاستئناف الشرعية حتى سنة ١٩٥٠م حيث استقال وانتقل لإلقاء محاضرات على طلبة المرحلة الثانوية بالكلية العلمية الإسلامية في عمان حتى سنة ١٩٥٢م. كان رحمه الله بحر علوم واسع المعرفة في كل العلوم، مجتهداً مطلقاً، متحدثاً ذا حجة بالغة.

مؤلفاته:

١) نظام الإسلام، ٢) التكتل الحزبي، ٣) مفاهيم حزب التحرير، ٤) النظام الاقتصادي في الإسلام، ٥) النظام الاجتماعي في الإسلام، ٦) نظام الحكم في الإسلام، ٧) الدستور، ٨) مقدمة الدستور، ٩) الدولة الإسلامية، ١٠) الشخصية الإسلامية في ثلاثة أجزاء، ١١) مفاهيم سياسية لحزب التحرير، ١٢) نظرات سياسية، ١٣) نداء حار، ١٤) الخلافة، ١٥) التفكير، ١٦) سرعة البديهة، ١٧) نقطة الانطلاق، ١٨) دخول المجتمع، ١٩) تسلح مصر، ٢٠) الاتفاقيات الثنائية المصرية السورية واليمنية، ٢١) حل قضية فلسطين على الطريقة الأميركية والإنكليزية، ٢٢) نظرية الفراغ السياسي حول مشروع أيزنهاور، بالإضافة إلى آلاف النشرات الفكرية، والسياسية، والاقتصادية.

كما أصدر عدداً من الكتب بأسماء أعضاء في الحزب ليتسنى له نشرها، بعد أن صدر حظر قانوني لتداول كتبه ونشرها.

ومن هذه الكتب:

١) السياسة الاقتصادية المثلى، ٢) نقض الاشتراكية الماركسية، ٣) كيف هدمت الخلافة، ٤) أحكام البينات، ٥) نظام العقوبات، ٦) أحكام الصلاة، ٧) الفكر الإسلامي.

وكان قد أصدر سابقاً -قبل تأسيس الحزب- إنقاذ فلسطين، ورسالة العرب.

صفاته وأخلاقه:

يقول الأستاذ زهير كحالة الذي يعمل مديراً إدارياً للكلية العلمية الإسلامية والذي

كان ملازماً للشيخ تقي الدين منذ أن وطأت قدماه أرض الكلية: «كان رجلاً نزيهاً، شريفاً ونظيفاً، مخلصاً متفجر الطاقة، متحرقاً ومتألماً لما أصاب الأمة من جراء زرع الكيان الإسرائيلي في قلبها».

كان ربعة، متين البنية، جم النشاط، حاد المزاج بارعاً في الجدل، مفحم الحجة، متصلباً فيما يؤمن به أنه الحق، وكان ذا لحية متوسطة يخالطها الشيب، ذا شخصية قوية، مؤثراً حين يتحدث مقنعاً حين يحاجج، يكره بعثرة الجهود، والانكفاء على الذات، والانعزالية عن مصالح الأمة، ويكره أن ينشغل المرء بأمور حياته الشخصية، ، يعمل لخير الأمة، متمثلاً قول الرسول ﷺ: «**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**» وكان يكثر من ترداده والاستشهاد به، وكان ينعى على الإمام الغزالي صاحب «الإحياء» تركه الصليبيين يغزون البلاد الإسلامية منكفئاً في المسجد يؤلف كتبه.

إنشاء حزب التحرير والسير فيه:

أخذ الشيخ تقي الدين يدرس بعمق واهتمام الأحزاب والحركات والتنظيمات التي نشأت منذ القرن الرابع الهجري، درس أساليبها وأفكارها وأسباب انتشارها أو فشلها، وكان الدافع لدراسة هذه الأحزاب هو إحساس الشيخ بوجوب وجود تكتل إسلامي يعمل لإعادة الخلافة، فبعد إلغائها على يد المجرم مصطفى كمال (أتاتورك) لم يستطع المسلمون إعادتها على الرغم من وجود تنظيمات إسلامية تعمل آنذاك، ولما وجدت دولة (إسرائيل) في أيار عام ١٩٤٨م على أرض فلسطين، وظهور ضعف العرب أمام عصابات اليهود ربيبة الانتداب البريطاني الذي كان يتحكم في الأردن ومصر والعراق... ثار إحساس الشيخ تقي الدين، فأخذ يدرس الأسباب الحقيقية التي تنهض بالمسلمين، فحاول عن طريق الفكر القومي إنهاض الأمة، وكتب ذلك في رسالتين هما: ١- رسالة العرب، ٢- وإنقاذ فلسطين، واللتان صدرتا في عام ١٩٥٠م، ولم تكن نزعته القومية التي ظهرت في هاتين الرسالتين مجردة عن فكر وعقيدة ورسالة الأمة الحقيقية في الوجود وهي رسالة الإسلام وهذا الفرق بينه وبين دعاة القومية العربية الذين جردوا أمتهم من رسالتها ونادوا برسالات ومذاهب وأيدلوجيات غريبة عن هذه الأمة ومناقضة لعقيدتها وخلقها وقيمها. ثم عاد تقي الدين عن هذا الخط الذي سلكه في أول أمره وأخذ يحاور ويستمع لكل ما يعرض على الساحة إلا أنه لم يقتنع بها جميعاً.

وما إن انتقل إلى القضاء حتى أخذ يتصل بالعلماء الذين عرفهم والتقى معهم في مصر وراح يعرض عليهم فكرة إنشاء حزب سياسي على أساس الإسلام لإنهاض المسلمين وإعادة عزهم ومجدهم، وتنقل لهذا الغرض بين أكثر مدن فلسطين يعرض الأمر الذي اختمر في فكره على الشخصيات البارزة من العلماء وقادة الفكر، حيث كان يقوم بعقد

الندوات، وجمع العلماء من شتى مدن فلسطين، وفي هذه الأثناء كان يحاورهم في طريق النهضة الصحيحة، وكان كثيراً ما يناقش القائمين على الجمعيات الإسلامية والأحزاب السياسية والقومية والوطنية، مبيناً لهم خطأ سيرهم، وعقم عملهم، كما أنه كان يعرض للعديد من القضايا السياسية في خطاباته التي كان يلقيها في المناسبات الدينية في كلٍ من المسجد الأقصى، ومسجد إبراهيم الخليل وغيرهما من المساجد، حيث كان يهاجم النظم العربية بقوله إنها من صنائع الاستعمار الغربي، ووسيلة من وسائله يستعين بها لإبقاء بلاد المسلمين في قبضته، وكان يكشف المخططات السياسية للدول الغربية ويفضح نواياهم ضد الإسلام والمسلمين، وكان يبصر المسلمين بواجبهم ويدعوهم للتحزب على أساس الإسلام.

ثم تقدم الشيخ تقي الدين ورشح نفسه إلى مجلس النواب... ونظراً لمواقفه الملتزمة ونشاطه السياسي وعمله الجاد لإنشاء حزب سياسي مبدؤه الإسلام، وتمسكه القوي بالإسلام، وتأثير الدولة في النتائج، كل ذلك ساعد على ظهور النتائج في الانتخابات لغير صالحه.

ولم يتوقف نشاط الشيخ السياسي ولم تفتر عزيمته، وبقي على اتصالاته ومناقشاته حتى استطاع أن يقنع مجموعة من العلماء الأفاضل والقضاة المرموقين، والشخصيات السياسية الفكرية البارزة بإنشاء حزب سياسي على أساس الإسلام، وشرع يعرض عليهم الإطار الحزبي والأفكار التي يمكن أن تكون الزاد الثقافي لهذا الحزب، فلاقت أفكاره عند هؤلاء العلماء الرضى والقبول. وتوج نشاطه السياسي بتشكيل حزب التحرير.

بدأ العمل لتشكيل الحزب في مدينة القدس، حيث كان يعمل الشيخ في محكمة الاستئناف الشرعية هناك، وقد اتصل بعدد من الرجال آنذاك منهم الشيخ أحمد الداعور من قلقيلية، والسيدان نمر المصري وداود حمدان من اللد والرملة، والشيخ عبد القديم زلوم من مدينة الخليل، وعادل النابلسي، وغانم عبده، ومنير شقير، والشيخ أسعد بيوض التميمي، وغيرهم.

في بداية الأمر، كانت اللقاءات بين الأفراد المؤسسين عشوائية وغير منظمة، وكان معظمها يتم إما في القدس أو في الخليل لتبادل الآراء واستقطاب أفراد جدد. وتركز فيها النقاش على المواضيع الإسلامية المؤثرة في نهضة الأمة، واستمر الوضع كذلك حتى أواخر سنة ١٩٥٢م عندما بدأ أولئك الأفراد يأخذون صفة الحزب السياسي.

وفي السابع عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٢م، تقدم خمسة من الأعضاء المؤسسين للحزب بطلب رسمي لوزارة الداخلية الأردنية، بهدف الحصول على رخصة إنشاء حزب سياسي، وهم:

١. تقي الدين / رئيساً للحزب

٢. داود حمـــدان / نائبـــاً للـــرئيس وسكرتيراً للحزب
٣. غانم عبده / أميناً للصندوق
٤. د. عادل النابلسي / عضواً
٥. منير شقير / عضواً.

ثم استكمل الحزب الإجراءات القانونية المطلوبة في قانون الجمعيات العثماني، وأن مركز الحزب هو القدس، وأخذ (علم وخبر) حسب القانون.

وبتقديم الحزب بيانه للحكومة مرفقاً بنظامه الأساسي، ونشر الكيفية من قبله في جريـدة الصـريح العـدد ١٧٦ المـؤرخ في ١٩٥٣/٣/١٤م، أصبح حزب التحرير حزباً قانونياً اعتباراً من يوم السبت الواقع في ٢٨ جمادى الثانية سنة ١٣٧٢هـ الموافق ١٤ آذار سنة ١٩٥٣م، وصارت له الصلاحية بمباشرة نشاطه الحزبي وممارسة كافة الأعمال الحزبية التي ينص عليها نظامه الأساسي، وفق قانون الجمعيات العثماني المعمول به.

إلا أن الحكومـة استدعت مؤسسيه الخمسة وحققت معهم واعتقلت أربعة منهم، ثم أصدرت بتاريخ ٧ رجب سنة ١٣٧٢هـ الموافق ١٩٥٣/٣/٢٢م بياناً اعتبرت فيه حزب التحرير غير قانوني ومنعت القائمين عليه من أي عمل (أي من النشاط الحزبي)، وبتاريخ ١٩٥٣/٤/١م أمرت بنزع لافتات حزب التحرير المعلقة على مكتبه في القدس ونزعتها بالفعل.

إلا أن الشيخ تقي الدين النبهاني لم يُقم وزناً لهذا المنع، وأصر على المضي قدماً في حمل الرسالة التي أسس الحزب عليها، وعندما خرج داود حمدان ونمر المصري من قيادة الحزب عام ١٩٥٦م، دخل القيادة مكانهما الشيخ عبد القديم زلوم، والشيخ أحمد الداعور، وأصبحت قيادة الحزب مكونة من هذين العالمين الجليلين بإمرة العلامة الشيخ تقي الدين النبهاني، وقد قامت هذه القيادة بأعباء الدعوة خير قيام بفضل من الله ورضوان.

ومن ساحات الأقصى أخذ الحزب بحملة تثقيف جماهيرية لاستئناف الحياة الإسلامية وأبدى نشاطاً واسعاً مما اضطر السلطات لاتخاذ خطوات قوية لمنعه من تشكيل نفسه وتقوية تنظيمه، فاضطر النبهاني إلى ترك البلد في نهاية عام ١٩٥٣م من تلقاء نفسه إلا أنه منع من العودة إليها ثانية.

في تشرين الثاني عام ١٩٥٣م رحل الشيخ النبهاني مرغماً إلى دمشق التي لم يلبث فيها إلا قليلاً حيث قامت السلطات السورية باعتقاله وإلقائه على حدود سورية مع لبنان، إلا أن السلطات اللبنانية هي الأخرى منعته من دخول أراضيها، فطلب من مسؤول مركز الشرطة اللبناني في وادي الحرير أن يسمح له بالاتصال مع شخص يعرفه في داخل لبنان فسمح مسؤول الأمن اللبناني له بإجراء الاتصال، فطلب الشيخ النبهاني من صديقه ذاك أن يتصل بالمفتي الشيخ حسن العلايا مفتي لبنان، فلما تناهى الخبر إلى مسامع

الشيخ العلايا تحرك بسرعة إلى المسؤولين اللبنانيين ليأمروا فوراً بإدخال الشيخ النبهاني إلى الأراضي اللبنانية وإلا فإنه سيعمل على نشر هذا الخبر في كافة البلاد التي تدعي الديمقراطية وتمنع عالماً من علماء الدين الإسلامي أن تطأ قدماه أرضها، فما كان أمام السلطات اللبنانية إلا الخضوع والتسليم لأمر مفتي لبنان.

ومنذ أن حل الشيخ النبهاني في لبنان عمل على نشر أفكاره واستمر في ذلك دون مضايقة تقريباً إلى عام ١٩٥٨م حيث أخذت السلطات اللبنانية تضيق الخناق عليه بعد أن أدركت خطورة أفكاره عليها فاضطر الشيخ للرحيل من بيروت إلى طرابلس متخفياً. يقول أحد معارفه الثقات: «كان الشيخ يقضي كثيراً من وقته في القراءة والكتابة والمذياع أمامه يستمع منه أخبار العالم ليكتب منشوراته السياسية القوية. وكان تقياً اسماً ومسمًى وعفيفاً في بصره ولسانه ولم أسمع منه يوماً أن شتم أو ذم أو حقر أحداً من المسلمين خاصة دعاة الإسلام على اختلاف اجتهاداتهم».

لقد أولى الشيخ المؤسس عملية النصرة في العراق اهتماماً بالغاً، سافر لأجلها للعراق عدة سفرات؛ ليقوم بمشاركة الشيخ عبد القديم (أبو يوسف) الذي كان هناك في بعض الاتصالات المهمة منها الاتصالات مع المرحوم عبد السلام عارف وغيره، وكانت آخر تلك الرحلات قبل وفاته حيث اعتقل في العراق، وقد عذَّبوه كثيراً، إلا أنه لم يُجْدِ التعذيب الذي مارسه المحققون معه عن أن ينالوا منه شيئاً، وكان كل ما قاله معرفاً عن نفسه: «شيخ يبحث عن العلاج!» فملوا منه وطردوه عبر الحدود السورية مشلول اليد خائر القوى من شدة وهول التعذيب الذي مارسه الطغاة معه، وكان طرده عبر الحدود قبل أن يأتيهم من المخابرات الأردنية أن المعتقل لديكم هو الشيخ تقي الدين النبهاني المطلوب عندكم، ولكن بعد فوات الفرصة والحمد لله.

لقد أسس، رحمه الله، الحزب على قدم ثابتة، وكان الوصول إلى الهدف قاب قوسين أو أدنى، ولكن لكل أجل كتاب.

وفي غرة محرم ١٣٩٨ هـ يوم الأحد فجراً، الموافق ١٩٧٧/١٢/١١ للميلاد، فقدت الأمة الإسلامية جمعاء علماً من أعلامها البارزين هو بحر العلوم، وأشهر فقهاء العصر على الإطلاق، مجدد الفكر الإسلامي في القرن العشرين الفقيه المجتهد العالِم العلاّمة الشيخ تقي الدين النبهاني أمير حزب التحرير المؤسس، ودفن في مقبرة الأوزاعي في بيروت، حيث توفاه الله تعالى ولم يتمكن من حصاد ثمار عمله الذي وهبه كل عمره وهو دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، تاركاً الأمانة لخلفه ورفيق دربه العالم الكبير الشيخ عبد القديم يوسف زلوم. ومع أنه رحمه الله لم يشهد الهدف الذي عمل جاهداً لتحقيقه، إلا أن جهوده قد أثمرت حزباً ينتسب إليه ويحمل فكره آلاف كثيرة،

علاوة على ملايين المؤيدين، وانتشر رجاله في كثير من بقاع المعمورة وفي كثير من سجون الكفرة والطغاة والظالمين.

٢ـ الشيخ عبد القديم زلوم: خير خلف لسلفه في قيادة الحزب

هو العالم الكبير الشيخ عبد القديم بن يوسف بن عبد القديم بن يونس بن إبراهيم الشيخ زلوم ولد في عام ١٣٤٢هـ ١٩٢٤م في الراجح من الأقوال في مدينة الخليل من عائلة معروفة ومشهورة بالتدين، فوالده رحمه الله من حفظة القرآن، وكان يتلو القرآن غيباً حتى آخر عهده في الحياة، وقد عمل والده مدرساً في زمن دولة الخلافة.

وكان عم والده عبد الغفار يونس زلوم مفتياً للخليل في زمن دولة الخلافة. وكانت عائلة زلوم من العائلات التي تخدم المسجد الإبراهيمي فهم من الذين يخدمون سيدنا يعقوب عليه السلام، وهم الذين يرفعون العلم على المنبر في يوم الجمعة وفي المناسبات، وهم الذين يحملون العلم في المواسم والاحتفالات.

وكانت الدولة العثمانية توزع مهام خدمة المسجد الإبراهيمي على العائلات المشهورة في الخليل، وكانت العائلات تعتبر ذلك شرفاً وتكريماً لها أن تكون من خدمة المسجد الإبراهيمي.

نشأ وترعرع في مدينة الخليل حتى بلغ الخامسة عشرة من عمره، وتلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الإبراهيمية في الخليل ثم قرر والده رحمه الله أن يرسله للأزهر الشريف ليتعلم الفقه ويكون من حملته والدعاة إلى الله فأرسله بعد أن بلغ الخامسة عشرة من عمره إلى القاهرة وإلى الجامع الأزهر وكان ذلك في عام ١٩٣٩م حصل على شهادة الأهلية الأولى في الجامع الأزهر عام ١٣٦١هـ ١٩٤٢م وحصل على شهادة العالية لكلية الشريعة في الأزهر عام ١٣٦٦هـ الموافق ١٩٤٧م وحصل على شهادة العالمية مع تخصص القضاء والتي تعتبر كشهادة الدكتوراه الآن عام ١٣٦٨هـ الموافق ١٩٤٩م.

أثناء الحرب الفلسطينية الإسرائيلية، عمل على تجميع الشباب والرجوع من مصر للجهاد في فلسطين، ولكنه عندما رجع كانت الهدنة قد أعلنت، والحرب

قد وضعت أوزارها، فلم يتمكن من الجهاد في فلسطين مع عقد النية لذلك. كان محبوباً من أصحابه في الجامع الأزهر إذ كانوا يطلقون عليه "الملك" وكان متفوِّقاً في دراسته.

عندما عاد إلى الخليل في عام ١٩٤٩م عمل في مجال التدريس، فعيّن في مدارس بيت لحم لمدة سنتين، ثم انتقل إلى الخليل في عام ١٩٥١م وعمل مدرساً في مدرسة أسامة بن منقذ.

إلتقاه الشيخ تقي الدين رحمه الله في عام ١٩٥٢م، وصار يذهب إلى القدس للتنسيق معه والدرس والمناقشة حول موضوع الحزب. وقد انضم إلى الحزب عندما بدأ العمل، وأصبح عضو قيادة في الحزب منذ ١٩٥٦م. كان خطيباً بارعاً، محبوباً من الناس، وكان يلقي في يوم الجمعة قبل الصلاة درساً في قسم من المسجد الإبراهيمي يدعى اليوسفية، وكان يحضره خلق كثير، ثم أصبح يلقي خطبة بعد الجمعة في المسجد الإبراهيمي في قسم يدعى الصحن وكان يحضره خلق كثير. ولما أعلنت الانتخابات النيابية سنة ١٩٥٤م، ترشح الشيخ فيها، وكذلك سنة ١٩٥٦م، ولكنه لم ينجح بسبب تزوير الدولة للنتائج. وقد تم اعتقال الشيخ وأودع سجن الجفر الصحراوي ومكث فيه سنين إلى أن منَّ الله عليه بالخلاص.

لقد كان، رحمه الله، بحق الساعد الأيمن للأمير المؤسس، وسهماً في كنانته، يرسله للمهمات الكبيرة، فلا يتردد، يقدم الدعوة على الأهل والولد ومتع الحياة الزائلة، تراه اليوم في تركيا وغداً في العراق، وبعده في مصر ثم لبنان والأردن... حيثما يطلبه أميره يجده بجانبه قائماً بالحق. ولقد كانت مهمته في العراق مهمة كبيرة لا يقوم بها إلا الرجال الرجال، تولاها بتكليف من الأمير المؤسس وبرعايته، وكان شأنه فيها بإذن الله عظيماً.

ولما توفى الله الأمير المؤسس اختير لحمل الأمانة من بعده، فحملها وسار بها من شاهق إلى شاهق، فَعَلا صرح الدعوة، وامتد ميدان عملها حتى وصل إلى مسلمي آسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا... بل إن رنين الدعوة كان له صدًى في أوروبا وغيرها.

وفي أواخر عهد العالم الكبير حدثت فتنة النكث، حيث استحوذ الشيطان على عقول نفر استغلوا حِلمَ الشيخ، فدبَّروا أمراً بليْلٍ، وحاولوا حرف المسيرة عن خطها المستقيم. لقد حاولت زمرة الناكثين تلك أن توجد جرحاً غائراً في جسم الحزب لولا لطف الله سبحانه، ثم حكمة الشيخ وحزمه، فلم تزد محاولات الناكثين عن إيجاد ثلمٍ سطحي

لم يلبث أن صحَّ وعاد أقوى مما كان، وانكفأت تلك الزمرة وأصبحت في طي النسيان.

وقد استمر العالم الكبير في حمل الدعوة وقيادتها حتى جاوز الثمانين، وكأنه أحس بدنو أجله فأحب أن يلقى الله سبحانه وهو مطمئن على سير هذه الدعوة التي قضى في حمل أعبائها ثلثي عمره، نحو خمس وعشرين سنة ساعداً أيمن للأمير المؤسس ومثلها قائداً للمسيرة أميراً للحزب؛ لذلك أحب أن يتنحى عن إمارة الحزب ويشهد انتخابات الأمير من بعده، وهكذا كان، فقد تنحى عن إمارة الحزب في يوم الاثنين الرابع عشر من محرم الحرام سنة ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠٠٣/٠٣/١٧م.

بعد ذلك بنحو أربعين يوماً توفي العالم الكبير، أمير حزب التحرير الشيخ عبد القديم يوسف زلوم في بيروت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من صفر الخير سنة ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠٠٣/٠٤/٢٩م. عن عمر يناهز الثمانين عاماً، وأقيم له بيت عزاء في ديوان (أبو غربية الشعراوي) بالخليل لم تشهد المدينة له مثيلاً حيث توافد الناس من كل المدن والقرى، وتسابق المعزون والشعراء والمكلومون لإلقاء كلمات المشاركة في العزاء شعراً ونثراً، وتتابع رنين الهاتف الموصول بالمذياع لينقل للحاضرين كلمات التعازي والمشاركة في العزاء من السودان والكويت وأوروبا وإندونيسيا وأميركا والأردن ومصر ومن شتى بقاع المعمورة، كما أقيم له بيوت عزاء في عمان وغيرها.

كان رحمه الله جريئاً في الحق لا يخشى في الله لومة لائم، نشيطاً لا يكل ولا يمل في الدعوة. عرف بالتواضع وحسن الخلق وهدوء الأعصاب على غير محرّم، حليماً كريماً، وعرف عنه قيام الليل، يغالبه البكاء وهو يتلو آيات الله سبحانه، صبوراً جلداً في الدعوة، وقد عاش غريباً ملاحقاً من الظالمين، حتى توفاه الله سبحانه. فوقع أجره على الله، رحمه الله رحمة واسعة.

من مؤلفاته ومن الكتب والكتيبات التي أصدرها الحزب في عهده:

١) الأموال في دولة الخلافة، ٢) توسيع وتنقيح نظام الحكم، ٣) الديمقراطية نظام كفر، ٤) حكم الشرع في الاستنساخ ونقل الأعضاء وأمور أخرى، ٥) منهج حزب التحرير في التغيير، ٦) التعريف بحزب التحرير، ٧) الحملة الأميركية للقضاء على الإسلام، ٨) الحملة الصليبية لجورج بوش على المسلمين، ٩) هزات الأسواق المالية، ١٠) حتمية صراع الحضارات...

٣ـ العالم في أصول الفقه عطا أبو الرشتة: الأمير الحالي للحزب

وبتاريخ ١١ من صفر الخير سنة ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠٠٣/٠٤/١٣م أعلن رئيس ديوان المظالم في حزب التحرير عن انتخاب عالِم الأصول المهندس «عطا أبو ألرشته» -أبي ياسين- أميراً لحزب التحرير، الذي يُؤْمل أملاً كبيراً من الله سبحانه أن يأخذ بيده إلى النصر، لما يُؤثر عنه من اهتمام فائق بالدعوة، ولما يُلمس منه من حسن إدارة عمل الحزب واستغلال طاقات الشباب أفضل استغلال.

نبذة عن حياته:

● هو عطاء بن خليل بن أحمد بن عبد القادر الخطيب أبو الرشتة، ولد على الأرجح عام ١٣٦٢هـ الموافق ١٩٤٣م، من أسرة متديِّنة تدينُ العامة، في قرية صغيرة (رعنا) من أعمال الخليل في الديار الفلسطينية. وشهد وهو صغير مأساة فلسطين واحتلال اليهود لها عام ١٩٤٨ بدعم من بريطانيا وخيانة الحكام العرب. وانتقل وأهله بعد ذلك إلى مخيمات اللاجئين قرب الخليل.

أتم دراسته الابتدائية والوسطى في المخيم، وأكمل الدراسة الثانوية وحصل على الشهادة الثانوية الأولى (المترك الأردني) في مدرسة الحسين بن علي الثانوية بالخليل عام ١٩٥٩م ثم حصل على الشهادة الثانوية العامة (التوجيهي المصري) عام ١٩٦٠ في المدرسة الإبراهيمية بالقدس الشريف. بعد ذلك التحق بجامعة القاهرة - كلية الهندسة في العام الدراسي ٦٠-١٩٦١م وحصل على شهادة البكالوريوس في الهندسة المدنية من الجامعة عام ١٩٦٦م. ثم عمل مهندساً بعد تخرجه في عدد من الدول العربية. وله مؤلف في أعمال الهندسة المدنية اسمه (الوسيط في حساب الكميات ومراقبة المباني والطرق).

● التحق بحزب التحرير أثناء دراسته المتوسطة نحو منتصف الخمسينات، وأوذي في سبيل الله كثيراً في سجون الظالمين، واستمر عاملاً في الحزب في جميع مكوناته التنظيمية والإدارية: دارس، عضو، مشرف، نقيب محلية، عضو ولاية، معتمد، ناطق رسمي، عضو مكتب الأمير، ثم اعتباراً من ١١ صفر الخير ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠٠٣/٠٤/١٣م شاء الله أن ترسو إمارة الحزب على كتفيه، وهو يسأل الله أن يعينه على حملها.

له المؤلفات الإسلامية التالية:

١ - تفسير سورة البقرة واسمه (التيسير في أصول التفسير - سورة البقرة)

٢ - دراسات في أصول الفقه - تيسير الوصول إلى الأصول

٣ - عدد من الكتيبات:

أ) الأزمات الاقتصادية - واقعها ومعالجاتها من وجهة نظر الإسلام

ب) الغزوة الصليبية الجديدة في الجزيرة والخليج

ج) سياسة التصنيع وبناء الدولة صناعياً

٤- وقد صدرت الكتب التالية للحزب في عهده (حتى الآن):

أ) من مقومات النفسية الإسلامية.

ب) قضايا سياسية - بلاد المسلمين المحتلة.

ج) تنقيح وتوسيع كتاب مفاهيم سياسية.

د) أسس التعليم المنهجي في دولة الخلافة.

هـ) أجهزة دولة الخلافة في الحكم والإدارة.

وهو يسأل الله سبحانه العون والسداد للقيام بما حمِّل من أمانة الدعوة على الوجه الذي يحبه الله سبحانه ورسوله ﷺ ، وأن يفتح الله على يديه بإقامة الخلافة الراشدة، إنه سميع مجيب.

ولقد كان من الأعمال اللافتة للنظر في عهده أن وجَّه الحزب في ٢٨ رجب ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥/٩/٢م) نداءً إلى المسلمين بمناسبة الذكرى الأليمة للقضاء على الخلافة قبل أربع وثمانين سنة من النداء المذكور. وقد صدع الحزب بالنداء في جموع المسلمين بعد صلاة الجمعة لذلك اليوم ابتداء من إندونيسيا على أطراف المحيط الهادي شرقاً إلى المغرب على شواطئ المحيط الأطلسي غرباً، ولقد كان للنداء تأثير وأي تأثير. هذا بالإضافة إلى أعمال الحزب العامة التي تصدع بالحق في مؤتمراته ومسيراته وندواته...

لقد كانت السنوات الثلاث التي مضت من عهد الأمير الحالي حافلة بالخير الذي نرجو الله سبحانه أن يمتد ويزداد. كما أن تباشير النصر قد بدت تلوح بإذن الله على الحزب مع الأمير الحالي، وتجعل الأمل كل الأمل ينعقد عليه في هذه الفترة علها تكون هي الفترة التي يأذن الله فيها بالنصر.

ويؤثر عن هذا الأمير الجليل زهده وورعه، وشدة تقيده والتزامه وعلمه. ولقد أفاد أيما إفادة من تبوئه مختلف المسؤوليات في إدراة عمل الحزب وبخاصة مسؤوليات الناطق الرسمي والمعتمد وعضو مكتب الأمير السابق ما جعله يقود الحزب وهو يعرف تماماً ما تتطلبه كل مسؤولية من أعمال ومتابعة ونشاط، لذلك يرى الشباب وكأنَّ أميرهم معهم يقودهم حتى في التفاصيل، وهذا ما جعله يستغل قدرات الشباب على أفضل وجه...

● ● ●

وهكذا أُعلن من المسجد الأقصى المبارك انطلاق نشاط حزب التحرير في بداية الخمسينات من القرن المنصرم، وقد وضع له هدفاً رئيساً وهو العمل على إقامة الخلافة

الراشدة. واستمر العالم العلاّمة الشيخ تقي الدين النبهاني في قيادة الحزب إلى حين وفاته بعد نحو خمس وعشرين سنة من قيادته للحزب.

وتولى العالم الكبير الشيخ عبد القديم زلوم إمارة الحزب من بعده عام ١٩٧٧م، وكبر عمل الحزب في فترته حيث ازداد عدد أعضائه، وامتدّت يدا الحزب إلى دول كثيرة من العالم. واستطاع الحزب تنظيم وضم آلاف الشباب المسلم. وقد توفي العالم الكبير عبد القديم زلوم، عن عمر يناهز الثمانين عاماً، بعد أن قضى نحو ربع قرن في قيادة الحزب.

ثم تولى إمارة الحزب من بعده عام ٢٠٠٣م أحد أبرز علماء الحزب الأجلاء عالم الأصول عطا أبو الرشتة لينطلق بالحزب انطلاقة قوية تعمل على حصد ثمار ما تم زرعه في عهد الشيخين قبله، وما أضافه من زرع طيب بعدهما.

ومن أجمل ما قيل في الأمراء الثلاثة هذه المقولة الطيبة من أحد شبابه:

هم ثلاثة أتم الله على أيديهم ثلاثة: ثلاثة أمراء أتموا ثلاثة أدوار:

الأول: أسس وكتّل.

والثاني: فعّل وأعلن.

والثالث: استنصر وبإذن الله سينصر (آمين).

أضواء على حزب التحرير

تتردد على ألسنة عديدة بعض الأسئلة عن حزب التحرير من مثل ما هي الميزات التي يختلف بها عن باقي الحركات والأحزاب؟ وما هي إنجازاته عبر خمسة عقود؟ وما هي تطلعاته؟ وما هي مهمة التحرير التي يضطلع بها؟ وهل تكفي الأعمال التي يقوم بها لتحقيق ما يصبو إليه في ظل الظروف الراهنة التي أطبقت فيها ملة الكفر بكل ما أوتيت من قوة تسخرها ضد دعوة الإسلام؟

للإجابة على هذه الأسئلة فإنه لابد من البدء بفهم الواقع السيئ الذي وصل إليه المسلمون لنصل بعد ذلك إلى معرفة ما هو مطلوب شرعاً تجاه هذا الواقع... وعلى ضوء ما تقدم نقول:

إن ما تعاني منه الأمة من ذل وانحطاط هو بسبب تغييب الإسلام عن سدة الحكم حيث غاضت أحكامه عن الحياة والمجتمع، فظهر التحول الملحوظ والانحدار السريع الذي حل بأمة حكمت العالم وقادت الأمم أربعة عشر قرناً عاشت خلالها ازدهاراً وصدراة بالإسلام: حكماً، وعيشاً، ودعوةً، ومن بعد هذا كانت النكسات والنكبات، حتى قسمت

البلاد ونهبت الثروات وانتهكت الأعراض ومرغت بالتراب الكرامات، حتى صرنا في ذيل الأمم وعالة عليها، وأكبر شاهد على ذلك أن كبرى حواضرنا وأعلى مناراتنا محتلة مدنسة... وغني عن الإسهاب فإن واقع ما نعيشه يومياً أوضح من أن يشرح وأبلغ من أن يوصف، وهذا يدل دلالة قطعية ومسلمة بديهية أن الحل والأمل هو بالعودة للإسلام عوداً حميداً: عيشاً به، وحملاً له، وموتاً في سبيله.

من هنا بدأت الحيرة والاختلاف كيف نعود بالإسلام عوداً حميداً، وبدأت الحركات والجماعات والأنشطة تقوم وتبحث: من أين نبدأ وكيف نبدأ؟ أمن تحرير فلسطين أم الأندلس؟ أم بالقضاء على الفقر بجمع الزكوات؟ أم بالقضاء على الجهل ببناء المدارس؟ أم بإقامة الحدود لحفظ حرمات الله؟ أم بتحقيق أحاديث رسول الله ﷺ؟ أم بأداء الحقوق وتطبيق الإسلام بموالاة الحكام؟... وهكذا اختلطت الأمور واختلفت الجموع وافترقت التوجهات على نحو يشتت الجهود في أحلك الظروف التي هي بحاجة إلى أن تجتمع فيها للخلاص مما هي فيه، فتعقدت الأمور وادلهمت الخطوب حتى بدا أنه لا منجى ولا مخرج، وأصبح لسان الحال يقول فهل إلى خروج من سبيل؟ وهل لأمة الإسلام من رأي راشد يحدد لها طريق عودتها إلى سابق عزها ويخرجها من ورطاتها وهي في أشدها؟

إن ما وصلت إليه حال الأمة من ذل بعد عز، وفرقة بعد وحدة، وفقر وقهر بعد استغناء وغلبة، دفع الكثيرين من أبناء المسلمين للتفكير ملياً للخروج من هذه المعضلات، فقامت الجهود والحركات والأعمال، تجوب طول البلاد وعرضها. ومن وسطها، من القدس تحديداً، وصل قاضي الشرع الشريف العلامة تقي الدين النبهاني الذي كان مرهف الإحساس فائق الشعور بالمسؤولية مستنير الفكر عميقه، وصل ومعه ثلة من العلماء الواعين المخلصين إلى تحديد قضية المسلمين المركزية، وتحديد الحل الجذري الشرعي لها، وبعدها تم التوصل إلى أن الحل الشرعي يتجسد في إقامة دولة الخلافة الإسلامية، وهذه لابد لها من جماعة أو حزب يحدد أحكام الفكرة والطريقة اللازمة لعمله. فكان حزب التحرير هذه الجماعة.

لقد أخذ حزب التحرير على نفسه الاضطلاع بمهمة التحرير الحقيقي الشامل، بدءاً من تحرير الأمة مما تعاني من سيطرة للأفكار والآراء والمشاعر والأنظمة الدخيلة، وصولاً إلى تحرير العالم من خلال دولة إسلامية هي دولة الخلافة الراشدة التي تقوم بهذه المهمة.

لم يكن القيام بمهمة التحرير من قبل الحزب بالمهمة السهلة، ولم تكن من قبيل

الكلام العام الخالي من المضمون، بل إن الحزب كان في كل ما توصل إليه يقوم بدراسة جدية وجذرية ومحددة لكل التفاصيل التي تلزمه للعمل تحديداً، يضع فيه الإصبع على كل الأسباب والمسببات، الجزئيات والكليات، بانياً كل ذلك على الأفكار والمقاييس الشرعية. فهو قد قام بتشخيص الواقع بكل دقة وموضوعية جاعلاً الواقع موضع التفكير والبحث لا مصدراً له، ومن خلال القاعدة العملية التي ينتقل خلالها من الإحساس إلى التفكير وتحديد الغاية والأعمال التي تؤدي لتحقيقها كل ذلك مربوطاً بالعقيدة. وانطلاقاً من مسلمة عقدية وهي أن الإسلام قادر على أن يوحد الأمة بعد أن تفرقت، وفيه الطاقة القادرة على تحديد القضية المركزية والتي تحل من خلالها جميع قضايا المسلمين... من خلال كل ذلك توصل إلى أن الحل يكمن بالخلافة بكل ما تعنيه تفصيلاتها. فكان هذا هو أهم إنجاز توصل له الحزب، وهو أعظم مهمة اضطلع بها متفانياً في سبيل تحقيقها، حتى قرنت الخلافة والحكم بما أنزل الله بحزب التحرير في توأمة شرف وعز، والحمد لله أن وصل الحزب بتوفيق من الله لمكمن الحلول لقضايا المسلمين جميعاً، والأهم من ذلك هو الإنجاز الثاني والمهمة الثانية التي اضطلع بها الحزب وهي الطريق العملي الشرعي المثبت بالأدلة الشرعية المتضافرة، وبأوجه استدلال متين، وبجدية منقطعة النظير تظهر في أخذه بكل أسباب الوصول إلى ما يلزمه وجوباً للمشروع الذي يضطلع به، ابتداءً من بناء رجالات الدعوة، وبناء تكتل قادر قدرة كيانية وفكرية على تغيير المجتمع وإحداث الانقلاب الجذري الشامل وإحداث النهضة الصحيحة، وبناء مجتمع إسلامي فريد تاجه خلافة راشدة على منهاج النبوة، وانتهاءً بحاجات الدولة وبناء كيانها وأجهزتها ومحاسبتها وتهيئتها لقيادة الأمة الإسلامية بحمل رسالتها للعالم أجمع.

تظهر هذه الثقافة فيما تبناه في كتبه ابتداءً من نظام الإسلام ومفاهيم حزب التحرير والتكتل الحزبي، حيث بدأ من خلالها بناء لبنات وخلايا أسسها على طريق الإيمان فبنى العقلية والنفسية متجهاً وجهة النهضة على أساس روحي.

وكان مما تبناه الحزب في هذه الثقافة النظام الاقتصادي، وهو أحكام شرعية جسد من خلالها سياسة الاقتصاد في الإسلام ليحل من خلالها معضلات العالم الاقتصادية مهما استعصت، وأظهر في هذا الصعيد النظام الاقتصادي كنظام صالح ولوحده على تحقيق الرفاهية ورغد العيش، وقد نقد في مقدمة الكتاب الأنظمة الاقتصادية المتحكمة في العالم اليوم في سابقة فريدة وبالأدلة الواقعية الدامغة وفي تحد لا ينقطع.

وتبنى الحزب النظام الاجتماعي في

الإسلام استقصى فيه أحكام تنظيم الأسرة الإسلامية، فجمع بين شرفها ولحمتها وبين عفتها وصلابة بنائها في نظام يحدد علاقة الرجل بالمرأة تحديداً يجمع بين الاستقامة والبناء والارتقاء بالمجتمع في نظام فريد وفي سابقة تحدٍّ لكل الأنظمة البشرية التي أدت إلى التفكك الأسري والاحتقار للمرأة والنزول بها إلى أسفل الدركات، نعم كل هذا في سابقة بعثت الأمل والحنين في المسلمين إلى الماضي العفيف والشرف الرفيع.

وتبنى الحزب نظام الحكم في الإسلام فجمع فيه بكل استقصاء أحكام الشرع المتعلقة بالحكم ابتداءً من أحكام البيعة وشروط انعقادها وأفضليتها، وانتهاءً بمحاسبة الخليفة ونصحه، مستفيداً من الحقبة الزمنية الممتدة من حكم الرسول ﷺ إلى آخر خليفة، وقد كان نظام الحكم في الإسلام الذي تبناه الحزب نسيجاً جامعاً مانعاً في سابقة يتحدى فيها كل أنظمة الحكم في العالم من حيث القوة في الكيان والقدرة، وفي الإدراة والاستقامة والشورى، وقد تبنى الحزب في نفس الصعيد مقدمةً للدستور تحتوي مواد جاهزة للتطبيق قائمة على أدلة شرعية وفق طريقة معتبرة في الاجتهاد أعاد من خلال إعدادها التشريعي والفقهي الأمة إلى عبق عصور الازدهار الفقهي وحرارة مجالس الفقهاء، كل هذا كان في قوة تحدٍّ لكل من رمى الإسلام بحيلولة عودته، وقد جسد الحزب رأياً عاماً يقوم على أن الإسلام صالح للناس في كل زمان ومكان مهما تقادم العهد، ومهما طعن الطاعنون وشكك المشككون، فالإسلام يعلو دائماً ولا يعلى عليه.

لقد حرص الحزب فيما تبناه إلى إعادة ثقة الأمة بدينها، وإلى إظهار قوة الإسلام في عقيدته وأنظمته للحياة، وإلى كشف زيف الفكرة التي أعطاها الغرب عن الإسلام بأنه دين كباقي الأديان: روحي، مشاعري، أخلاقي، وليس فيه أنظمة تعالج مشاكل الحياة معالجة حقيقية، بل على العكس من ذلك، فقد كشف أن الإسلام دين عقيدته روحية سياسية تنبثق عنها معالجات مشاكل الحياة جميعها، ليس للمسلمين فحسب بل للعالم أجمع.

لقد كان قيام الحزب، بعد أن مضى على هدم الخلافة عقود، في ظروف مظلمة عنيدة قطعت فيها الأمة الأمل بعودة الخلافة إلى الحياة، وفي ظروف دفع فيها اليأس أمة الإسلام إلى استلهام النهضة والتحرير من عدوها ومن أنظمته ومن روابط القومية والوطنية، وهي لا تعلم أنها بذلك تتجه نحو أسحق دركات الانحطاط. في هذه الظروف، وبفضل الله وتوفيقه، قيض الله لهذه الأمة أسداً من أسود الإسلام وهو العلامة المجدد المؤسس لحزب التحرير تقي الدين النبهاني، رحمه الله، فطرح مشروع عودة الأمة إلى

عهدها الأول فبعث حمية الإسلام في جنباتها، وأضاء نور العقيدة في قلوب الرجال، وأعاد الثقة بوعد الله، وأعاد الثقة بنظام الإسلام وحتمية عودته إلى حيز الوجود منيعاً مطبقاً ورسالة ظاهرة على الدين كله، وقد عمل على إنشاء حزب يخطو بقوة ليعيد بذلك سيرة كتلة الصحابة مترسماً خطى المصطفى ﷺ بالتثقيف، فخرّج شخصيات إسلامية فذة قادرة على حمل الدعوة باستقامة في السير وصلابة في الإرادة وثبات في العقيدة، ومن يطلع على كتاب الشخصية الإسلامية يرى الزخم الفكري الذي يصنع في الأمة بذرة هي بأشد الحاجة لها في هذا الزمان لتعود من جديد أمة تنبت رجال الدولة والحكم والفكر والسياسة، رجالاً قادرين على تحديد مجرى التاريخ.

لقد شكلت هذه الثقافة التي تبناها الحزب زاداً لحملة الدعوة والأمة، فهي ترقى بهم من علي إلى أعلى، وفي الوقت ذاته تجعل حملة الدعوة يسهرون ليصهروا أمتهم رأياً وفكراً وحكماً ليوحدوا هدفها؛ كي تسير في جادة عزها ونهضتها، ونذكر في هذا المقام كيف أن الله وفق الحزب للاضطلاع بمهمة بلورة الكثير من الأفكار والمقاييس وخصوصاً الأساسية والمفصلية منها، ومن أهمها تعريف العقل التعريف الصحيح حيث حقق بذلك إنجازاً عظيماً طالما حلم بتحقيقه الكثير من علماء المسلمين وغير المسلمين، وبهذه البلورة وضع الحدود في البحث وذلك من خلال تحديد العقل بحدوده، واعتبار البحث في خارج هذه الحدود إنما هو تجاوز وانحراف عن جادة الصواب؛ فلا يبحث فيما وراء الحس وهذا بحد ذاته أدى إلى الخروج من حيرة طالما عانى منها الكثير من العلماء وكانت تلقي بظلالها على عامة المسلمين.

ومن أبرز الأفكار التي بلورها الحزب تعريف المجتمع تعريفاً يكشف حقيقة المجتمعات على نحو يضع المرء إصبعه على العناصر المهمة والتي من خلالها يتم التغيير للمجتمعات نهضة أو إصلاحاً، وهذا الإنجاز بحق وضع ولأول مرة المسلمين على بداية الطريق نحو النهضة الصحيحة على أساس الإسلام، في فترة عانى منها المسلمون من التأثر بنظرة المبدأ الرأسمالي لواقع المجتمع على أنه يتكون من أفراد فإذا صلح الفرد يصلح المجتمع، وبقي الكثير من المسلمين في هذه الظلمة عشرات السنين يتخبطون في عملية التغيير بتأثير مثل هذه المفاهيم. كذلك وفق الله سبحانه وتعالى الحزب إلى التفريق الصحيح المنضبط ما بين الحضارة والمدنية والعلم والثقافة بشكل يجعل المسلمين يعرفون ماذا يجوز لهم أن يأخذوه من غيرهم من أصحاب الأفكار والمبادئ الأخرى وما لا يجوز، فأنقذ الأمة من التخبط في هذا المجال. كذلك وفق الله الحزب لبلورة معنى الروح والروحانية والناحية الروحية ليبعد عن

المسلمين تلك المشاعر الروحانية الخادعة، وليجعل روحانيتها الصحيحة دافعة لها إلى العبادة الحقة والموجهة توجهاً سليماً في عملية إرضاء الله سبحانه وتعالى.

أما بقية الأفكار التي بلورها الحزب فهي لا تقل أهمية عن هذه المقاييس التي عنت للمسلمين الشيء المهم والمصيري والتي يضيق هذا المقام لإظهارها فكلها متعلقة بوجود المسلمين أو اندثارهم.

وقد أعاد الحزب مستعيناً بالله فتح باب الاجتهاد باعتباره عنوان عز ودليل رشد وإبداع يعود بالأمة لتقتعد ذرى المجد. وفتحُ باب الاجتهاد يحل للمسلمين وللعالم أجمع معضلاته ومشاكله المستجدة، فقد سلط الحزب في هذا المقام الأضواء وبكل مثابرة وجد على طاقة الشحن للمسلمين في حياتهم ودولتهم ومجتمعهم، وهي طاقة قوامها الإسلام واللغة العربية تجتمع بما يكمن فيهما من قدرة على التأثير والتوسع والانتشار ليعيد بذلك للأمة مكانتها صاحبة رسالة تحيا بها ومن أجلها. هذا ولم يكتفِ الحزب بفتح باب الاجتهاد، بل قام بولوجه بقوة، فقد قام بعملية اجتهاد منضبطة بأصول شرعية تحقق له صفاء النظر ونقاء الفكر، ومن ثم قام على أساسها بتبني ثقافته اللازمة له للعمل لتحقيق ما وضعه لنفسه من غاية وهدف. وللحق وللتاريخ نقول إن الحزب بفتحه لباب الاجتهاد ولولوجه فيه ولتبنيه المنضبط يكون قد قام بأعظم إنجاز يعيد به الأمة إلى أمسها ليشرق من جديد.

ولقد نحى الحزب منحًى عقدياً عندما ترسم طريق الإسلام في التغيير، طريق الرسول ﷺ الواجبة الاتباع، وقد كان التزامه بالأدلة الشرعية وباستدلال شرعي واضح في كل ما دق وجل، والمبدئية التي اتسم بها في التزامه وصلابته واستمراريته على ذات المنهج الشرعي الذي سار عليه المصطفى ﷺ. قد كان هذا بتوفيق من الله وفضل، فقد سار كالجبل الأشم يردد قول الرسول ﷺ: «**والله يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه**» وكان لهذه الصراحة والصلابة والصدق صدًى عظيماً أقلق الدول الكبرى وعلى رأسها أميركا ومراكزها البحثية. وما ظهر على ألسنة كبرائهم وما أعلن لخير دليل، وما خفي أعظم.

نذكر في هذا المقام ما تسرب عن أحد أدهى رؤوس حراب الكفر في قلب العالم الإسلامي الجنرال السياسي العسكري غلوب باشا في الخمسينات، حيث تسرب من بعض دهاليز مجالسه معلقاً على حزب التحرير قائلاً: لقد قام هذا الحزب ليعيد الحروب الصليبية من جديد، وهو يعني كل ما يقول، وقد قالها محذراً ومحملاً الحكام المسؤولية في القضاء على هذا الحزب؛ لذلك فإننا نرى

أن الشدة التفت على عنق الحزب من هذه الأنظمة وبخاصة الحصار الإعلامي الخانق الظالم الذي عانى منه.

إن حزب التحرير هو الحزب الوحيد الذي اضطلع بمسؤولية حل قضايا المسلمين من خلال الاهتداء إلىعقدة الحل الأساسية، وكان ذلك بتحديده القضية المركزية تحديداً شرعياً واعياً وموضوعياً وملتزماً بطريق الإسلام في ذلك.

لقد أخذ على عاتقه مسؤولية القوامة على فكر المجتمع وحسه حتى يسير به نحو النهضة الحقيقية التي تحول بينه وبين الانتكاس، وكي يصل به إلى السعادة التي لا تتحقق إلا بنوال رضوان الله تعالى، وظل الحزب في كل هذا يتصرف تصرف القائد الرائد الذي لا يكذب أهله حتى استطاع أن يصهر الأمة في بوتقته على عين بصيرة ساهرة، فوحد هدفها بتوحيد أفكارها وآرائها وأحكامها حتى أصبحت العقيدة والخلافة والجهاد هي حياة الأمة ومصدر إلهامها، تتوق لإقامة الخلافة لتعود لجهادها ولتحمل عقيدتها، وهذه الأحاسيس في الأمة اليوم نراها عياناً بعد أن استيأسنا من الاستجابة لها سنين طوالاً.

والحزب اليوم، ولله المنة والفضل، يدق باب الخلافة، والأمة من ورائه ترنو عيناها ليفتح الباب في أي لحظة، وإنا لنراها قريبةً جداً، إن شاء الله، وسنراها عياناً بإذن الله وإنا لصادقون ومستبشرون بوعد ربنا. وهذه بحق هي تباشير النصر ومقدماته، ولو رجعنا إلى الوراء نرى فارقاً واسعاً بين اليوم والأمس، كيف أن الحزب كان يطرق باب المجتمع وحده ليفتح له، وظل يطرقه طرقاً فكرياً عقدياً حتى فتح له وحده، فكيف به اليوم يطرق باب الخلافة والأمة من ورائه تستنهض أبناءها من أولي العزم والقوة والمنعة كي ينصروها بنصرة الحزب؛ ليحكمها بما أنزل الله، وليعيدها خلافة راشدة لا شرقية ولا غربية، خلافة جهاد تقوم على العقيدة التي تحيا الأمة بها ومن أجلها، وتعيد الأمة إلى دارها دار الإسلام تحمل رايته، وتستظل بها، وتذلل الرايات تحتها، فما أعظمها من أيام وما أسعدها من ساعات.

ثم إن حزب التحرير لا تقتصر إنجازاته على ما قبل إقامة الخلافة، بل يملك تطلعات مبدئية واعية لما بعد الخلافة، و تتسم بالمسؤولية والوعي. ولعل أبرز تطلعات الحزب لما بعد إقامة الخلافة الراشدة هي:

١- أن يظل ضمانة في المجتمع يحول دون انتكاسه، بل ويظل مضطلعاً بمهمته كحزب مبدئي ردفاً للدولة ليصدقها ويؤازرها في مواطن الصدق، ويحاسبها وينصحها ويعزرها في مواطن الضعف، ضمن ما تمليه عليه الأحكام الشرعية، وللحزب في هذا الباب ما يتبنى.

٢- أن يظل حارساً أميناً للإسلام خادماً

وفياً لأمته، ينفي عن الإسلام ما ليس منه، ويبلور ما أبهم منه، ويستنطق نصوصه في كل ما يجدّ، ويحرص على حمله والدعوة به، ويخدم أمته من خلال سهره على مصالحها ضمن ما تمليه عليه الأحكام الشرعية بحث لا تتعارض مع ما هو مناط بالدولة الإسلامية، وبحيث لا تتجاوز رعاية شؤونها. وسيظل الحزب في هذا المجال وفياً للأمة كما عهدته منذ ما قبل إقامة الخلافة، وسيظل يشد ظهرها بإبداعه وحنكته وإقدامه.

٣- أن يظل حريصاً على القيام بكل أسباب المحافظة على ما أنجزه من خلال الرقابة التي تمليها المسؤولية الحزبية في ظل الدولة. كي تكون كما كانت في سالف عهدها أمة العقيدة والخلافة والجهاد، تعيش بإنجازها عزيزة، وتحمل رسالتها تقية نقية، وتكون لربها راضية مرضية.

خلاصة القول:

إن حزب التحرير قد اضطلع بمسؤولية مشروع الخلافة العظيم بكل جدارة، باذلاً في سبيل ذلك خيرة شبابه، وقد بنى رأياً عاماً على ذلك حتى أصبحت الخلافة والعقيدة والجهاد أمل الأمة المرتجى، تهتف بها كأمل مخلص من أقصى الشرق في جاكرتا إلى أقصى الغرب في الرباط، تشد على يد أبنائها من أهل القوة والمنعة أن ينصروا حزبها وجامع كلمتها؛ ليعيد الخلافة من جديد، ولتعود الحياة الإسلامية إلى دار المسلمين، وليحمل الإسلام رسالة خير للعالم أجمع. وبناء على هذا الرصيد الذي جمعه الحزب بفضل الله فإن ثمرة زرعه قد أصبحت يانعة، وقد حان قطافها بإذن الله، وإن الخلافة لم يبقَ إلا إعلانها إن شاء الله. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم ٤-٥].

مقابلات مع شباب من الرعيل الأول في الدعوة

إن أوائل من حمل الدعوة مع حزب التحرير تعرضوا للضغوط والمنع والاعتقال والتهجير والسجن لمنعهم من حمل الدعوة، إلا أنهم استمروا بكل عزم وثبات، وكانوا سبباً في حمل الكثيرين من المسلمين لدعوة الخير هذه. وكم يزداد التقدير لهؤلاء عندما تراهم لايزالون يحملون الدعوة ويعملون بكل عزم وحزم في صفوف حزب التحرير من غير أن تفتر لهم همة أو تلين قناة. نسأل الله أن يكرم أمثال هؤلاء الذين تتشرف الدعوة بوجودهم في صفوفها أن يكرمهم بنصر قريب، وما من شيء على الله بعزيز.

وإن «الوعي» أحبت أن تنقل بعض المقابلات مع شباب من الرعيل الأول ممن كان لهم باع في

الدعوة، ممن تحملوا لأواءها وذلك كنموذج ومثال لما واجهته الدعوة من بداية طريقها وماتزال، ولتكشف عن أن حلقات الدعوة الحقة متجانسة من لدن آدم عليه السلام مروراً بالأنبياء والرسل عليهم السلام إلى قيام الساعة. ومما جاء في هذه المقابلات:

المقابلة الأولى مع الحاج أبو راتب (٧٠ سنة):

١- سؤال: الدعوة بدأت في فلسطين وبالتحديد في مدينتي القدس والخليل، كيف كان واقع المسلمين في ذلك الوقت وكيف أصبح المسلمون اليوم؟

- **جواب:** كان الناس في ذلك الوقت يعيشون في ظلام، ولم يكونوا يعرفون أنهم كذلك، وكانت عوارض الانحطاط تظهر عليهم في أحاديثهم التي لم تكن تمت إلى حالهم بصلة، حتى إنهم كانوا يفخرون بملوكهم وزعاماتهم، وعلى سبيل المثال كنا نسمعهم يفخرون بالملك فاروق لجماله وقيافته، ويقولون هذا ملك مصر والسودان، وكنا نسمع عن الأمير عبد الله بن الحسين بن علي -قائد الثورة العربية- كما يزعمون، وكذلك الكلام عن غلوب الإنجليزي الملقب (غلوب باشا) حيث كان الناس يمدحونه لأنه أنه كان سريع التأقلم مع القبائل في الأردن، وكان الناس إذا ما زار ملك أو زعيم بلداً يتسابقون ويهرولون لرؤيته وهو مار في موكبه، ولم يكونوا يرجون من زعيم شيئاً لأنهم لم يكونوا يحسّون بأنهم بحاجة إلى شيء من التغيير، أما ما كانوا يقرؤون في الصحف والمجلات، فكانت تصلهم آنذاك الصحف والمجلات من مصر ولبنان، وكانت صفحاتها مليئة بأخبار الرياضة وفيها من الأحجيات والهزل وأخبار القصور الملكية وسكانها، وتنقلات الأميرات وأقوالهن وزياراتهن الشيء الكثير، والمصيبة أن الناس كانوا يتعايشون مع الذي يقرؤون.

هذا شيء من مظاهر الانحطاط كانت تعيشه الأمة.

أما اليوم والحمد لله وبفضله، ترسخت وتجذرت الدعوة التي يقودها حزب التحرير لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة، فنستطيع القول إن بناء دولة الخلافة قد تحقق منه الجزء الأكبر، حيث أصبح الناس ينبذون ويستقذرون كل الشعارات التي ليست من الإسلام، ولم يبقَ مجال أو اتساع إلا للدعوة إلى الخلافة، وصار معظم الناس في العالم الإسلامي ينتظرون عودة الخلافة التي كانت خرافة قبل وجود حزب التحرير.

٢- سؤال: ما الذي تشعر به وقد وجدت في الفترة التي غاب فيها الحكم الإسلامي؟

- **جواب:** يمكن الإجابة على هذا السؤال من وجهين، الوجه الأول أنني أعتصر ألماً لأننا نعيش في ديار الكفر وفي غياب حكم

الإسلام، وقد تكالبت علينا الأمم الكافرة وحلت بنا المصائب.

أما الوجه الآخر فإنني أشعر بالمكرمة من الله وأنا أعيش في مجتمع ليس إسلامياً وبحاجة إلى التغيير، وأنا سعيد حيث مكنني الله سبحانه من المشاركة في أعظم الأعمال وهو التغيير، الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور، إن هذه مكرمة من الله أن يشارك المسلم في إعادة حكم الإسلام إلى أرض الواقع، ويمكن القول إن هذا الظرف من نوادر الدهر، فطوبى لمن استغله وشارك في التغيير الذي فرضه الله على كل مسلم. إن هذا الظرف لم يتيسر لأحد قد عاش في ظل حكم الإسلام وقد حرم أجر التغيير. إن هذا العمل السياسي الجبار عمل الأنبياء، لا يتيسر إلا لمن يسّره الله له. إن الناس يطمعون بالصدقة الجارية على عظم أجرها، ولكن أين الصدقة الجارية من هذا العمل العظيم الذي يمكن صاحبه من نيل أجر الذين سوف يدخلون في الإسلام وحتى قيام الساعة؟

ولو فهم المسلمون هذه الحقيقة لما تخلف أحد منهم عن المشاركة في إعادة حكم الله إلى الأرض.

٣- سؤال: هل درست على يدي الشيخ تقي الدين النبهاني مؤسس حزب التحرير؟ وهل من أمر كان ملفتاً للنظر؟

جواب: طبعاً أنا درست على يدي الشيخ تقي الدين النبهاني، رحمه الله، وكان معنا في حلقتنا الشيخ غانم عبده، والشيخ عبد العزيز البدري، والشيخ أحمد الداعور، والشيخ عبد القديم زلوم، رحمهم الله جميعاً.

كان إنتاج الشيخ تقي الدين رحمه لله غنياً عن القول وعن التعريف به، وكان الشيخ يكن له الناس كل التقدير والاحترام، وأستطيع القول إن العلاقة التي كانت بين الشباب وبين أميرهم تعود بنا إلى عهد الصحابة علاقة مبنية على الأخوة في الله وعلى التواضع والتقدير...

أقول لك إن هندام (ملابس) الشيخ تقي الدين كانت تشع ذكاءً، لقد كان إنساناً فريداً مفكراً وعبقرياً.

٤- سؤال: هل هناك من نصيحة توجهها لحملة الدعوة وللمسلمين بعامة؟

- **جواب:** أنصح كل مسلم أن يعمل على إبراء ذمته أمام الله وأن يحمل الدعوة ويكسب هذا الشرف العظيم، شرف إقامة دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، فالعمل لها قبل قيامها ليس كالتصفيق لها بعد قيامها.

المقابلة الثانية مع الشيخ أبي مأمون (٧٠ عاماً):

١- سؤال: المسلمون اليوم يتوقون لعودة الخلافة الإسلامية، هل يمكننا القول إن فكرة الخلافة وترسيخها في أذهان المسلمين منشؤها حزب التحرير؟

- **جواب:** لم يسبق حزب التحرير أحد

في هذا الطرح وكانت هذه الفكرة نتيجة بحث طويل وتفكير مستنير في التوصل لعلاج مشكلة الأمة، وهو استئناف الحياة الإسلامية بإعادة الخلافة، نعم إن فكرة عودة الخلافة منشؤها حزب التحرير.

٢- سؤال: ما هي الشعارات التي كانت سائدة في بداية الدعوة، وبالذات سنوات الخمسينات والستينات؟

- **جواب**: القومية العربية كانت تغني لها كل الإذاعات (صوت العرب، إذاعة عمان، بغداد...) وكانت موضة تلك الفترة، ولقد كانت هذه الدعوات عقبة أمام صحوة الأمة وعودتها إلى دينها، وأخذت دوراً وفترة من الزمن من حياة المسلمين.

٣- سؤال: كيف كانت ثقة الناس بالحكام وبالأنظمة القائمة في بداية ظهور حزب التحرير؟ وكيف كانت تنظر الأمة لما يطرح الحكام من أمور سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية؟

- جواب: الأمة كما قلت لك في البداية كانت تعيش في ظلام، وكان للحكام مكانة عند الكثيرين، فقد صور الحكام في تلك الفترة بأنهم أبطال ومجاهدون، ومحررون للمسلمين من الاستعمار... فالعديد من المسرحيات والتمثيليات حبكت وأخرجت للمسلمين، وأبرزت تلك الصورة عنهم، وانطلت على الكثيرين منهم... ولذلك كان اتهام أي حاكم بالعمالة أو الخيانة أمر كبير وخطيئة يحاسب صاحبها عليها...

المقابلة الثالثة مع الأستاذ جمعة من مدينة أنقرة:

١- سؤال: كيف التقيتم بالحزب، وكيف كانت الأجواء في تركيا من الناحية الإسلامية؟

- جواب: في السنوات الأولى لتأسيس الحزب كنت طالباً في الإعدادية في سوريا، وكانت منشورات الحزب آنذاك تصل إلي، مما جعلني أطلع على أفكار الحزب في وقت مبكر من عمري. لقد كان تأسيس الحزب عملاً جسوراً وذا بصيرة ثاقبة، ذلك أن البلاد الإسلامية التي كانت مجتمعة تحت لواء الخلافة العثمانية قد تم تقطيعها على يد الكفار المستعمرين، إضافة إلى أن الكفار المستعمرين تمكنوا من خلال الأعمال المدروسة من إبعاد الأمة عن دينها، ومنعوها من تعلم الأفكار السياسية الإسلامية. وفي هذه الأجواء وبالرغم من أنني ولدت في تركيا، إلا أنني عندما بلغت سن السادسة رفض والدي تسجيلي للتعلم في المدارس التركية العلمانية، وقام ببيع أملاكه وعقاراته وتوجه بي إلى سوريا، وما قاله لي آنذاك لا يزال يرن في أذني: "**أرجو أن نتمكن بهذا من تعلم ديننا، وأن لا نترعرع كالكفار**".

في ذلك الوقت كانت المرأة المسلمة في تركيا لا تتمكن من السير في الطرقات

وهي ترتدي اللباس الشرعي، وإن هي قامت بذلك، فستكون معرضة للمضايقات وتقطيع ونتش لباسها. ومن جانب آخر فقد أسست في ذلك الوقت محاكم الاستقلال، وقاموا بإظهار أشد أنواع ردود الفعل تجاه علماء أجلاء كالشيخ سعيد الكردي الذي تم إعدامه لكونه ترأس حركة تطالب بإعادة الخلافة. وكان الهدف من وراء وحشيتهم تلك ترويع المسلمين، وكأنهم يقولون لهم: "إن أنتم طالبتم بالخلافة.. وإن أنتم عملتم ضمن أي حركة تسعى لذلك.. فإن نهايتكم ستكون كنهاية الشيخ (سعيد بيران)".

٢- سؤال: ما هي الأصداء وردات الفعل التي أوجدتها فكرة إعادة إقامة الخلافة بقيادة حزب التحرير في الرأي العام التركي، خصوصاً وأن تركيا تتحمل وزراً كبيراً من أنها البلد الذي هدمت الخلافة فيه؟

- **جواب:** في عام ١٩٦٧ عدت من سوريا إلى تركيا، وفي تلك السنوات نفذت أولى عمليات الاعتقال ضد حزب التحرير في تركيا، وكان قادة الحزب في تركيا قد اعتقلوا. وفي ذلك الوقت الأعم الأغلب من الصحافة التركية كانت منشغلة بأخبار الحزب وتكتب عنه بالخط العريض، حتى أن عصمت إينو رئيس حزب الشعب الجمهوري المعارض آنذاك، وهو من أقرب المقربين لمصطفى كمال، كان قد أخذ كتابنا "نظام الإسلام" بيده ورفعه في البرلمان وخاطب النواب بغضب قائلاً: "من الذين يطبعون هذا الكتاب؟! ومن أين ينفق عليه؟!"، لقد قال ذلك ووجه الاتهام للحكومة، وكرد على ذلك قام وزير الداخلية فاروق سوكان بتأسيس "تشكيلات الصراع القومي الجديدة" للوقوف في وجه الحزب وللحيلولة دون انتشار وتجذر فكرة الخلافة الراشدة في المجتمع التركي. إن هذه التشكيلات من جانب استخدمت النواحي الفكرية، فاستخدمت الألفاظ والمصطلحات الإسلامية محاولة جذب المسلمين إليها، ومن جانب آخر كانت تتقصد التغلغل في الأوساط المتدينة لمعرفة حقيقة أفكار الحزب وهيكليته الحزبية.

إن هذه التشكيلات لعبت وتلعب دوراً أساسياً في الأسس التي تقوم عليها كافة الأحزاب السياسية التي توجه خطابها للمسلمين، فعلى سبيل المثال؛ لعبت هذه التشكيلات دوراً أساسياً في تأسيس أحزاب كلٍ من نجم الدين أربكان وتورغوت أوزال ورجب أردوغان الآن، حتى إن عدداً من وزراء حكومة حزب العدالة والتنمية الآن هم أعضاء قدامى في تلك التشكيلات. ولهذا فإن العداء الشديد الذي تظهره حكومة حزب العدالة والتنمية تجاه الخلافة وتجاه الحزب، هو عداء قديم مستفحل متجذر تاريخي. وبمعنى آخر، إن عملاء الإنجليز آنذاك من

العلمانيين وعملاء أميركا من المحافظين قد اتحدوا في مواجهة الدعوة الإسلامية. ورغم كل ذلك فإن مما لا شك فيه أن رغبة الأمة متجهة نحو الخلافة، وإن كان يسود الناس الخوف.

المقابلة الرابعة مع الأستاذ مهمت من مدينة أنقرة:

١- سؤال: كيف التقيتم بالحزب، وكيف كانت الأجواء في تركيا من الناحية الإسلامية؟

- **جواب:** بالنسبة لالتقائي بحزب التحرير، فقد كان على النحو الآتي:

في عام ١٩٦٥ كنت طالباً في جامعة "غازي" بأنقرة، وهناك حضر إلي أحد زملائي في الدراسة وقال لي: "إن خونة العرب والترك الذين تحالفوا مع الإنجليز هم الذين طعنونا من الخلف، لذا فمن الخطأ تحميل المسئولية لكافة العرب"، لقد وقع كلامه علي وقعاً جميلاً وتأثرت به أيما تأثر. لذا بدأت الدراسة معهم في ثقافة الحزب، وأنهيت دراستي الجامعية، وقبل أن يتم تحزيبي، صدر قرار بنقل وظيفتي إلى مدينة أخرى. لذا بدأت بمفردي حمل الدعوة في المكان الذي انتقلت إليه. وبعد عام من ذلك تمت محاكمتي بسبب المنشورات التي عثر عليها في منزلي، واتهمت بالعمل لإسقاط الدولة وبتحقير مصطفى كمال. وتمت معاقبتي بمنعي من ممارسة وظيفتي لمدة عامين، وخلال العامين استمررت في حمل الدعوة دون توقف.

في ذلك الوقت كانت الأفكار المادية (الشيوعية) والأفكار الكمالية هي المسيطرة على المدارس والأوساط التعليمية، ولم يكن هناك شيء باسم الإسلام بتاتاً. وفي مثل تلك الأجواء كانت هنالك طرق صوفية وحركات قومية وأخلاقية تمثل الإسلام، وحتى هؤلاء كانوا يعملون بسرية. المراجع التي كان يستند إليها آنذاك في الجانب السياسي الإسلامي هي كتب سيد قطب وأبو الأعلى المودودي وجماعة الإخوان المسلمين، إلا أن تلك المراجع لم تتعدَّ عن كونها ثقافة، فلم تتحول تلك الثقافة إلى تكتل يحملها ويدعو إليها، فكانت أفكاراً بلا تكتل. في هذه الأجواء وضع حزب التحرير دمغته الأولى في تركيا بتأسيسه أول تكتل سياسي إسلامي في تركيا يقوم على المبدأ الإسلامي وعلى الأفكار السياسية. وصُدم حكام تركيا آنذاك بالطابع وبالأوصاف التي يقوم عليها الحزب. وكان الحزب آنذاك يوزع المنشورات والإصدارات بصورة سرية إلا أنها مؤثرة، حتى وصل الحال بوزير الداخلية آنذاك (فاروق سوكان) بالتعليق على أعمال الحزب قائلاً: "لا أستطيع النوم منذ عدة أيام بسبب المستجدات".

٢- سؤال: ما هي الأصداء وردات الفعل التي أوجدتها فكرة إعادة إقامة الخلافة

بقيادة حزب التحرير في الرأي العام التركي، خصوصاً وأن تركيا تتحمل وزراً كبيراً من أنها البلد الذي هدمت الخلافة فيه؟

- **جواب:** أود أن أعطي بعض الأمثلة حول ذلك:

في ذلك الوقت، كانوا قد نشروا في إحدى الصحف كاريكاتيراً، يظهر فيه رجلاً يقص شعره عند الحلاق، ورجل آخر يدخل محل الحلاقة وهو مضطرب ومدهوش ويصرخ قائلاً: "التحريريون قادمون!".

وفي كاريكاتير آخر: إمرأة غاضبة تدخل مركزاً للشرطة وتشكو للشرطة قائلة: "إن هؤلاء التحريريين يضعون المنشورات في صندوق بريدنا أيضاً".

إن السلطان عبد الحميد خان المشهور بدهائه السياسي، كان يدرك مستجدات الأحداث وتطوراتها وردود فعل الناس من خلال متابعة الكاريكاتيرات. فعندما يصل الأمر إلى أن ترسم الكاريكاتيرات التي تتحدث عن حزب التحرير، فإن ذلك يشير إلى المدى الذي وصل به تغلغل الحزب وانشغال الرأي العام به.

وأود أن أتحدث عن بعض المقالات التي كتبت آنذاك، لبيان مدى الحملة التي وجهت لنا:

في شهر آب/أغسطس ١٩٦٧ كتب الكاتب الصحفي العلماني مهمت توكار، وهو نسيب عصمت إنينو، مقالاً يدعو فيه الجيش للقيام بواجبهم، حيث جاء في المقال ما نصه: "يتوجب على مجلس الأمن القومي دراسة المنشور الأخير الذي وزعته التشكيلات السرية لليمينيين المتمثلة بحزب التحرير دراسة مستفيضة... ومما يفهم من المنشور أنهم يفكرون بشكل جدي تعيين خليفة في مكان ما، ويعدون لجعل المسلمين في تركيا يبايعونه... وكما أذكر فإن نسيب إنينو كان قد كتب في مقالة أخرى له: "إن الشيوعيون يوجدون التشكيلات، والمسلمين أيضاً يوجدون التشكيلات، إلا أن الخطر الذي سيأتي من المسلمين سيكون أضعافاً مضاعفة للخطر الذي قد يأتي من الشيوعيين!".

٣- **سؤال: ما الذي شعرتم به أثناء حضوركم فعاليات قراءة نداء حزب التحرير الذي نظم العام المنصرم والذي طالب بإعادة إقامة الخلافة التي تمكن أعداء الإسلام من هدمها في معقلها في مدينة السلطان محمد فاتح القسطنطينية، مركز دار الخلافة إسلامبول؟**

- **جواب:** لقد حمدت الله كثيراً، من الصعب أن أشرح لك الآن الأحاسيس التي انتابتني آنذاك، ولكنني أستطيع أن أصف العمل بكلمة واحدة وهي أنه كان عملاً "عظيماً". راجياً من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لتنظيم عمل أكبر وأكثر تأثيراً في

القريب العاجل.

في المجتمع رغبات خاصة تجاه الأفكار الإسلامية وتجاه الخلافة، وعندما تشرح الأفكار لها تصغي بعناية، وحتى إن كان هناك خوف فإن الخوف لا يظهر مباشرة، ذلك أن الرغبة والفضول تدفع الأمة للتفكير ووزن ما يطرح عليها. إن أمتنا بحاجة ماسة لكيان سياسي عظيم يحكم بما أنزل الله ويقضي على ظلم وطغيان الكفر من الأرض ويؤسس حكم الإسلام ويهرول لمد يد العون لإخواننا في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وكشمير، والتي ستعلن الجهاد في سبيل الله. إن هذا الكيان لم يعد مجرد مطلب شرعي بل بات مطلباً سياسياً وإنسانياً، خصوصاً بعد أن عانت البشرية بأكملها من الرأسمالية الفاسدة ورائحتها النتنة التي أزكمت الأنوف. لذا فإن هذه المسئولية العظيمة تقع على عاتقنا، ومما هو حقيقة أن حملنا الدعوة بعزم وإصرار وإخلاص ودون أن نخشى لوم اللائمين سيؤدي في النهاية إلى تلبية الناس لدعوتنا وندائنا والتفافهم حولنا ونصرة دعوة الخير هذه.

بحمد الله وفضله فمنذ تلك السنوات وحتى أيامنا هذه حُملت راية العزة هذه، والآن نحن مطمئنون أن حملة الراية هم من خيرة أبناء الأمة وهم خير من يُستأمن على حمل راية العزة هذه. وبحمد الله إنني أشعر براحة واطمئنان وسعادة من هذا الجانب. ومهما حمدنا الله سبحانه وتعالى أن أكرم الأمة الإسلامية بشباب مختارين أقوياء أشداء أصحاب عزم وقرار فلن نؤديه حقه جل وعلا. ولقد آن أوان العمل الدؤوب الجدي الذي يوصل الليل بالنهار المفضي لإلحاق الضربة القاضية للطاغوت بعون الله وإذنه.

المقابلة الخامسة مع الشيخ الإمام راشد من مدينة بورصة:

١- سؤال: بداية، هل لكم أن تعلمونا بأحاسيسكم بمناسبة ذكرى هدم دولة الخلافة؟

- **جواب**: إن الخلافة تعني تنظيم الحياة بأكملها بما يرضي الله تعالى. إن الخلافة هي نظام الحكم في الإسلام، فزوال الخلافة يعني زوال تطبيق الإسلام من الحياة وعدم العيش وفق أحكام الله. وللأسف فإن أمة الإسلام العظيمة بعد أن زالت الخلافة عنها أصبحت كالجسد بلا رأس، ففقدت جُنَّتها، وأصبحت عرضة لمختلف الأمراض والبلايا، وبات الكفار المستعمرون يعتدون عليها من كل حدب وصوب، وكسروا أذرع وأرجل الأمة فشلوا حركتها، واستمر الحال على ذلك منذ ٨٥ عاماً، إن حال الأمة هذا هو الهوان بعينه. وطالما لا وجود للخلافة فلن يكون باستطاعة الأمة جمع أوصالها من جديد، ولن تتمكن من إعادة أمجادها الماضية وأيامها المشرفة، فبالخلافة نحيا وبلا

خلافة فلا حياة لنا.

٢- سؤال: عندما تقارنون بين سير حزب التحرير في سنوات السبعينيات من القرن المنصرم وبين سيره الآن، هل تلاحظون أية فروق؟

- جواب: لا يوجد أية فروق في الأسس التي يقوم عليها الحزب بين ذلك الوقت والآن، فالحزب كان يقوم آنذاك على الأحكام الشرعية والآن الواقع لم يتغير فهو يقوم على الأحكام الشرعية نفسها، ولأن الأحكام الشرعية لا تتغير ولا تتبدل بتغير الزمان فالأسس التي يقوم عليها الحزب لم تتغير ولم تتبدل مع مرور الزمان. وطريقة الحزب هي طريقة رسول الله ﷺ، وهي حكم شرعي ثابت لا يتغير. أما بالنسبة لاختلاف الأساليب والاجتهاد فيها فهو لطف من الله سبحانه وتعالى ورحمة بالعباد. واتساع حجم تبنيات الحزب لدليل على ارتفاع ونهضة وقوة الحزب.

إن حزب التحرير كان أول من عرَّف المسلمين في تركيا بالعديد من المفاهيم الإسلامية الأساسية ودفعهم لاتخاذها قضية مصيرية، من مثل: الخلافة، الدولة الإسلامية، وجوب الالتزام بالأحكام الشرعية، وجوب الالتزام باللباس الشرعي، ارتداء الخمار، وجوب وحدة الأمة، وجوب حمل الدعوة الإسلامية بعزم وحزم وقوة، ووجوب التكتل ضمن حزب سياسي مبدأه الإسلام. وبحمد الله فما زال الحزب يحافظ على نهجه وعلى دوره القيادي للأمة.

فبفضل الله وحده استطاع الحزب أن يجعل الخلافة موضع نقاش وما زالت تأخذ حيزاً كبيراً من نقاشات الرأي العام. ففي السبعينات عندما كنا نطرح مفهوم الخلافة بين الناس، كنا نجد بوناً شاسعاً بين الناس وبين الخلافة، أما الآن وبحمد الله وحده فإن الناس باتوا يتقربون منا ويستمعون إلينا ويعون ما نقول. لذا فعندما أنظر من هذه الزاوية أرى فرقاً كبيراً إيجابياً. فالحمد لله، إن الخلافة أصبحت رغبة ومطلباً متركزاً لدى الناس.

٣- سؤال: ختاماً ما الذي يتوجب أن تعنيه الخلافة بالنسبة للمسلمين، ما هو قولكم بهذا الخصوص؟

- **جواب**: إن الخلافة ليس بالمطلب المستحيل، بل إنها أهم وألزم الأمور لكل مسلم يبغي نيل سعادة الدنيا والآخرة، وهي بشرى رسول الله ﷺ. مما لا شك فيه أن الله سائلنا عن أعمالنا، لذا فيتوجب علينا جعل الإسلام هو الحاكم لشؤون الحياة وأحكامه هي المطبقة. ولا يمكن أن يَتصور المسلم حياة عزيزة له دون الخلافة، فلا يوجد نظام أو طراز حياة يوازي نظام الخلافة وطراز الحياة الإسلامية. إن الخلافة هي تاج الفروض، بها تقام أحكام الإسلام وحدوده، وبها يحل العدل والإحسان، الأمن والطمأنينة، الاستقرار والسكينة، الرحمة والهداية. وأي

شيء دون الخلافة فهو محض هوى وضلال وفي بعض الأحيان خيانة.

لقد تمكن الكفار المستعمرون من إلغاء الخلافة بواسطة عملائهم في المنطقة من خلال الخطط والمؤامرات والدسائس والأضاليل التي حاكوها تجاه الأمة الإسلامية، حتى وصل حد مؤامرتهم للقول آنذاك: "إن الخلافة لن تلغى، وستبقى مندمجة في الجمهورية"، وما لبثوا بعد ذلك بقليل إلا أن أعلنوا إلغاء نظام الخلافة كاملاً، وطردوا الخليفة وعائلته من بلادهم شر طردة، وقاموا بإلغاء كافة مظاهرة الشريعة من الحياة، ووضعوا أنظمة وقوانين مأخوذة من الغرب وطراز حياتهم، حتى وصل بهم الحد أن منعوا تعلم وتعليم القرآن في تركيا، وحولوا الأذان للغة التركية، وحولوا عدداً من المساجد لتصبح إسطبلات للحيوانات، فأظهروا بأفعالهم الدنيئة تلك مدى الحقد الدفين الذي يكنونه للإسلام. بعد أن تمكنوا من إلغاء الخلافة فعلياً أظهروا وجههم الحقيقي، حيث قاموا إضافة إلى ما ذكرت، بقتل خمسمائة ألف (٥٠٠,٠٠٠) مسلم معظمهم كانوا من العلماء والأئمة والفقهاء ومن المسلمين الذين كانوا يدركون حقيقة الإسلام وحقيقة كفر النظام الجمهوري، وبعد ذلك استمرت ومازالت ظلمات ومؤامرات ومكائد الجمهورية التركية تجاه الإسلام والمسلمين. إن النظام الجمهوري العلماني يستند في أسسه على عقل الإنسان العاجز الناقص المحتاج، وهو عينه ما تستند عليه أنظمة الغرب الكافر، ونظامهم يقوم على عبادة العباد للعباد، وعلى الظلم والتضليل، لذا فإن النظام العلماني أبداً لم يمنح أمتنا السعادة، ولم ولن يحل أياً من المشاكل التي تواجه أمتنا.

وختاماً فإنني أوجه النداء لحملة الدعوة المخلصين الأشداء:

اصبروا واثبتوا، فمما لا شك فيه أن الله مع الصابرين، واصلوا تفاعلكم وعملكم الدؤوب، صِلوا ليلكم بنهاركم، ولا تحزنوا فالله معنا، وغذوا سيركم لتصلوا إلى قمة الفهم والإدراك والوعي، ولا تلقوا بالاً للظلمة وظلمهم، فالله ممهلهم وليس مهملهم. واذكروا على الدوام فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان، وكشمير وأمهاتنا وآباؤنا وأخواتنا وإخواننا وأطفالنا الذين يرزحون تحت نير الاحتلال والظلم. إن مما لا شك فيه أن وعد الله سبحانه حق، وأن بشرى رسوله ﷺ كائنة لا محال، فإن أنتم نصرتم دين الله فإن الله ناصركم في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة، واعلموا أن نصر الله قريب، وعندها يفرح المؤمنون بنصر الله ❑

أبا ياسين أعلنها وكبّر

عرفنا الحقَّ أدركنا اليقينا ... خلافَتُنا سبيل العزِّ فينا
أبا ياسين أعلنها وكبِّر ... فإنَّ الله قد أعلاك فينا
ونحن الجند عاهدناك دوماً ... على الإقدام أقسمنا اليمينا
وقل للقادرين ومن أحاطوا ... بأسباب الحصانة مخلصينا
ومن تاهوا على الدنيا بعزٍّ ... ومن بالحق أَضْحَوا قاهرينا
ألا هبوا فإن الوعد حق ... ألا هبوا لنصر الصالحينا
ولا تبقوا لأهل الحكم ناراً ... ولا أملاً لكل الطامعينا
فإن الله يحبوكم بمجد ... فدين الله يرضي الصادقينا
على الطاغوت لا تلق السلاما ... ولا وصلاً ولا حبلاً متينا
فكم في الأمر عاثَ رُوَيْبضاتٌ ... عضاريطٌ تسوء الناظرينا
إذا سُجِنَ الدعاةُ فهم ذئابٌ ... وفي ساح الوغى مُتَقَهْقِرينا
جيوشَ العزِّ هيّا فلتُجيبُوا ... نداء الخير عزّ المسلمينا
أجيبوا دعوة الداعي بحقٍّ ... ولا ترضوا هوان الصاغرينا
ثباتٍ أو جميعاً في نفارٍ ... ودُكُّوا الحصن، حصن الغادرينا
على الطاغوت ثوروا كي تردوا ... كرامتنا برغم الظالمينا
إلامَ الصبرُ والأعراضَ كلمى ... وموجُ الكفر يجتاح السفينا
لِمَ التسويفُ والدنيا تُغَنِّي ... نشيدَ الوعد مملوءاً حنينا
خلافتنا على الدنيا نعيم ... وغايتنا خلاص العالمينا
خلافتنا سلام ثم عدل ... وقلعتنا ملاذ الحائرينا
خلافتنا على الأكوان نور ... يشع الحق من فيها وفينا
خلافتنا على الطاغوت نار ... تُحرِّقه وتتركه دفينا
بعودتها قلوبُ الناس حقاً ... وكلُّ عقولنا فاضت يقينا
فغذّوا السير نوجدْها سريعاً ... وبالتكبير نصدع مصبحينا □

عبد الستار حسن (أبو خليل)

أثر غياب الحزب السياسي على سقوط الخلافة وإقامتها

عوض ناجي – السودان

إن الأمة التي تريد النهوض لابد لها من أن تؤسس حياتها على مبدأ يجمع بين الفكرة والطريقة، فيكون هذا المبدأ أساساً فكرياً، وقيادة توجه فكر الإنسان في الحياة، فيأخذ منه معالجاته وأنظمة حياته إن كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية،أو غيرها فيحصل بذلك الاستقرار والارتقاء.

فالدولة هي التي تجعل المبدأ فاعلاً في الحياة، ووجود الدولة والمحافظة عليها لا يتم الا عن طريق حزب سياسي. وكذلك هدم الدولة يتم عن طريق حزب سياسي؛ لأن الدولة كيان تنفيذي لمجموعة المقاييس والمفاهيم والقناعات التي تقبلها شعب ما أو أمة، والذي يحمل شعباً أو أمةً على تقبل هذه المفاهيم هو الحزب السياسي.

وهذا يفسر لنا ما قام به النبي ﷺ عندما جاء بالإسلام بوصفه مبدأً للحياة. حيث عمل على تكتيل كل من آمن به على أساس الإسلام في جماعة سياسية لتقوم معه بالعمل على إقامة الدولة. ووصفنا للجماعة التي أسسها النبي ﷺ بأنها حزبٌ سياسيٌ، لأنها ينطبق عليها تعريف الحزب؛ لأن الحزب عبارة عن أفراد تكتلوا حول فكرة واضحة مبلورة يريدون إيجادها في الواقع، وهذا ما عمله النبي ﷺ، فنجد أن الصحابة، رضوان الله عليهم، يمثلون تكتلاً سياسياً يعمل على إيجاد الإسلام في الواقع، فهذه الجماعة التي أنشأها النبي ﷺ هي التي عملت على إقامة الدولة الإسلامية في المدينة.

وشاهد من الواقع الذي عايشناه وهو قيام دولة الاتحاد السوفياتي فقد كان عن طريق الحزب الشيوعي. ولكن الفارق بينها وبين دولة النبي ﷺ هو أن دولة النبي ﷺ قامت بعد تقبل جمهرة الناس في المدينة لمفاهيم الإسلام، أما الحزب الشيوعي فقد حمل الناس بالقوة على الخضوع لأفكاره ومفاهيمه دون قناعة بها، ولقد قيل إن الذين

اعتنقوا الشيوعية لا تصل نسبتهم إلى خمسة بالمئة من جمهرة الناس وكان هذا عاملاً قوياً ساعد على انهيار الدولة.

ولا يقتصر عمل الحزب على إقامة الدولة فحسب، إنما يستمر عمله للمحافظة على الدولة من الانحراف وعلى المجتمع من الانحلال؛ لأن قوة الدولة في فكرها. والذي يقوم على هذا الفكر هو الحزب السياسي، فهو الحارس على فكر المجتمع وحسه، فإذا لاحظ انحرافاً فكرياً في الدولة أو المجتمع قام على تصحيحه، فيكون المبدأ في حصن حصين، وهذا ما كان يفعله الصحابة، رضوان الله عليهم، إذ لايقبلون في الحق شفيعاً ولا يسكتون عن باطل مهما كان. ونجد أن النبي ﷺ حافظ على صفاء ونقاء فكر هذه الكتلة، لأنها هي الضمانة لسير الدولة بعد إقامتها، وهذا ما نفهمه من قوله ﷺ: «**لاهجرة بعد الفتح**» وقد أدرك عمر رضي الله عنه هذه النقطة فحرص على نقاء الكتلة، فمنع الصحابة من الاستيطان خارج المدينة حتى تبقى الكتلة نقية فكرياً ومشاعرياً.

ثم إننا نجد أن الله وعز وجل قد وضع أحكاماً في القرآن والسنة تبين أهميه وجود الحزب للمحافظة على المبدأ، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران ١٠٤]، في هذه الآية ذكر الله تعالى الأمر بالمعررف والنهي عن المنكر بعد ذكر الخير الذي يتضمنهما، وفي ذلك دلالة على أهميه الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر؛ لأن ذكر الخاص بعد العام يدلل على أهمية الخاص. وتأتي أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الآية لأنهما يمثلان حكماً شرعياً متعلقاً بالمحافظة على المبدأ من أن يفرّط فيه بعض أبناء الأمة، فينهار بذلك البنيان الذي يطبق الإسلام. ومن السنة قول النبي ﷺ: «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا**» (البخاري) فيبين الرسول ﷺ أن عدم المحافظة على أفكار وأحكام الإسلام يؤدي إلى الهلاك، وأكبر هلاك هو سقوط الدولة التي بسقوطها يبعد المبدأ عن التطبيق في الحياة.

ومن النصوص التي تؤكد أهمية وجود الكتلة لتحافظ على الدولة قول النبي ﷺ: «**النّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النّجُومِ أَتَى السّمَاءَ مَا تُوعَدُ. وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ. وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمّتِي مَا يُوعَدُونَ**». (مسلم) فكون الصحابة هم أمنة

الأمة، يعني أنهم يحافظون عليها، والمحافظة عليها في المقام الأول تكون بالمحافظة على المبدأ؛ لأن حياة الأمة ومماتها في مبدئها، وذلك كما ورد عن النبي ﷺ: «**يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب، فماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب؟ فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن الله أظهرني عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يقبلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله به حتى يظهرني الله أو تنفرد هذه السالفة**» (كنز العمال) فهذا دليل على أن حياة الأمة في مبدئها، والواقع الآن يؤكد ذلك جلياً، وهنا نذكر بعض المواقف التي تؤكد حرص الكتلة على المبدأ والدولة:

١- قول أبي بكر رضي الله عنه في حروب الردة: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة».

٢- قول عمر رضي الله عنه كما جاء عن موسى بن أبي عيسى قال: «أتى عمر بن الخطاب مشربة بني حارثة، فوجد محمد بن مسلمة فقال عمر: كيف تراني يا محمد؟ فقال: أراك والله! كما أحب وكما تحب من يحب لك الخير، أراك قوياً على جمع المال: عفيفاً عنه، عدلاً في قسمه، ولو ملت عدلناك كما يعدل السهم في الثقاب، فقال عمر: هاه! وقال لو ملت عدلناك كما يعدل السهم في الثقاب؟ فقال: الحمد الله الذي جعلني في قوم إذا ملت عدلوني» (ابن المبارك).

فوجود الصحابة بوصفهم حزباً كان الضمانة للأمة والدولة من الانحراف والتنكب. أما عندما جاء عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه وفتح الباب أمام الصحابة فنجدهم تفرقوا في الأمصار، وبذلك فقد عثمان رضي الله عنه الوسط السياسي الحارس الأمين على المبدأ، وبقي منهم أفراد لا بصفة كيانية وإنما بوصفهم أفراداً، فأصبح تأثيرهم في الأمة والدولة أضعف كما لو كانوا جماعة؛ لأن الأمة كيان، والدولة كيان، ولا يؤثر في الكيان إلا كيان مثله.

وما نشاهده الآن في الدول الرأسمالية خير شاهد للدلالة على أن الحزب يحافظ على الدولة، فنجد الساسة في الغرب كثيراً ما يخالفون المبدأ في أعمالهم التي يقومون بها تجاه المسلمين، فتقوم الأحزاب لتحريك الشعوب فتحاسب الساسة وتردهم إلى ما يؤمنون به من الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وغيرها من أفكارهم، مما يحمل الساسة على النفاق والمراوغة لمسايرة الشعوب -وهذا مؤشر خير على وهن المبدأ الرأسمالي ومؤذن بسقوطه- فهذه الأعمال دليل على أن الحزب ضروري للمحافظة على الدولة وحملها على تطبيق المبدأ.

ولا نستطيع أن نقول إن الخلافة التي أعقبت الخلافة الراشدة كانت غير ناهضة ولكنها كانت تسير بقوة الدفع التي حصلت من الدولة الأولى، وإن صح القول إنه لم ينشأ

حزباً سياسياً طوال عصر الدولة غير حزب الصحابة الذي أسسه النبي ﷺ ، مما ساعد على انحدار الدولة الإسلامية نحو الانحطاط حتى السقوط. ولكن لو كان هناك حزب سياسي لحال دون ضعف الفهم عند الأمة؛ لأن الحزب السياسي عندما يكون حزباً مبدئياً يعمل على صفاء الفكرة ونقائها حفاظاً على المبدأ، وبذلك يكون محافظاً على الدولة من الانحدار والسقوط. وبدونه لا يوجد من يقوم بالحفاظ على فكر الأمة وحسها، ولا يوجد من يقوم بمحاسبة الدولة وحملها على الحق وتقويم اعوجاجها، ولا يوجد من يقوم بكشف المؤامرات التي تحاك ضدها من قبل أعدائها، فبغياب الحزب السياسي تصبح الأمة فريسة للجهل ولأعدائها.

ونلفت نظر المسلمين إلى أن الكافر عندما هدم دولة الخلافة، استعمل الأحزاب السياسية، لأنه يدرك أن اقامة أي دولة أو هدمها لا يمكن أن يتم إلا عن طريق حزب سياسي؛ لذلك نجده أسَّس أحزاباً وطنية وقومية لتقوم بهدم الخلافة، ومن جهة أخرى عمل على تنفير المسلمين من الأحزاب ومن العمل السياسي، حتى لا يعودوا من جديد في دولة واحدة؛ لإدراكه أن الوصول إلى وحدتهم في دولة واحدة والمحافظة على وحدة الدولة لا تتم إلا عن طريق حزب سياسي؛ وعليه فإن عدم وجود حزب سياسي يقوم بكشف مؤامرات وخطط الكافر، ساعده على استهداف الأمة وتنفيذ مخططه تجاهها بإبعاد المبدأ عن الحياة والدولة والمجتمع.

وأخيراً إن الحزب السياسي المبدئي هو الذي يوجد النهضة في الأمة بإقامة دولة تطبق المبدأ وتحافظ عليه، وغيابه حتماً له الأثر الأكبر في سقوطها وانهيارها، ولذا يمكن القول إن غياب الحزب السياسي كان له أثر كبير في سقوط دولة الخلافة.

وبعد بيان أثر الحزب السياسي في إقامة الدولة وهدمها، على الأمة أن تدرك أهمية العمل السياسي مع حزب سياسي مبدئي يقوم بالعمل في الأمة ومعها لإيجاد أفكار ومفاهيم ومقاييس الإسلام عندها، حتى تقيم على أساسها دولة إسلامية للمسلمين جميعاً في الأرض، فتضع الإسلام موضع التطبيق، لتتخلص من الحالة السيئة التي تعيشها، ومن الذل والهوان والتبعية للغرب الكافر، فتحصل لها بذلك النهضة المنشودة، ومن ثمَّ تقوم بعملها الأساسي، وهو حمل الإسلام رسالة هدى للعالمين، لتخرجهم من الظلمات إلى النور، ولتحقق الشهادة المناطة بها من الله تعالى على سائر الناس، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة ١٤٣] ❑

ما فقدته الأمة بعد هدم الخلافة

في صبيحة الثامن والعشرين من رجب سنة ١٣٤٢هـ الموافق للثالث من مارس (آذار) من سنة ١٩٢٤م، أي منذ ما يقرب من ٨٥ سنة، هدم الكفار الخلافة الإسلامية على يد اليهودي المتمسلم مصطفى كمال عميل الإنكليز وصنيعتهم، وهو الذي قال في مرسوم إلغاء الخلافة: "بأي ثمن يجب صون الجمهورية المهددة وجعلها تقوم على أسس علمية متينة، فالخليفة ومخلفات آل عثمان يجب أن يذهبوا، والمحاكم الدينية العتيقة وقوانينها يجب أن تستبدل بها محاكم وقوانين عصرية، ومدارس رجال الدين يجب أن تخلي منشآتها لمدارس حكومية غير دينية". وفي الليلة ذاتها أرسل مصطفى كمال أمراً إلى حاكم إستنبول يقضي بأن يغادر الخليفة عبد المجيد تركيا قبل فجر اليوم التالي، فذهب حاكم إستنبول بصحبة حامية من رجال البوليس إلى قصر الخليفة عند منتصف الليل، وهناك أجبر الخليفة أن يستقل سيارة حملته إلى خارج الحدود. وبعد يومين حشد كمال جميع أفراد أسرة الخليفة وتم ترحيلهم. وبذلك نفذ مصطفى كمال الشروط الأربعة التي شرطها الإنكليز في مؤتمر لوزان بسويسرا للاعتراف باستقلال تركيا وهي:

إلغاء الخلافة إلغاءً تاماً، طرد الخليفة خارج المدينة، مصادرة أمواله، إعلان علمانية تركيا.

وبذلك سقطت الخلافة ومحيت من الوجود، وحلت الطامة الكبرى بالمسلمين، وفتح باب المصائب والبلايا عليهم من كل جانب.

وعلى إثر هدم الخلافة بدت البغضاء من أفواه الإنكليز على لسان وزير خارجيتها كرزون أمام مجلس العموم البريطاني الذي احتج على قرار الحكومة البريطانية آنذاك القاضي بانسحاب القوات البريطانية من تركيا، فرد مبرراً قرار حكومته قائلاً: "القضية أن تركيا قد قضي عليها ولن تقوم لها قائمة لأننا قد قضينا على القوة المعنوية فيها: الخلافة والإسلام".

هذا الكلام من كرزون يمثل تطلعات دول الكفر منذ قرون عديدة بعد اندحارهم في الحروب الصليبية وفشلهم في تحقيق مقاصدهم فيها.

لقد فقد المسلمون أموراً عظيمة جراء غياب الخلافة الأسلامية، ولا بد والحالة هذه من التنبيه إلى أبرز ما فقدوه، ولعل إدراك المسلمين لفداحة الخسارة وجسامة المفقود يدفعهم للعمل الجاد لإعادة ما فقدوه بإقامة

خلافتهم؛ لأنها الطريق الوحيد إلى ذلك، ولقد جربوا غيرها من الأفكار والطرق والمناهج فما زادتهم غير تتبيب، وصاروا طرائق قدداً، والعياذ بالله تعالى.

• **فقدت الأمة الإسلامية** الحكم بما أنزل الله وتلك جريمة كبرى أطاحت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ من سدة الحكم والمرجعية عند الأمة. وهي مخالفة صريحة لقوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة ٤٩] وهذا وحده كاف لإثارة غضب الله علينا، وأن تتحفز ملائكة العذاب لإيقاعه بنا وتتهيأ جهنم لاستقبالنا.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إنى قد أحببت فلاناً فأحبّه، فينادى فى السماء ثم تنزل له المحبة فى أهل الأرض، فذلك قوله تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم ٩٦] **وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل: إنى أبغضت فلاناً، فينادى فى السماء، ثم تتنزل له البغضاء فى الأرض»**.

وبما أنه قد ثبت لدينا أن بعض المسلمين قد شارك فى تلك الجريمة، وكثيراً منهم قد سكت ورضي بما جرى وتابع، فمن يدرينا أن يكون الله تعالى قد نادى جبريل عليه السلام فقال له: إنى أبغضت هؤلاء القوم فأبغضهم، فنادى جبريل فى السماء بالأمر الإلهي، فتحركت الملائكة للتنفيذ، فرفعت الحصانة، وزالت الحماية، ونزعت البركة، وقل القطر، ورفعت ملائكة النصرة أسلحتها غير عابئة بنداءات الاستغاثة.

هذا طرف من الغضب السماوي ولا يملك أحد أية إحصائية عن حجم السيئات التى سجلت، والخسائر التى حصلت جراء هذا الغضب. أما الغضب الأرضي فآثاره محسومة، ونتائجه لا تخطئها عين مبصرة.

إن فقد حكم الله فى الأرض ليعتبر بحق الخسارة الفادحة والجريمة الكبيرة، كونه فتح الباب واسعاً لارتكاب كافة أنواع الجرائم من قبل الكفار والمسلمين على حد سواء.

فالكفار يقتلون النفوس، وينهبون الثروة، ويغتصبون الحقوق، ويصولون ويجولون فى بلاد المسلمين لا فرق بين فلسطين والعراق، ولا بين إندونيسيا ودارفور وغيرها من بلاد المسلمين.

والمسلمون يرتكبون الجرائم المختلفة مما تؤاخذ على مثلها الشريعة الإسلامية حداً أو قصاصاً أو تعزيراً، ولكنهم يفلتون من العقاب الشرعي كون تلك الجرائم لاتشكل خرقاً للقوانين الوضعية؛ فيكون بذلك سجل الجرائم فى ازدياد مستمر مع مرور كل دقيقة من الزمن...

لقد حجب الله نصره عن الصحابة والرسول ﷺ بين أظهرهم فى بداية معركة حنين بسبب معصية واحدة وهى الاغترار بأن الكثرة ستجلب النصر. فما بالكم وسجل المعاصي التى ترتكب فى بلاد المسلمين نتيجة غياب حكم الله فى الأرض فى ازدياد مستمر، وهذا كفيل بحجب النصر عنا رغم استغاثة المستغيثين. وصدق الله العظيم عندما قال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[طه ١٢٤].

فالإعراض عن ذكر الله (أي عن شرع الله) تنتج عنه المعيشة الضنك (أي الشقاء في الدنيا) والعذاب في الآخرة.

لذلك كان على المسلمين أن يعملوا بأقصى سرعة وأقصى طاقة لاسترجاع ما فقدوه بإقامة خلافتهم لأنها السبيل الوحيد لإعادة حكم الله في الأرض.

• **فقد المسلمون** الجماعة ووقعوا في الفرقة كما خطط لهم أعداؤهم، فبعد هدم الخلافة سقط التاج عن رؤوس المسلمين، وهدم البنيان الذي كان يؤويهم، وانفرط عقد الأمة الإسلامية ومزّقها الكفار إلى عرقيات متعددة وأقاليم متفرقة؛ كي يسهل عليهم الهيمنة عليها وإذلال شعوبها وأكل خيراتها. وتجأر الأمة الإسلامية اليوم وبالأمس مستغيثة في كل مكان، ولكن لا جواب، فلا عمر ولا معتصم ولا صلاح الدين.

وإذا كان الرسول ﷺ قد قال: «**إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**». فإننا نقول كم من القاصيات أكلن منذ هدم الخلافة، ففلسطين قاصية، والعراق قاصية، وكشمير قاصية... والقائمة تطول.

اسمعوا ما قاله الجاسوس الإنجليزي الخبيث لورانس والذي خطط لما يسمى بالثورة العربية من أولها إلى آخرها: "إن نشاط الحسين (جد ملك الأردن السابق) مهم لنا، إذ إنه ينسجم مع أهدافنا المباشرة وهي: تفكيك الرابطة الإسلامية وهزيمة الإمبراطورية العثمانية" ثم يقول: "فإذا تمكنا من التحكم بهم فإنهم سيبقون منقسمين سياسياً إلى دويلات تحصد بعضها البعض ولا يمكن لها أن تتوحد".

هل هناك اعتراف أكثر صراحة ووضوحاً من هذا؟ وهل يجوز لمسلم بعد ذلك أن يحتفل بأعياد الاستقلال التي تعني انفصال المسلمين عن بعضهم وتقسيم بلدهم الإسلامي الواحد إلى دويلات، ورفع رايات دويلات الضرار التي أقامها الكافر المستعمر، إنها جريمة ما بعدها جريمة أوهنت جماعة المسلمين.

إن الجماعة المطلوبة لا تكون إلا على إمام واحد "وإنه لا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة بلا إمارة، ولا إمارة بلا طاعة" كما قال عمر رضي الله عنه. أما الصديق أبو بكر رضي الله عنه فقد حذر من غياب الجماعة وحضور الفرقة وتعدد الأمراء، فقال في سقيفة بني ساعدة "وإنه لا يحل أن يكون للمسلمين أميران، فإنه مهما يكن ذلك (أي إذا حصل ذلك) يختلف أمرهم وأحكامهم، وتتفرّق جماعتهم، ويتنازعون فيما بينهم، هنالك (في حالة تعدد الأمراء) تترك السنة، وتظهر البدعة، وتعظم الفتنة، وليس لأحد على ذلك صلاح".

لذا كان لابد من الجدّ في إزالة الحواجز المادية والمعنوية التي تقف حائلاً بين المسلمين وتحقيق الجماعة؛ لأنّ الذي يوحّد رأي المسلمين ويجمع كلمتهم ويوحد موقفهم السياسي ويجعل منهم أُمة ترهب عدوّ الله وعدوّهم هي الخلافة الراشدة لا غير، هذه الخلافة هي التي يرتفع مع قيامها قوله تعالى: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء ٨١] وتتهاوى معها عروش الباطل عروش الخونة والعملاء، التي يظنون

أنها قوية منيعة وهي في حقيقتها أوهن من بيت العنكبوت.

• **فقد المسلمون** أموالهم وثرواتهم الثمينة فكلّها نهب للكفار تحت سمع المسلمين وبصرهم، ولا يعود للأمة إلا النزر اليسير منها، يأخذه الحكام اللصوص فيضعونه في بنوك الغرب الكافر، فلو كانت ثروة الأمة بيد إمام صالح لكان الواقع مختلفاً حقاً، وكان الناس في سعة ورخاء وبركة وهناء. ذكر ابن خلدون في مقدمته أن ما حمل إلى بيت مال المسلمين ببغداد أيام الخليفة العباسي المأمون ما يعادل اليوم بـ٧٠ مليار دولار و١٧٠٠ طن من الذهب. فلو كان للمسلمين اليوم خلافة راشدة على منهاج النبوة ورزقهم الله بخليفة حافظ لثروات الأمة والتي منها إضافة لما كان في الزمن الماضي النفط والمعادن وغير ذلك، فهل يبقى في دار الإسلام فقير واحد، وسأسوق لكم مثالاً على نظافة اليد عند خلفاء المسلمين من سيرة عمر بن عبد العزيز والذي لم يجدوا في دار خلافته فقيراً واحداً يستحق الزكاة.

أخرج ابن عساكر "دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز حين حضرته الوفاة، فقال يا أمير المؤمنين أفقرت أفواه بنيك من هذا المال، فلو أوصيت بهم إليّ وإلى وزراء فكفوك مؤونتهم، فلما سمع مقالته قال: أجلسوني فأجلسوه فقال: والله ما ظلمتهم حقهم، ولم أكن أعطيهم شيئاً لغيرهم، وإنما ولد عمر بين أحد رجلين: إما رجل صالح فالله يتولى الصالحين، وإما أن يكون غير ذلك فلن أكون أوّل من أعانه (بالمال) على معصية الله، ثمّ قال: ادعوا لي بني، فأتوه، فلما رآهم ترقرقت عيناه وقال: فتية تركتهم عالة لاشيء لهم وبكى، ثمّ قال: يا بني إما أن تستغنوا فأدخل النار، وإما أن تفتقروا فأدخل الجنة، توبوا عصمكم الله، قوموا رزقكم الله".

رحم الله عمر، وعجّل لنا بالنظير في وقت قريب.

إنّ الغرب الرأسمالي الكافر المستعمر قد لعب لعبته وضرب ضربته فهدم الخلافة لأنه يعلم أنه لن تقوم له قائمة إذا لم يقضِ عليها، وبما أنّ الغرب صاحب مصلحة مستمرّة في بلادنا، ولأنّ بلاد المسلمين تنعم بخيرات وفيرة وكنوز دفينة وثروات هائلة كانت مصلحته تقضي بأن لا تقوم للإسلام خلافته.

ولأن المبدأ الإسلامي مبدأ عالمي بعقيدته وأنظمته فإنه يشكّل في نظر الغرب خطراً حضارياً عليه وتهديداً حقيقياً له. لذلك وحفاظاً على مبدئه وحضارته ومصالحه كان حريصاً على هدم الخلافة، وأن نبقى متفرّقين وعالة عليه، يمنعوننا بأن نكون أمة صناعية بل ولا حتى زراعية، فأسواقنا أسواق استهلاكية لا تستغني عن أعدائها، وحال المسلمين شاهد على فقر هذه الأمة ومديونيتها الهائلة، وانعدام الأمن الغذائي فيها. وعلى ذلك فإنه لن يتحقق النموّ الإقتصادي في الزراعة والصناعة ولن تضمن الحاجات الأساسية للأفراد فرداً فرداً إلا بأن يملك المسلمون أمرهم ويتخلصوا من ربقة الكفر والعملاء...

• **فقد المسلمون** فلسطين أرض الإسراء والمعراج أرض المحشر والمنشر، وإنا لنجد ارتباطاً واضحاً بين هدم الخلافة العثمانية

وبين ضياع فلسطين وقيام دولة يهود عليها، فدولة المسخ هذه ما كانت لتوجد على أرض فلسطين لو كانت الخلافة الإسلامية قائمة.

وكلّنا يعرف موقف الخلافة الإسلامية زمن العثمانين وهي في أشد حالاتها ضعفاً وقد رماها الكفار عن قوس واحدة.

وكلّنا يذكر قولة السلطان عبد الحميد الثاني، رحمه الله وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء؛ فقد قال قولته المشهورة عندما ردّ الوفد اليهودي الذي جاء يفاوضه من أجل بيع فلسطين لهم فقال: "إنّي لا أستطيع أن أتخلّى عن شبر واحد من أرض فلسطين فهي ليست ملك يميني... بل ملك الأمة الإسلامية... وإذا مزّقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن".

وهذا فعلاً ما حدث، ففلسطين ضاعت بعد هدم الخلافة ولن يعيدها من جديد إلا دولة الخلافة، وعندها يتحقق قول الله فيهم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف ١٦٧]. ويتحقق وعد رسولنا ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبدالله، هذا يهودي خلفي فتعالَ فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**». أخرجه البخاري في باب فضائل الجهاد، ومسلم في كتاب الفتن.

• **فقد المسلمون** ما يملأ القلب ألماً وحسرةً وأسًى وهو ضياع مهابة المسلمين التي كانت في قلوب أعدائهم منهم مصداقاً لقوله ﷺ: «**ولينزعنّ الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم**» فصار الواحد منهم والحكام في الدرجة الأولى كالعبد إن سبّه السيد أو ضربه لم يستطع العبد أن يفعل شيئاً حياله...

وإنا نتساءل هل بقيت لأمة محمّد ﷺ مهابة في قلوب أي أمة على وجه الأرض مهما كانت ضعيفة أو فقيرة؟ لا، لا نرى ذلك، مع أنه عليه الصلاة والسلام يقول: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**» ويقول: «**الإسلام يعلو ولا يعلى عليه**».

إن المؤمن المخلص الصادق عندما يرى حال المسلمين اليوم بعد غياب سلطان الإسلام الحارس الذي يتقى به، حين يرى ذلك، يتميّزمن الغيظ على كل مسلم لايعمل للتغيير ويرضى بعيش الذل والهوان، وهو قد رأى بعينيه وسمع بأذنيه وأدرك بحواسه جميعها أن العزّة والمهابة والقوّة والسيادة لاتكون إلا بسلطان الإسلام ودولة الإسلام، ورحم الله عمر القائل: "أيها الناس، كنتم أذلّ النّاس فأعزكم الله بالإسلام، ومهما ابتغيتم العزة من غيره أذلكم الله". وأضرب لكم مثالاً واحداً عن المهابة التي كانت للمسلمين في كل شيء، وهو كيف كان يدير المسلمون المفاوضات مع الكفار.

"لقي عمرو بن العاص أحد بطارقة الروم في فلسطين، فقال البطريق: ما الذي جاء بكم؟ فقد كانت الآباء اقتسمت الأرض فصار لكم ما يليكم، وصار لنا ما يلينا. وقد عرفنا أنكم إنما أخرجكم من بلادكم الجهد، وسنأمر لكم بمعروف وتنصرفوا.

فقال له عمرو: أما القسمة التي تحدّثت عنها فإنها كانت قسمةً شططاً، ونحن نريد أن نتراضى فتكون قسمة معتدلة لنأخذ نصف ما في أيديكم من الأنهار والعمارة،

ونعطيكم نصف ما بأيدينا من الشوك والحجارة، ونحن لا نفارقكم حتى نصيّركم عبيداً أو تقتلونا.

فالتفت البطريق إلى أصحابه وقال: (صدقوا) ثم افترقا ثم لحق بهم المسلمون حتى طووهم عن فلسطين والأردن".

• **فقد المسلمون** العلم والتكنولوجيا اللازمتين للصناعات الثقيلة وأدوات الحرب الحديثة وغير ذلك من نواحي الحياة، وكل ذلك لن يتحقق إلا بوجود سلطان مخلص لربه، حريص على مصالح أمته، وإنّ الضرورة لذلك تتجلّى من حيث إن الدولة الإسلامية الموعودة هي دولة مبدئية تمتلك فكرة مبدئية واضحة ولديها وجهة نظر في الحياة. والعقيدة الإسلامية التي تقوم عليها الدولة عقيدة عالمية، والمسلمون مكلفون بإيصال هذه العقيدة لكل الشعوب والأمم، وهذا لا يتم إلاّ بامتلاك تكنولوجيا نوعية تستخدمها الدولة في نشر الإسلام. وقد استطاع المسلمون في الماضي التغلب على التفوق العلمي والعسكري عند الروم والفرس، وبعد ذلك أبدع المسلمون باستخراج مكنونات هذه الأرض وكشف القوانين العلمية التي تحكمها وحققوا إنجازات رائعة في مجال الطب والهندسة والفلك والجغرافيا وغيرها، وكانت أوروبا ترسل طلابها ليتلقوا العلم عند المسلمين.

والدولة الإسلامية القادمة إن شاء الله ينتظرها هذا التقدم العلمي الهائل، وهذا ليس بالأمر المستحيل وإنما هو أمر ممكن بإذن الله تعالى، ونحن لسنا بأقل من الصين مثلاً، هذه الدولة الزراعية المتخلفة (سابقاً) والتي لا تملك مبدأ كمبدئنا قد دخلت اللعبة الكونية في ظل ثورة تكنولوجية هائلة لم تكن متوقعة، وها هي اليوم من أكبر المنافسين الذين يشكلون خطراً يهدد الولايات المتحدة الأميركية.

وبعد، هذا غيض من فيض مما خسره المسلمون ويخسرونه في كل يوم في غياب دولتهم وإمامهم، ولقد بدا أن الخلافة فوق كونها ضرورة شرعية يجب علينا إيجادها فهي حاجة ملحة للمسلمين، وهي كذلك حاجة إنسانية للبشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء ١٠٧].

إن هذه الذكرى الأليمة يجب أن تمحى كل آثارها من حياة المسلمين. فالأمم الحية هي التي تعمل على تدوين أيام العزّ لا على تدوين أيام القهر والذل. والأمة الإسلامية وإن احتفظت بهذا التاريخ في ذاكرتها فلكي تمحوه لا لتخلده، ولكي تنطلق منه لإيجاد تاريخ جديد بعودة الخلافة من جديد بإذن الله تعالى مصداقاً لقول النبي ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافةً على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكاً عاضاً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافةً على منهاج النبوة. ثم سكت**» أخرجه الإمام أحمد بسند صحيح عن حذيفة ❑

سقطت الخلافة

فسقطت فلسطين وأخواتها وستعود بعودتها

بدأت قضية فلسطين مع الموقف العظيم الذي اتخذه آخر خليفة للمسلمين عندما راوده يهود على فلسطين. ذلك أنه لم يكن لفلسطين وأخواتها من ولايات الإسلام أن تحتل وتغتصب بوجود سلطان الإسلام ودولة الإسلام. وإن كل ما حصل للمسلمين ولبلادهم من تمزيق وإضعاف وهوان، حصل بعد أن تمكن الغرب الكافر من هدم دولة الإسلام، ونفي آخر خليفة للمسلمين إلى سالونيك في اليونان. إن من يدرك أن كل بلايا المسلمين كانت ولاتزال بسبب غياب حكم الله في الأرض بعد زوال الخلافة الإسلامية يعي ويقطع أن عودة العزة للمسلمين مرة أخرى، كما كانت أيام خلافتهم، تحتاج إلى موقف لا يكون أقل قوة من موقف الخليفة عبد الحميد. أما هذا الموقف، فليس هناك مرشح لاتخاذه اليوم إلا خليفة المسلمين القادم قريباً بإذن الله. وسيكون الموقف واحداً ومشتركاً بين أميرين: أحدهم رفض التنازل عن فلسطين، وعندما زالت الخلافة أخذت فلسطين غصباً، والآخر سيعيد فلسطين بعد أن تقوم الخلافة على منهاج النبوة مرة أخرى. هذه هي المعادلة فعلاً: سقطت فلسطين وأخواتها بسبب مباشر ألا وهو سقوط الخلافة، وستعود بعودتها.

وليسمع كل من لديه عقل وبصيرة ماذا قال السلطان عبد الحميد لهرتسل حين راوده عن فلسطين. قال: «**إن فلسطين ليست ملك يميني، بل ملك الأمة الإسلامية، واذا مزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن. أما وأنا حي، فإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة العثمانية. من الممكن أن تقطع أجسادنا ميتة، وليس من الممكن أن تشرح ونحن على قيد الحياة**».

رحمك الله أميرنا، لقد أدركت الأمر حقاً، وأدركت أن سقوط فلسطين هين سهل بتمزق الخلافة. وهاهي فلسطين تذهب بلا ثمن. رحمك الله أميرنا، لقد اعتبرت أن الحياة للمسلمين تكون بوجود كيان لهم وأن موتهم يكون بغياب هذا الكيان. لقد تمثل فيك الإمام الذي قال رسول الله ﷺ فيه أنه الجُنَّة الذي يتقى به ويقاتل من ورائه. رحمك الله أيها السياسي، لقد كنت تدرك ما يحصل من مؤامرة، وكنت لا تقبل إلا أن

تسوس أمتك بسياسة الإسلام. أين أشباه الساسة حكام المسلمين منك اليوم. إنهم أعجز من أن يرعوا قطيع غنم. إنهم يدركون تمام الإدراك مقولتك في فلسطين، ويدركون بعد قضيتها وحجمها. إلا أن عمالتهم وخيانتهم وموالاتهم للكفار وإسراعهم فيهم يمنعهم من أن يتخذوا أدنى المواقف شرفاً.

إن المواقف المشرفة لا يعرفها إلا خلفاء المسلمين، وقد انقطعت هذه المواقف بعد السلطان عبد الحميد ولن يعيدها إلا رجل على شاكلته. رجل يحمل فهم ووعي وإخلاص عبد الحميد. رجل يقول: «**لعمل المبضع في جسدي أهون علي من أن أرى فلسطين ومقدساتها أسيرة أعداء الله... حي على الجهاد لتحريرها**».

إن اغتصاب فلسطين وضياع بلاد المسلمين يجب أن يربط بهدم دولة الخلافة ارتباطاً سببياً. فمواقف العثمانيين المشرفة الخالدة تجاه فلسطين أكبر من أن تنسى، ولعلها كانت من أوائل موجبات عمل الكفار لهدم دولة الخلافة. ذلك أنهم أدركوا استحالة وجود كيان ليهود في فلسطين بينما هناك خلافة. نعم لقد كان ذلك صحيحاً، ففي سنة ١٨٨٢م أصدرت الحكومة العثمانية قانوناً حرمت فيه الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وشراء الأراضي. ثم عادت وحددت الإقامة لليهود بشهر واحد، ومن تأخر يلاحق ويبحث عنه حتى يخرج. ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م راح العثمانيون يطاردون اليهود. وأصدر جمال باشا بوصفه القائد للجيش الرابع المرابط في فلسطين أمراً منع فيه رفع أي شعار يهودي في أي أرض تقع تحت حكمه، كما منع أي لافتة تكتب باللغة العبرية، وصادر جميع الطوابع والأوراق المالية التي تخص اليهود، وألغى جميع المؤسسات اليهودية التي تكونت في فلسطين، بعد أن دخلتها خفية. وجاء في البيان الذي صدر يومئذ في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩١٥م. أن الحكومة العثمانية فعلت ذلك بناءً على ما لديها من معلومات تثبت أن بعض العناصر تتآمر لإقامة مملكة يهودية في فلسطين. ثم كانت قبل ذلك مواقف عظيمة للسلطان عبد الحميد رحمه الله. يقول رحمه الله: «**إن الصهيونية لا تريد أراضي زراعية في فلسطين لممارسة الزراعة فحسب، ولكنها تريد أن تقيم حكومة، ويصبح لها ممثلون في الخارج. إنني أعلم أطماعهم جيداً، وإنني أعارض هذه السفالة، لأنهم يظنونني أنني لا أعرف نواياهم أو سأقبل بمحاولاتهم. وليعلموا أن كل فرد في دولتنا يمتلىء قلبه غيظاً عليهم طالما هذه نواياهم، وأن الباب العالي ينظر إليهم مثل هذه النظرة. وأنني أخبرهم أن عليهم أن يستبعدوا فكرة إنشاء دولة في فلسطين، لأنني لازلت أكبر أعدائهم**»، ويقول: «**أعرض هذه المسألة المهمة كأمانة في ذمة التاريخ. إنني لم أتخلَّ عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى أنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم (جون ترك)**

وتهديداتهم، اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة الإسلامية. إن هؤلاء الاتحاديين أصروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة فلسطين. ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف». ويقول هرتسل: بعث إلي السلطان هذا الجواب: «**بلِّغوا الدكتور هرتسل ألا يبذل بعد اليوم شيئاً من المحاولة في هذا الأمر، فإني لست مستعداً أن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب إلى الغير. فالبلاد ليست ملكي، بل هي ملك شعبي، وشعبي روى تربتها بدمائه، فليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب**».

وهكذا يظهر أن المضللين من الناس أو العملاء الخونة هم من يظنون أو يعتبرون أن قضية فلسطين قضية شعب يطالب باستقلال وتحرر ووطن ونشيد كغيره، على جزء من أرض زرع فيها الغرب يهود؛ من أجل حرب الإسلام وأهله، ومنعه من التوحد مرة أخرى كما كان في دولة واحدة اسمها الخلافة.

إن واقع المشكلة الفلسطينية نشأ عملياً وسياسياً منذ العام ١٩١٦م. عندما تم تقاسم ممتلكات الدولة العثمانية المنهارة بين الدول الأوروبية المستعمرة، وبالذات بين بريطانيا وفرنسا. ففي تلك السنة اتفق وزيرا خارجية الدولتين، سايكس وبيكو، على تقسيم البلاد العربية فيما بينهما. وكان في التقسيم شيء غريب عجيب، إذ سلخت فلسطين تحديداً من بلاد الشام، وأعطيت صفة متميزة عند الانتداب البريطاني الفرنسي. وهذه الصفة تمثلت في جعلها منطقة دولية وذلك توطئة لمنحها لليهود. وبعد ذلك بعام جاء وعد بلفور مؤكداً على منح اليهود وطناً قومياً في فلسطين. وجيء باليهود بعد ذلك بكثافة، ومكنوا من السلاح والمال والنفوذ حتى أقاموا الدولة اليهودية في أعقاب تسليم الإنجليز لفلسطين لهم بعد انتهاء الانتداب البريطاني عليها، ثم إخراج هذه المسرحية بحرب مزيفة بين الدول العربية والعصابات اليهودية تم على أثرها إقامة الكيان اليهودي، وتمت رعايته دولياً من قبل الدول الكبرى.

هذه هي جذور المشكلة وبداياتها العملية. بينما بدأت جذورها وبداياتها النظرية منذ غزو نابليون لبلاد الشام حيث اختمرت وقتها في أوروبا فكرة زرع كيان يهودي في قلب العالم الإسلامي، وإبعاد يهود أوروبا والتخلص منهم. وقد أخرجت الفكرة سياسياً لأول مرة عام ١٩٠٧م. حيث نشر اللورد كامبل ممثلاً عن بريطانيا والدول الأوروبية تقريره الشهير عن حال المسلمين، الذي قال فيه: «**هناك شعب واحد متصل، يسكن من المحيط إلى الخليج، لغته واحدة، ودينه واحد، وأرضه متصلة، وماضيه مشترك، وآماله واحدة، وهو اليوم في قبضة أيدينا، ولكنه أخذ يتململ، فماذا يحدث لنا إذا استيقظ العملاق؟ يجب علينا أن نقطع اتصال هذا الشعب بإيجاد دولة دخيلة، تكون صديقة لنا، وعدوة لأهل**

المنطقة، وتكون بمثابة شوكة توخز العملاق كلما أراد أن ينهض».

إذاً هذا هو واقع القضية. دولة دخيلة تابعة للغرب عدوة لأهل المنطقة، تمنع اتصال شعوبها، وتوخز العملاق كلما أراد أن ينهض. ولعل هذه الكلمات للورد كامبل تعبر بأوضح عبارة عن حقيقة هذه الدولة الدخيلة المسماة (إسرائيل). وهذا الواقع بعد إدراكه جيداً، يدل على أن هذا الغرب المتمثل بأوروبا وأميركا، الذي سلخ فلسطين من الجسم الإسلامي الكبير لا يمكن أن يسمح بعودتها لأهلها، لأنه فعل ذلك من أجل السيطرة على المنطقة، فلا يعقل أن يسمح بعودتها لأهلها. وبذلك ندرك أن هذا الغرب الصليبي هو العدو الحقيقي، لأنه هو الذي زرع الكيان اليهودي في فلسطين بعد أن سلخها عن جسم دولة الخلافة السابقة. وهذه الحقيقة لا يمكن أن تنسى ولا يجوز أن ننساها، لأننا إن نسيناها أو تناسيناها، فهذا يعني أننا لم نعد قادرين على تحديد العدو من الصديق.

وعليه فإن الغرب هو الطرف الرئيسي المعادي لنا في هذه القضية، وعلينا أن نتعامل معه بوصفه عدواً، هذا إذا فهمنا المشكلة فهماً صحيحاً وحاولنا حلها حلاً جذرياً. أما إذا تغاضينا عن هذه الحقيقة فإننا سنقع في فخاخ كثيرة، وهذا ما حصل لنا بالفعل. فإنه لما كانت الحلول المطروحة للقضية الفلسطينية حلولاً تسكينية ترقيعية وصلنا إلى ما وصلنا إليه الآن من تفريط بأكثر من أربعة أخماس الأرض (الفلسطينية)، والتفريط بالخمس الباقي أو بمعظمه آتٍ على الطريق عن طريق من أوجدوا لتصفية القضية لصالح يهود والغرب الصليبي.

إن المدقق في لمطالب العربية الحكومية في فلسطين منذ عام ١٩٤٨م إلى ١٩٦٧م يجد أن هذه المطالب كانت تتمثل -في ناحيتها العملية- بإقامة دولة فلسطينية علمانية تضم اليهود والمسلمين والنصارى بحيث تكون السطوة فيها طبعاً لليهود. وفي هذه الأثناء تم العمل على ترويض الرأي العام الإسلامي والعربي المطالب بتحرير فلسطين المحتلة عام ٤٨، فكان الطرح الرسمي العربي في تلك الأثناء يعمل على احتواء الطرح الشعبي وامتصاص غضبه، ثم تغير الطرح بعد هزيمة ٦٧ النكراء وأصبح الطرح الرسمي العربي يطالب بإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة في الأراضي التي احتلت عام٦٧، وواكب هذا التغيير جملة من الهزائم والمذابح والتنازع بين الأطراف العربية الرسمية أدت إلى إرهاق الشعب وترويضه، وجعله يبدو كأنه يرضى بدولة على خمس فلسطين.

ثم عندما انخفض سقف المطالب العربية والفلسطينية، راحت (إسرائيل) تلعب لعبة جديدة هي لعبة المستوطنات، فملأت الضفة والقطاع بالمستوطنات بعد أن أدخلت الأطراف العربية والفلسطينية في اتفاقات أوسلو السلمية وغيرها، والتي انشغلوا بها بينما (إسرائيل) تستمر في بناء المستوطنات. وما أن استهلكت

مسيرات أوسلو ومفاوضاتها ووصلت إلى الطريق المسدود حتى اندلعت الانتفاضة وبدأت مسيرة الدماء الزكية تنهمر على أيدي يهود. ثم جاءت خارطة الطريق أخيراً لتوقف الانتفاضة ولتعِدَ الفلسطينيين بدولة لم يتبقَّ لها من أراض تقام عليها، ووافق اليهود على هذه الخارطة وتبنتها الإدراة الأميركية وظن الجاهلون أن اعتراف أميركا و(إسرائيل) بإقامة دولة فلسطينية هو مكسب للقضية الفلسطينية. مع أن الحقيقة التي لا مراء فيها أن أعداءنا في الغرب بزعامة أميركا ومعها يهود لم يتبق لديهم شيء يسوقونه لنا إلا فكرة الدولة الفلسطينية، وكأن مشكلتنا هي دولة كرتونية جديدة نتلهف لإقامتها. فالحقيقة أن مشكلتنا ليست الدولة، فعندنا من مثلها كثير، وهي غثاء كغثاء السيل، ولكن مشكلتنا هي تحرير فلسطين من رجس يهود. هذه هي مشكلتنا فلا يجوز أن تختلط علينا الأمور إلى هذا الحد.

وهكذا إذا أدركنا حقيقة المشكلة وواقعها إدراكاً عميقاً، عندها يمكن وضع الحل الجذري لهذه المشكلة. والحل الجذري هو الحل المصيري وهو الحل الشرعي الذي يرتضيه الله سبحانه لنا، وهو يكمن في الرجوع إلى الكتاب والسنة واستنباط الحكم الشرعي منهما، قال تعال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[النور ٦٣]، وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾[الجاثية ١٨].

والقضية الفلسطينية وفقاً لهذا الحل قضية مصيرية إسلامية باركها الله سبحانه. لقد اغتصب اليهود فلسطين يعاونهم الغرب والحكام العملاء الذين استمروا حتى الآن في ضمان أمن دولة يهود وفي ضمان احتلالها لفلسطين. والقضية المصيرية تقضي بأن تسترد هذه الأرض جميعها من قبضة الغرب ويهود بالجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾[البقرة ١٩٠].

وحتى يستكمل هذا الحل، لا بد له من تحريك الجيوش أولاً للإطاحة بالحكام العرب الذين يحافظون على أمن يهود ويحرسونها من المجاهدين، لأن الجيوش الإسلامية لن تتمكن من القضاء على كيان يهود تحت إمرة هؤلاء النواطير. لذلك لا بد من إزالتهم وإقامة حاكم مسلم واحد بدلاً منهم يحكمنا بشرع الله ويوحد الجيوش ويوجهها لتحرير فلسطين من رجس الغاصبين. فالتفريق بين الحكم بالإسلام وبين تحرير فلسطين، والفصل بين القضيتين، لا يجوز شرعاً ولا يصح واقعاً. فالمسألتان متلازمتان لا مجال للانفكاك بينهما. فعن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي أعمال ثلاثة: لا أخاف جوعاً يقتلهم، ولا عدواً يجتاحهم، ولكني أخاف على أمتي أئمة مضلين، إن أطاعوهم فتنوهم وإن عصوهم قتلوهم**».

وعليه فالقضية الفلسطينية بدأت مع سقوط الخلافة ولن تنتهي إلا مع ميلادها من جديد. فدولة الخلافة هي القادرة على إنهاء حراس يهود في بلاد المسلمين، وطرد الأميركيين، وإنهاء نفوذهم، وتحريك الجيوش لتحرير بيت المقدس وكل أرض المسلمين السليبة، وإعادة فتح الأرض من جديد باذن الله لنشر الخير والحق والعدل وإنهاء سيطرة الزناة الفجرة عليها. ورد في تاريخ ابن عساكر عن يونس بن ميسرة بن حلبس قال: قال رسول الله ﷺ: «**هذا الأمر يعني (الخلافة) كائن بعدي بالمدينة، ثم بالشام، ثم بالجزيرة، ثم بالعراق، ثم بالمدينة، ثم ببيت المقدس، فإذا كانت ببيت المقدس فثم عقر دارها، ولن يخرجها قوم فتعود إليهم أبداً**». أي أن الخلافة تكون بالمدينة المنورة وكانت، ثم بدمشق وكانت، ثم بالجزيرة شمال سوريا وكانت أيام الخليفة الأموي مروان، ثم بالعراق أيام العباسيين، ثم بالمدينة ولعلها مدينة هرقل القسطنطينية التي فتحها محمد الفاتح السلطان العثماني واتخذها عاصمة له بعد ذلك وأسماها إسلام بول، والتي قال بحقها الرسول ﷺ: «**مدينة هرقل تفتح أولا**»، ومعنى إسلام بول مدينة الإسلام. وظلت الخلافة هناك حتى أسقطها مصطفى كمال اليهودي عميل الإنجليز سنه ١٩٢٤م. وبقيت المرحلة الأخيرة من مراحلها وهو قيامها وتحرير بيت المقدس لتنتقل إليه وتستقر فيه في عقر دارها «**عقر دار الإسلام بالشام**» كما أخبر الرسول ﷺ. أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله، إن هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**». وورد عن النبي ﷺ قال: «**يا ابن حوالة، إذا نزلت الخلافة الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام**». فستقوم الخلافة إن شاء الله، وسيحملها الرجال على أسنة رماحهم وحد سيوفهم محررين أرض الإسراء حاضنة قبلة المسلمين الأولى منهين أيام الألم والحزن. ورداً على كل طامع أثيم بهذه الأرض المباركة، ستعود الخلافة إلى القدس إن شاء الله ليعود إليها عزها ومجدها من جديد. عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد زوى الله لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها**». وبهذا ينتهي خض الماء في فلسطين، وتنتهي الفتنة التي أخبر عنها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وتأتي السواعد المؤمنة التي تخض قلوب المجرمين وتحسم الصراع. عن طلحة بن عبيد الله عن النبي ﷺ قال: «**ستكون فتنة لا يهدأ منها جانب إلا جاش منها جانب حتى ينادي منادٍ من السماء أميركم فلان**» رواه الطبراني في الأوسط. نسأل الله سبحانه قرب الفرج إنه سميع قريب مجيب ❑

الآثار السياسية للحكم بغير ما أنزل الله

الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، يقودون الأمم والشعوب الإسلامية بسياساتهم الجائرة إلى كوارث ونوائب لا طاقة لهم بها، وهم فوق ذلك كالسوس الناخر في عظامها، يلطخون حاضرها، ويشوهون ماضيها، ويغيِّرون هويتها حتى تسقط عند الله، فتجري عليهم السنن الجارية على المعرضين. إنهم يد مع الأعداء عليها في الوقت الذي يدَّعون فيه الدفاع والذود عنها، وهم ومن حولهم من عصابات النفاق والردة مسؤولون عن الهزائم المتتالية التي لا تكاد الشعوب الإسلامية في المشارق والمغارب تخرج عنها إلا إلى المزيد منها. حتى أصبح كيان الأمة كلها هزيلاً لا يُسمع له صوت، ولا تُحترم له كلمة، ولا يُصان له حق، وصار هؤلاء في الداخل عوناً لأعداء الأمة في الخارج، يفتحون أبواب حصونها أمامهم ويكشفون قلاعها أمام زحفهم، كل هذا والأمة مخدرة بدعوى حماية الدين في الوقت الذي يذبحون فيه حكمه ويبدلون شرعه.

ولقد جنت الأمة في العصور الأخيرة ثماراً مُرة من جراء هذه السياسات الخائنة لله ولرسوله وللمؤمنين. وعلى الأمة أن تتنبه لما يُراد لها، وأن تستقرئ كتاب ربها فإنه ينبه ويحذر من شر النفاق والمنافقين. قال تعالى: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المنافقون ٤]. وقد فضح خباياهم الخبيثة فقال: ﴿ وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ ﴾ [آل عمران ١١٨]. فالمنافقون والمرتدون، هم القنطرة التي تعبر من فوقها كل مخططات الأعداء إلى داخل الأمة.

وباستقراء آيات القرآن تنكشف تفصيلات من تلك الآثار التي يجلبها الحكم بغير ما أنزل الله... فمن ذلك:

١ـ تسهيل مهمة أعداء الإسلام:

ففي ظل الحكم بغير ما أنزل الله، لا تعد موالاة الكفار محرمة بل تعتبر مرغوباً فيها مدفوعاً إليها، بحكم الرغبة أو الرهبة. والله تعالى بعد أن أمر نبيه ﷺ -والمؤمنين من ورائه- بالحكم والتحاكم إلى ما أنزل الله، حذر من موالاة الأعداء من اليهود والنصارى الذين يؤازرون المنافقين أولياءهم ليتآمر الجميع ضد هذه الشريعة ليفتنوا الناس عنها. فقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾[المائدة ٤٩-٥٢].

فإذا كان المنافقون الكارهون لشريعة الله يسارعون إلى الأعداء في حال استضعاف النفاق وخفوته، فكيف بهم، إذا توسدوا الأمور، وارتكبوا الكراسي، إنهم وقتها لن يقصروا في تقديم كل معونة في تسهيل خطط الأعداء التي عجزوا عن تنفيذها بأنفسهم، يقول سيد قطب، رحمه الله، : «أحسب والله أعلم، أن اليهود الصهيونيين والنصارى الصليبيين كليهما، قد يئسوا من هذا الدين في المنطقة الإسلامية الواسعة، في أفريقيا وآسيا وأوروبا، كذلك يئسوا أن يحولوا الناس فيها إلى الإلحاد عن طريق المذاهب المادية، كما يئسوا كذلك من تحويلهم إلى ديانات أخرى عن طريق التبشير أو الاستعمار.

ذلك أن الفطرة البشرية ذاتها تنفر من الإلحاد وترفضه، حتى بين الوثنيين فضلاً عن المسلمين، وأن الديانات الأخرى لا تجرؤ على اقتحام قلب عرف الإسلام أو حتى ورث الإسلام. وأحسب -والله أعلم- أنه كان من ثمرة اليأس من هذا الدين أن عدل اليهود الصهيونيون والنصارى الصليبيون عن مواجهة الإسلام جهرة عن طريق الشيوعية، أو عن طريق التبشير، فعدلوا إلى طرائق أخبث وإلى حبائل أمكر، لجأوا إلى إقامة أنظمة وأوضاع تتزيا بزي الإسلام، وتتمسح في العقيدة، ولا تنكر الدين جملة... ثم هي تحت هذا الستار الخادع تنفذ جميع المشروعات التي أشارت بها مؤتمرات التبشير. وبروتوكولات صهيون، ثم عجزت عن تنفيذها

كلها في المدى الطويل.

إن هذه الأنظمة والأوضاع ترفع راية الإسلام، أو على الأقل تعلن احترامها للدين، بينما هي تحكم بغير ما أنزل الله، وتقصي شريعة الله عن الحياة، وتحل ما حرم الله، وتنشر تصورات وقيماً مادية عن الحياة والأخلاق تدمر التصورات والقيم الإسلامية، وتسلط جميع أجهزة التوجيه والإعلام لتدمير القيم الإسلامية، وسحق التصورات والاتجاهات الدينية، وتنفيذ ما نصت عليه مؤتمرات المبشرين وبروتوكولات الصهيونية».

ولا شك أن تسهيل مهام الأعداء وأهدافهم في بلاد المسلمين، لن يجد مناخاً أيسر ولا أنسب من المناخ الذي يسيطر فيه المبدلون للشريعة على مقدرات الأمة، فيقتلون فيها كل روح تنزع إلى المقاومة أو الخروج من رسف الأغلال.

٢ـ تسلط الكفار وتوالي المصائب:

تعيش هذه الأمة في استقلال وعزة طالما اعتزت بهذا الدين، فإذا ما بحثت عن العزة في غيره لم تجد إلا الهوان، كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: «إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله أذلنا الله» (الحاكم).

ويمكن القول إنه ما من مرة في التاريخ فرطت هذه الأمة في رسالتها وانحرفت عن شريعتها إلا وسلط الله عليها غيرها.

وفي وقت مبكر من حياة الإسلام، لُقن المسلمون هذا الدرس، فقد كانت مخالفة أمر رسول الله ﷺ -مثلما حدث في أحُد- درساً متجسداً باقياً. يُعطي للأمة في كل أجيالها المؤشر الدقيق والميزان المرهف الذي يمكن أن تقيس به حالها، لقد هُزم الجيش الإسلامي حينذاك على الرغم من أن الجنود كانوا من خير القرون، وقائدهم خير البرية. حدث هذا ليستقر في تصور المسلمين أن عقوبة المخالفة هي مصائب عاجلة تتناسب مع قدر المخالفة ومكانة المخالِف، وهذه الأمة المناط بها القيام بأعظم رسالة، تؤخذ بما لا يؤاخذ به غيرها -على الأقل في هذه الدنيا- وقد تنَزَّل القرآن إبَّان «مصيبة أحد» يهدئ من روع المذهولين ويجيب على استفهامات المتسائلين عن سبب الهزيمة وعلة المصيبة ليخاطبهم قائلاً: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾[آل عمران ١٦٥]. إنها قاعدة مطردة وسنة جارية... إن ما يصيب المسلمين من مصائب لا يكون من قِبَل قوة الأعداء ولا بسبب خذلان الأصدقاء، إنما الذي يؤتى المسلمون من قِبَله هو نفوسهم ذاتها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[الأنفال ٥٣].

إن هذا الدرس الذي تلقاه المسلمون الأوائل، ظل على مدى التاريخ الإسلامي هو الدرس نفسه، فالصليبيون تسلطوا على المسلمين في أواخر القرن الخامس الهجري في وقت كان بيت المقدس محاطاً بالعديد من الإمارات المتهالكة على السيطرة، المتنافسة في معترك الأهواء، وفي الوقت الذي كان يبدو فيه أن العباسيين شغلتهم شواغل أخرى عن الإعداد للصليبية المتربصة حتى دهمتهم آخر الأمر في زحف لا ينقطع مدده أشعل الحرب في ديارنا قرنين كاملين، وما ندري ما هذه الشواغل. لقد كانت الأهواء متغلغلة في جسد الأمة حتى وصلت عناصر من المبتدعة الضالين بل الملاحدة المارقين إلى سدة الحكم في كثير من الديار الإسلامية، فاستولى العبيديون على مصر ومناطق من الشام والمغرب العربي لعقود طويلة، ومن سوء الحظ أنهم كانوا في بيت المقدس وقت أن دهمها الصليبيون، فكيف كان يمكن الانتصار عليهم وقتها؟!

وكذلك سُلط النصارى على المسلمين في الأندلس، فهل كان هذا الأمر بعيداً عن حال الحكام والمحكومين هنالك وقتذاك؟ بالقطع لا، فالأمراء الذين بدأوا فكانوا لله خلائف، انتهى الأمر بهم إلى أن أصبحوا ملوك طوائف يبحثون عن اللذات، ويتحركون بالعصبيات، ويقدمون الأهواء على الشرائع في الحكم، وانتهى من حياتهم ذكر القيم الأولى وذكر الأجداد الكبار، وجاء التتار فاجتاحوا بلاد المسلمين، حتى لم تنج منهم عاصمة الخلافة نفسها، ولم يفلت من بأسهم حتى خليفة المسلمين، فهل كان هذا من فراغ؟ لقد «طال عهد العباسيين (١٣٢ - ٦٥٦هـ) فوصل إلى ما يقرب من خمسة قرون وربع وضعفت دولتهم في آخرها، إذ زاد ظهور العصبية فقامت دول على أساسها، ولم يكن داع لقيامها لولا العصبية التي حملتها واللغة التي أحيتها من جديد. فظهرت الدولة السامانية والغزنوية والخوارزمية، ولا شك أن الطموح السياسي كان أساساً في نشأتها، ثم نما باسم العصبية التي لم تعدم متعصبين لها، كما انفصلت أجزاء عن الدولة رسمياً، وأعلنت عن قيام خلافة مستقلة فيها، فكانت الخلافة الأموية في الأندلس والفاطمية في مصر وأجزاء من أفريقيا، ولم تكن هذه الدول على تفاهم فيما بينها، بل على العكس كانت معادية بعضها لبعض، وكل منها على صلة بأعداء الأخرى، فالعباسيون في بغداد يصادقون حكام الفرنجة خصوم أمويِّي الأندلس. هذا مع العلم أنه لا ينبغي في درا الإسلام سوى خليفة واحد، وهذا يدل على ضعف الروح الإسلامية لدى المسلمين في ذلك العهد بالنسبة إلى ما كان عليه المسلمون الأوائل في الصدر الأول». والإسلام ليس مسؤولاً عن الممارسات التي أوصلت إلى هذه الحال، ولكن ولاة الأمر وقتها لا يعفون من المسؤولية على أية حال.

وفي العصور المتأخرة، وبعد ما دب الفساد في أوصال أجهزة الحكم العثمانية، وبالتالي في القواعد العريضة -للجماهير التابعة لها- تراجع العثمانيون وهزموا في معارك عديدة أمام النصارى الأعداء، وتقهقر المماليك سريعاً أمام (نابليون) فكان ذلك مؤشراً مفزعاً على الحال التي وصلت إليها الأمة وما بلغته من هوان على الله، حتى ولت الأدبار أمام زحف الكفار.

إن من سنن الله تعالى المستخرجة من حقائق الدين والتاريخ أنه إذا عُصِيَ الله تعالى ممن يعرفونه، سلَّطَ عليهم من لا يعرفونه.

وفي العقود الحديثة التهمت أوروبا النصرانية القطعة إثر القطعة من بلاد المسلمين، حتى كادت تستولي على الحرمين الشريفين بعد الحرب العالمية الثانية التي قسمت بلاد المسلمين بمقتضى معاهدة (سايكس بيكو) بين الكاثوليك والبروتستانت، كان ذلك في وقت ضاق العرب ذرعاً بالخلافة الإسلامية في تركيا، وضاقت تلك الخلافة ذرعاً بهم بسبب اتباع ما استحدث من ابتداع في الشريعة والعقيدة بالاجتماع على القوميات والوطنيات المنافية للإسلام، المقوضة لرابطة الإخاء الإيماني. وانتهى الأمر بإسقاط دولة الخلافة الإسلامية العثمانية على يد يهود الدونمة بالتعاون مع النصارى ومظاهرة من منافقي العرب. ومن يومها والمصائب تتوالى على المسلمين الذين استسلموا لأنظمة حاكمة بغير ما أنزل الله. ولم يعد الأمر، أمر دروس أو عبر، بل صار أقرب إلى الانتقام الإلهي منه إلى التذكير. لأن الشقة قد بعدت بين المسلمين وبين حكم الإسلام، حتى لم يعد الظالمون يكتفون بإقصاء الشريعة وإبعادها عن الحكم، بل صار ديدنهم محاربتها وإدانة من يطالب بها.

ولهذا سُلطت كل الأعداء، وأطلقت كل الأيادي، لتنال من أطراف ديار المسلمين، وصدق في الأمة قول المعصوم ﷺ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قال قائل: أو من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور أعدائكم المهابة منكم، وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت**» (أحمد وأبو داود). وعظمت المصيبة بتسليط الأمة الذليلة على الأمة التي كانت عزيزة بالإسلام، فذاق المسلمون على يد اليهود ألواناً من المهانة والذل في ميادين القتال وساحات المعارك.

ولا يمكن أن يكون عصر الهزائم هذا إلا أثراً من آثار الانحراف عن الشريعة الذي غرقت فيه الأمة إلى القاع، وتغلغل فيها حتى النخاع ❑

قُبِلَ المَهْرُ وَزُفَّت العروس

ذكر ابن النحاس في كتابه مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق أنه كان في البصرة نساء عابدات، وكان منهن أم إبراهيم الهاشمية، فأغار العدو على ثغر من ثغور المسلمين، فانتدب الناس للجهاد، فقام عبد الواحد بن زيد في الناس خطيباً فحضهم على الجهاد، وكانت أم إبراهيم حاضرة في مجلسه، فتمادى عبد الواحد في كلامه، ثم ذكر ما أعده الله عز وجل لمن قتل في سبيله في الجنة من النعيم المقيم، ثم تمادى في وصف الحور العين وذكر ما قيل فيهن فأنشد في صفة الحوراء:

غـــادةٌ ذاتُ دلالٍ وَمَـــرَحْ ... يجـدُ الناعِـتُ فيهـا مَـا اقْتَـرَحْ
خُلِقَـتْ مـن كـل شـيءٍ حسـنٍ ... طَيِّـبٍ ياليـتَ فيهـا مُطَّـرَحْ
زانهـا اللهُ بوجـهٍ جُمِعَـتْ ... فيـهِ أوصـافٌ غريبـاتُ المُلَـحْ
وبعـينٍ كُحْلُهـا مـن غَنْجِهـا ... وبِخَـدٍّ مِسْـكُهُ فيـهِ رَشَـحْ

فماج الناس وفرحوا وأخذوا يتحادثون فيما بينهم فاضطرب المجلس، فوثبت أم إبراهيم في وسط النساء وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد، ألست تعرف ولدي إبراهيم ورؤوس أهل البصرة يخطبونه لبناتهم وأنا أضن به عليهم، فقد والله أعجبتني هذه الجارية، وأنا أرضاها عروساً لولدي، فكرر ما قلت من حسنها وجمالها، فأخذ عبد الواحد في وصف الحوراء ثم أنشد:

تولَّـدَ نـورُ النُّـورِ مِـنْ نـورِ وَجهِهَـا ... فمـازَجَ طيـبَ الطّيـبِ مـن خـالصِ العطْرِ
فَلـوْ وَطَـأَتْ بالنَّعـلِ منْهـا علـى الحَصَـى ... لأَعشَـبَتِ الأقْطـارُ مـن غـيرِ مَـا قَطْـرِ
ولـو شـئتَ عَقْـدَ الخَصْـرِ منـها عَقَدْتَـهُ ... كَغُصْـنٍ مـن الرَّيْحـانِ ذي وَرَقٍ خُضْـرِ
ولـو تَـفَلتْ في البحـرِ شَـهْدَ رِضَـابِها ... لطَـابَ لأهْـلِ البَـرِّ شـربٌ مـن البَحْـرِ

فاضطرب الناس أكثر، فوثبت أم إبراهيم وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد، والله قد أعجبتني هذه الجارية وأنا أرضاها عروساً لولدي فهل لك أن تزوجها منه وتأخذ مني مهرها عشرة آلاف دينار؟ ويخرج معك في هذه الغزوة، فلعل الله أن يرزقه الشهادة فيكون شفيعاً لي

ولأبيه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فقال لها عبد الواحد: لئن فعلت لتفوزن فوزاً عظيماً، أنت وأبوك وولدك. فنادت ولدها: يا إبراهيم، فوثب من وسط الناس وقال لها: لبيك يا أماه، قالت: أي بني، أرضيت بهذه الجارية زوجة لك، ببذل مهجتك في سبيل الله وترك العَوْدِ في الذنوب؟ قال الفتى: أي والله، أي والله يا أماه، رضيتها وأي رضا، قالت: اللهم إني أشهدك أني زوجت ولدي هذا من هذه الجارية، ببذل مهجته في سبيلك وترك العَود في الذنوب، فتقبله مني يا أرحم الراحمين، ثم انصرفت فجاءت بعشرة آلاف دينار، وقالت: أبا عبيد، قال: لبيك، قالت: هذا مهر الجارية، تجهز به وجهز الغزاة في سبيل الله، وانصرفت فاشترت لولدها فرساً جيدةً واستجادت له سلاحاً، فلما خرج عبد الواحد خرج إبراهيم يعدو وهو يقرأ ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ ﴾، فلما أرادت أم إبراهيم فراق ولدها، دفعت إليه كفناً وحنوطاً، وقالت له: أي بني، إن أردت لقاء العدو فتكفن بهذا الكفن وتحنط بهذا الحنوط وإياك أن يراك الله مقصراً في سبيله، ثم ضمت ولدها فلذة كبدها إلى صدرها وقبلت بين عينيه وقالت: يا بني، لا جمع الله بيني وبينك إلا بين يديه في عرصات القيامة.

قال عبد الواحد: فلما بلغنا العدو وبرز الناس للقتال، برز إبراهيم في المقدمة فقتل من العدو خلقاً كثيراً، ثم اجتمعوا عليه فقتلوه، فلما أراد الرجوع إلى البصرة قال لأصحابه: لا تخبروا أم إبراهيم بخبر ولدها حتى ألقاها بحسن العزاء لئلا تجزع فيذهب أجرها، قال: فلما وصلنا البصرة خرج الناس يتلقَوننا وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج، فلما أبصرتني قالت: يا أبا عبيد، هل قُبِلت مني هديتي فأهنأ، أم ردت علي فأعزى، فقلت لها: قد قبلت والله هديتك، إن إبراهيم حي مع الشهداء إن شاء الله، فخرت ساجدةً لله وقالت: الحمد لله الذي لم يخيب ظني، وتقبل نسكي مني، وانصرفت إلى بيتها ونامت وهي قريرة العين، لأن ابنها قد قتل في سبيل الله عز وجل، فلما كان من الغد أتت إلى المسجد وعلى وجهها البشر والسرور وقالت: السلام عليك يا أبا عبيد، بشراك بشراك، فقال: لازلت مبشرة بخير، فقالت: يا أبا عبيد، رأيت البارحة ولدي إبراهيم في روضة حسناء وعليه قبة خضراء، وهو على سرير من اللؤلؤ وعلى رأسه تاج وإكليل، وهو يقول: يا أماه، يا أماه، أبشري فقد قُبِلَ المَهرُ وزُفَّتِ العروس ❑

حزب التحرير ـ إندونيسيا يقود حملة ضد الصور العارية

قاد الحزب يوم ٢٠٠٦/٥/٢١ احتجاجات ضد نشر الصور العارية والأعمال (غير الأخلاقية) في إندونيسيا بعد أن تم التعاون بين الحزب ومجلس العلماء الإندونيسي في العاصمة جاكرتا وفي باقي المناطق. وقد ضمت الاحتجاجات أكثر من مليون نسمة من مختلف شرائح المجتمع، أفراداً ومنظمات... وقد كانت من أعظم الاحتجاجات كماً وكيفاً في تاريخ إندونيسيا. وقد سبق أن قاد الحزب حملة مماثلة في ٢٠٠٦/٤/١٠. وقد ملئت قلوب العلمانيين غيظاً لذلك، حيث كان العلمانيون يروجون لنشر هذه الصور المسيئة، ويعدونها (رقيًا)! وبدأوا بالتحريض على حظر الحزب لنشاطه المكثف حول منع الصور العارية. وصارت صحفهم تركز على أن حزب التحرير وراء هذه التحركات لمنع الناس! ولقد عقد الحزب مؤتمرين صحفيين حول الموضوع، بتاريخ ٢٠٠٦/٥/٢٥، ٢٠٠٦/٥/٢٦ وكان أثرهما جيداً، فإن معظم الشعب الإندونيسي شعب مسلم متمسك بدينه وقد كانت مشاركته في هذه الاحتجاجات دليلاً على رفضه كل ما يسيء إلى دينه ❑

حزب التحرير وانتشار رايات العقاب في مدينة طرابلس ـ لبنان

تنتشر رايات العقاب على شرفات المنازل، وفي الطرقات، وعلى المساجد، وعلى السيارات، وفي المحلات، وفي بعض المحاور الأساسية والنقاط في مدينة طرابلس - لبنان. حتى إن المسلمين هناك، يندفعون لرفع هذه الراية التي يعتبرونها رايتهم التي لا يقبلون أن يستبدلوها بأية راية. وحدث أنه في فترة انشغال بعض الشباب بالمونديال ورفعهم لأعلام الدول التي تنتمي إليها فرق كرة القدم المتنافسة، أن اشترى المسلمون لهؤلاء رايات العقاب وأعطوها لمن يرفع أعلام الفرق بدون مقابل ليرفعوها بدل تلك الأعلام، فأقبل قسم كبير منهم على راية العقاب لأنها راية المسلم الحقيقية.

ويذكر أن حزب التحرير - ولاية لبنان كان أول من رفع الراية في مسيراته واعتصاماته التي قام بها، وكان الوحيد الذي قام بمسيرة اشترك فيها الآلاف من أعضائه ومناصريه رفعت فيها الرايات بكثرة في العاصمة كرد على ما يرفع من أعلام لبنانية أو أعلام تابعة لمنظمات وأحزاب سياسية لبنانية في تجمعاتهم التي كانوا يقومون بها على سبيل المنافسة السياسية فيما بينهم. أما في طرابلس فقد قام شباب حزب التحرير هناك بمسيرات في مختلف مناطقها رفعت فيها الرايات بكثرة؛ لذلك يعترف الجميع هناك بأن حزب التحرير هو أول من أحيا هذا الأمر، وإليه تنسب هذه الرايات، وبذلك أصبحت فكرة الخلافة ورفع راية العُقاب من شعارات حزب التحرير التي تميزه عن غيره ❑

موسكو تنشر لائحة تضم ١٧ منظمة إرهابية في العالم بينها حزب التحرير

ذكرت الشرق الأوسط في ٧/٢٩ أن

المحكمة العليا في موسكو أعلنت أسماء ١٧ منظمة اعتبرتها إرهابية مع قرار بحظر نشاطها داخل الأراضي الروسية. ويذكر أن جميع هذه المنظمات هي منظمات إسلامية ومن بين من تضمهم هذه القائمة «حزب التحرير الإسلامي». وقالت المصادر الروسية إن هذه القائمة هي القائمة الوحيدة الرسمية التي أصدرت المحكمة الروسية العليا قرارها بشأنها بناء على طلب النيابة العامة. وقال الجنرال يوري صابونوف من جهاز الأمن والمخابرات في حديث صحافي نشرته الصحيفة الروسية «روسيسكايا غازيتا» إن المعايير التي حددت إدراج هذه المنظمة أو تلك ضمن القائمة الرسمية تنحصر أولاً في نشاط المنظمة الذي يستهدف تغيير نظام الحكم الدستوري في روسيا الاتحادية بالقوة أو بالعنف المسلح من خلال السبل الإرهابية. وثانياً: الاتصال بالتشكيلات المسلحة غير المعترف بها وغيرها من التشكيلات المتطرفة الموجودة في شمال القوقاز. وثالثاً: الانتماء إلى التنظيمات التي يعتبرها المجتمع الدولي منظمات إرهابية أو الاتصال بها ❑

فيما الحرب على لبنان مشتعلة: سوريا تريد السلام مع (إسرائيل)!

ذكرت الحياة في ٢٠٠٦/٨/٥ أن صحيفة "يديعوت أحرونوت" وهي الصحيفة الأوسع انتشاراً في (إسرائيل) أجرت مقابلة مع السفير السوري في واشنطن عماد مصطفى، أجرتها مراسلتها في العاصمة الأميركية أورلي أزولاي في مبنى السفارة السورية قبل أكثر من أسبوع، حيث قال: «حزب الله حليفنا وصديقنا، وإذا أراد أحد أمراً ما منه فعليه أن يأتينا بطلب منطقي أو باقتراح بحل كل المشاكل في الشرق الأوسط، بشكل جذري لتحقيق سلام حقيقي دائم» واعتبر أن حل الصراع لن يتأتى قبل إنهاء الاحتلال الإسرائيلي، و«الحل ليس معقداً. تقام دولة فلسطينية في إطار حل دولتين، وتستعيد سوريا الجولان، ويحصل لبنان على مزارع شبعا، وبعدها يتم توقيع اتفاقات سلام بين الأطراف». وعن آفاق سلام بين سوريا والدولة العبرية، قال مصطفى إن سوريا تعترف بحق إسرائيل في الوجود والعيش بأمان، وعلى رغم أننا نرى في إسرائيل، وليس في الولايات المتحدة، عدواً، وبالذات لأنها عدو فقد دعوناها ثلاث مرات، في السنوات الأخيرة لمفاوضات سلمية ولم نتلقَ أي رد. وقال إنه ليس متحمساً لعقد لقاء بين الرئيس السوري ورئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت من أجل المصافحة والتقاط الصور «بل يجب التمهيد للقاء كهذا بلقاءات بين دبلوماسيين تحل ٩٠ في المئة من المشاكل العالقة، ثم يلتقي وزيرا الخارجية ويتوصلان إلى حل وسط ويحلان المسائل المتبقية ويصوغان مسودة اتفاق يوقع عليها الزعيمان». من جهة أخرى، كتب مصطفى مقالاً نشرته صحيفة لوس أنجلوس تايمز بعنوان «سوريا تريد الحديث، ولكن الرئيس بوش لا يرفع السماعة» وتحدث مصطفى في المقال عن

«الدور الحيوي والمهم» الذي لعبته دمشق بعد أحداث ١١ سبتمبر، مشيراً إلى التعاون الأمني والاستخباراتي مع الولايات المتحدة، لافتاً إلى أن وزير الخارجية الأميركي السابق كولن باول قد قال في إحدى رسائله للكونغرس إن المعلومات المهمة التي قدمتها سوريا «ساهمت في إنقاذ حياة أميركيين». وختم مصطفى مقاله في «لوس أنجلوس تايمز» بالتشديد على ضرورة تغيير الموقف الأميركي تجاه سوريا، وقال إنه عندما تدرك الولايات المتحدة أنه حان الوقت لتراجع سياساتها تجاه سوريا، فإن سوريا ستكون مستعدة للانخراط، لافتاً النظر إلى أن قواعد اللعبة يجب أن تكون واضحة، إذ إن سوريا ليست «منظمة خيرية»، كما قال الرئيس السوري بشار الأسد، وهي لن تعطي شيئاً بدون مقابل، فإذا أرادت الولايات المتحدة شيئاً من سوريا يجب أن تقدم لها شيئاً آخر بالمقابل.

وهل بعد هذا الكلام كلام في الخيانة؟... واضح أن سوريا تعمل على الاستفادة مما يجري في لبنان من مذابح بحق المسلمين فيها لتوقيع سلام مع يهود. إنه سلام استغلال الدماء ❑

حالوتس: تدربنا قبل شهرين على العملية

نقلت الحياة في ٧/٢٩ عن رئيس الأركان الإسرائيلي دان حالوتس تأكيده أن الجيش (الإسرائيلي) أجرى تدريباً قبل حوالى شهرين تناول سيناريو مماثلاً لما حصل، لافتاً إلى أن «الخطة الشاملة» تتحدث عن عمليات عسكرية لشهرين... وقال إن «الإنجاز سيكون بتطبيق القرار ١٥٥٩، وفي حال حصل ذلك سيكون إنجازاً عظيماً» ❑

معلقون (إسرائيليون) يطالبون بترك الأخلاق جانباً

ذكرت الحياة في ٧/٢٩ أن وسائل الإعلام ساهمت في الكيان العبري في تصعيد نبرة العداء والكراهية في الحرب على لبنان. واقتفى الصحافي رافي غينات محرر كبرى الصحف العبرية "يديعوت أحرونوت" أثر نظيره في «معاريف» بدعوة الجيش إلى «عدم التحلي بأخلاق حميدة على حساب حياتهم» وكتب يقول: «ليست لدي مشكلة في أن أكون أقل أخلاقاً، في نظري شخصياً إذا كان في الأمر ما ينقذ حياة ولد (جندي) واحد في وحدة غولاني... من أجله أنا مستعد لأغلي بنار ساخنة مخربي حزب الله، ومعاونيهم، والمتعاونين معهم، ومن يغض الطرف عنهم، وكل من تشتمّ منه رائحة حزب الله... ونفضل أن يموت الأبرياء منهم بدلاً من الأبرياء عندنا... يجب أن نضرب في قوة، ومسموح لنا أن نشعر بالراحة في وضع كهذا». وعن ردود فعل الإعلام العبري على مجزرة قانا التي وقعت في ٧/٣٠ فقد طالب بـ«تدمير القرى والبيوت فوق ساكنيها وترك الأخلاق جانباً والدوس على العدو. وقد ذكرت الحياة في ٧/٣١ عينة من هذه الردود: «على ماذا تتأسفون، هذا هو الوقت لنظهر أقوياء» و«من قال إن الصور من قانا مريعة، إنها ليست

كذلك أبداً» و«نحن لسنا مثلهم نحن أخلاقيون»، «كل الاحترام للجيش واصلوا وبكل قوة وأتونا بالنتائج» و«هذا الثمن يستحقون دفعه، من قال إنه يجب علينا تحذيرهم قبل القصف» و«في هذه الحرب، يفضل لبناني ميت على إسرائيلي ميت» ❑

الرأي العام (الإسرائيلي) بأغلبيته مع الحرب ضد لبنان

في استطلاع أجرته صحيفة "يديعوت أحرونوت" تبين أن الرأي العام (الإسرائيلي) معبأ بكل شرائحه دعماً للحرب. فقد رأى ٨٢٪ وجوب أن تمارس (إسرائيل) قوة أكبر في حربها، وأعرب ٩٠٪ عن ارتياحهم إلى أداء الجيش، و٨٢٪ لأداء رئيس الوزراء إيهود أولمرت و٧١٪ لأداء وزير الدفاع واعتبر ٩٢٪ أن الحرب عادلة وأيّد ٧٤٪ إستدعاء الاحتياط... وقد ساعد في تكوين هذا الرأي العام وحدة موقف وسائل الإعلام والسياسيين وخاصة اليسار (الإسرائيلي) الذي راح يظهر مزيداً من التشدد ليتفوق به على اليمين المتشدد. فقد صرح الأمين العام لحركة "السلام الآن" أنه «ليس منطقياً أن نتظاهر الآن هذا يمس بالدولة، ونحن هنا مهاجمون، ولك من يتظاهر الآن إنما يدعم حزب الله». ودعا زعيم حزب "ميرتس" اليساري يوسي بيلين إلى بتر يد كل من يرفع يده على (إسرائيل). هؤلاء هم يهود قاتلهم الله إلى أي حزب هم ينتمون... ❑

«هيومن رايتس ووتش» تتهم إسرائيل باقتراف «جرائم حرب» في لبنان

اتهمت منظمة «هيومن رايتس ووتش» الدولية إسرائيل باقتراف جرائم حرب في لبنان، مؤكدة أن القوات الإسرائيلية «فشلت منهجياً في التفريق بين المقاتلين والمدنيين خلال حملتها العسكرية ضد حزب الله في لبنان». وفي تقرير مفصل، قالت هذه المنظمة إنها درست أكثر من ٢٠ حالة في لبنان، إن «هذا الفشل في التمييز بين المدنيين والمقاتلين لا يمكن تعريفه كخطأ، كما لا يجوز إلقاء لومه على عاتق ممارسات حزب الله الخاطئة». وقال كينيث روث، المدير التنفيذي لـ«هيومن رايتس ووتش» في بيان صادر أمس: «إن نمط الهجمات يدل على لامبالاة القوات المسلحة الإسرائيلية لأرواح المدنيين اللبنانيين»، مضيفاً أن «أبحاثنا تشير إلى أن الزعم الإسرائيلي بأن مقاتلي حزب الله يختبئون بين المدنيين، لا يشرح، ولا يبرر، أسلوب القتال الإسرائيلي العشوائي». وأكدت المنظمة في تقريرها أن «الضرر الواقع بين المدنيين في جميع تلك الحالات كبير، وفي حالات عدة، قامت قوات الدفاع الإسرائيلية بقصف مواقع لا يوجد فيها هدف عسكري ظاهر». وأضاف التقرير: في بعض الحالات استهدفت إسرائيل المدنيين «عمداً على ما يبدو». ويستند التقرير المعنون «الضربات القاتلة: هجمات إسرائيل العشوائية ضد المدنيين في لبنان» إلى شهادات ذوي الضحايا وشهود عيان، بالإضافة إلى زيارات ميدانية

لمواقع الانفجارات والمستشفيات اللبنانية ❑

وزير خارجية قطر: دول عربية تدعم الهجوم (الإسرائيلي) على لبنان

ذكرت الشرق الأوسط في ٨/٢ أن الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني وزير خارجية قطر أكد أن المكتب التجاري الإسرائيلي ما يزال يعمل في بلاده، وأن لا مصلحة لديهم في إغلاقه. واتهم الوزير القطري في حديث أدلى به لتلفزيون الجزيرة، بعض الدول العربية بدعم الهجوم الإسرائيلي على لبنان لنزع سلاح «حزب الله» ممتنعاً عن ذكر أية دولة بالاسم. وقال الشيخ حمد «التخاذل العربي غير غريب.. ولكن الموافقة هي الغريبة. إعطاء الضوء الأخضر بشكل مباشر لإكمال هذا الموضوع... هذه هي العملية الخطيرة». وأضاف قائلاً إن هناك «نوعاً ما من الموافقة بأن تقوم إسرائيل وتكمل المهمة بالقضاء على حزب الله في المنطقة». ومضى قائلاً إنه يعتقد أن تلك الدول تفكر في المصلحة العامة للبنان، لكنها تنسى المصلحة العامة للعرب ومواطنيها، وقال الشيخ حمد إن السبيل إلى تسوية الأزمة في لبنان والصراعات الأخرى في الشرق الأوسط هو المحادثات المباشرة بين الدول العربية وإسرائيل. ونفى الوزير القطري علم بلاده بنقل القنابل الذكية من الأراضي القطرية إلى إسرائيل، إذ قال: «لا أستطيع أن أنفي أو أؤكد»، وكانت «الشرق الأوسط» قد كشفت في ٢٤ يوليو (تموز) الماضي أن القنابل الذكية التي قررت واشنطن تسريع تسليمها إلى إسرائيل ستنقل من قاعدة «العيديد» في قطر مقر القيادة الوسطى في الخليج، وهو ما أكدته تل أبيب، وهي عبارة عن قذائف صاروخية متطورة تخترق الخنادق والأنفاق والاستحكامات العسكرية لمسافة ٣٠ أو ٤٠ متراً تحت الأرض. وأن هذه القذائف ستستخدم في قصف حصون «حزب الله» تحت الأرض من أجل تصفية قيادة الحزب، بمن في ذلك أمينه العام حسن نصر الله أو مجموعة من رفاقه في القيادة ❑

فضل الله: حرب لبنان ستمتد إلى العالم العربي والإسلامي

توقع المرجع الشيعي محمد حسين فضل الله في خطبة الجمعة ٨/٤ في بيروت أن تمتد الحرب في لبنان إلى «العالم العربي والإسلامي»، متهماً أنظمة عربية مقربة من الولايات المتحدة بالعمل على مواصلة الحرب في لبنان. وأضاف «إن حلفاء أميركا وأصدقاء إسرائيل من بعض الأنظمة العربية يشعرون بهذه القوة الجديدة التي واجهت العدو بمنطق النصر على جنوده (في إشارة إلى حزب الله) فبدأوا يحسبون له ألف حساب حتى إنهم - بالرغم من إنكارهم الشكلي- أصبحوا يشجعون العدو على الاستمرار في حرب لبنان أملاً في إنزال الهزيمة بالمقاومة». واعتبر أن الولايات المتحدة تسعى مع إسرائيل إلى ضرب كل الأنظمة العربية بما فيها تلك المتحالفة مع الولايات المتحدة. وقال «لقد أرادت أميركا أن تكون إسرائيل هي القوة الأكبر في المنطقة

لتكون يدها الضاربة التي تضرب فيها كل الأنظمة العربية بما فيها تلك الأنظمة المتعاملة معها» ❑

نقاشات ساخنة في اجتماعات بيروت

كشف مصدر مطلع شارك في اجتماعات وزراء الخارجية العرب في بيروت لـ«الشرق الأوسط» عن بعض تفاصيل النقاشات الساخنة التي دارت في الاجتماع. وقال المصدر إن وزير الخارجية السوري وليد المعلم فجر خلافاً ونقاشاً ساخنين عندما قال بعد طرح السعودية لدعوتها للقمة العربية الطارئة في مكة المكرمة، إن سوريا تبارك هذا الاجتماع إذا كان سيدعو لتجييش الجيوش العربية وقطع إمدادات البترول، فرد وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل بأن البترول للتنمية وليس للحرب. في هذه الأثناء تدخل عبد الرحمن شلقم، أمين اللجنة الشعبية الليبية للاتصال الخارجي والتعاون (وزير الخارجية)، وقال للمعلم: «لا أعلم لماذا دائماً تشتعل هذه الأمور وتردد شعارات، كلنا يعلم أنه ليس لها نتيجة. فلنعط الفرصة للآخرين ليتحدثوا». ورد المعلم قائلاً «إننا نعبر عن الكرامة والصمود والتضحية» فأجابه الوزير الليبي: «لماذا لا تطبقها إذاً في الجولان؟» ❑

لا مواجهة بين سوريا و(إسرائيل)

نقلت الشرق الأوسط في ٧/٢٩ أن مصادر سياسية إسرائيلية رفيعة جداً في القدس ذكرت أن القيادتين السورية والإسرائيلية تبادلتا مؤخراً رسائل الطمأنة المتبادلة، بالحرص المشترك على الامتناع عن توسيع العمليات الحربية في لبنان إلى الحدود السورية، وعدم الانزلاق إلى التصادم الحربي بينهما. وقد لاحظت إسرائيل أن قلقاً يساور القيادة السورية من خطر توسيع الحرب باتجاهها، فأعلنت حالة الطوارئ. وعلى إثر ذلك بثت رسائل سرية وعلنية إلى دمشق توضح لها فيها أنها ليست معنية بحرب كهذه. وأطلق رئيس الوزراء إيهود أولمرت ووزير الدفاع عمير بيرتس، أكثر من تصريح بهذا الخصوص يؤكدان فيها بمناسبة ومن دون مناسبة أنهما غير معنيين بمثل هذه الحرب. وعندما طرح الأمر على أولمرت من أوساط إسرائيلية تؤيد حرباً كهذه، قال بكل حزم: لا أريد أن أفتح جبهة ثالثة. أما وزير الدفاع فقد قال صباح أمس وللمرة الثانية في أقل من ٢٤ ساعة، إن إسرائيل لا تسعى إلى مواجهة مع سورية رغم دعمها «حزب الله». وصرح للإذاعة العسكرية أثناء زيارة تفقدية لقاعدة بحرية «أعلنّا مراراً أن لا نية هجومية لدينا تجاه سوريا». وقال: «نقوم بكل شيء لكي يظل الوضع مع سوريا على حاله، ونبعث الرسالة آملين أن يتم سماعها جيداً» بدوره قال الجنرال إسحق غيرشون إن إسرائيل «لا مصلحة لها في حرب مع سوريا» وتقول المصادر الإسرائيلية إن سوريا، من جهتها، تطمح في تأدية دور إيجابي في هذه الحرب، فتقترح أن تساعد على احتواء الأزمة، وأن تتوسط لإنهاء الصراع بين إسرائيل و«حزب

الله» بواسطة اقتراح صفقة شاملة تفضي إلى سلام إسرائيلي - سوري وليس فقط إنهاء الحرب. نعم هذه هي سوريا ظاهرها أنها تؤيد حزب الله وحقيقة موقفها تجاه ما يجري أنها تريد الاتفاق مع يهود وليس غير ❑

قاتل فتاة المحمودية: قتل العراقيين مثل «سحق نملة»

ذكرت الشرق الأوسط في ٨/١: «قال الجندي الأميركي ستيفن غرين، المتهم باغتصاب وقتل فتاة عراقية في المحمودية في مارس الماضي مع ثلاثة مع أفراد أسرتها، في مقابلة أجريت معه قبل شهر من ارتكابه هذه الجريمة، إن قتل الناس في العراق يشبه "سحق نملة". وكتب الصحافي أندرو تيلغمان، المراسل السابق للصحيفة العسكرية «ستارز آند سترايبس»، في صحيفة «واشنطن بوست» أول من أمس، أنه أجرى مقابلات مع غرين عدة مرات في فبراير جنوب بغداد. ونقل الصحافي عن غرين قوله، في إحدى المقابلات «أتيت إلى هنا لأنني أردت أن أقتل الناس». وأضاف غرين «الحقيقة أن الأمر لم يكن كما كنت أتوقع... أعني أنني كنت أعتقد أن قتل شخص سيكون تجربة تغير حياة الإنسان... لكنني «قتلت شخصاً رفض التوقف أثناء وجودنا عند نقطة تفتيش ولم أشعر بشيء». وأوضح «هناك، قتل إنسان يشبه سحق نملة... أعني أنك تقتل شخصاً ثم تقول: حسناً لنذهب لتناول البيتزا» ❑

عراقيات يطالبن بمحاكمة الجندي الأميركي مغتصب فتاة المحمودية كـ«مجرم حرب»

جاء في الشرق الأوسط في ٧/١٣ أن منظمات نسائية ومنظمات غير حكومية وأحزاب سياسية وجمعيات حقوق إنسان في العراق طالبت أمس بمحاكمة الجندي الأميركي المتهم باغتصاب فتاة عراقية وقتلها مع ثلاثة من أفراد أسرتها كـ«مجرم حرب». وأصدرت المنظمات التي أقامت تجمعاً حضرته أكثر من ١٥٠ امرأة في نادي اليرموك في بغداد بياناً طالبت فيه بـ«محاكمة الجندي ستيفن غرين كمجرم حرب»، مضيفة «لا نرضى بأن يتهم بالاضطراب النفسي أو الجنون، لأن المضطرب نفسياً لا يصلح للخدمة العسكرية». ووجهت إلى الجندي ستيفن غرين التهمة رسمياً باغتصاب وقتل العراقية مع ثلاثة من أفراد أسرتها في منطقة المحمودية (جنوب بغداد) في ١٢ مارس (آذار) الماضي. وكان غرين ضمن وحدة متمركزة في المحمودية على بعد ثلاثين كيلومتراً من بغداد في مارس. ولكن وزارة الدفاع الأميركية أعلنت أنه استدعي في ما بعد وتمت إحالته إلى التقاعد بسبب «اضطرابات نفسية» يعاني منها. وأضاف البيان «إن هذه الجريمة البشعة بكل ما تحمله من انحطاط لا يمكن أن يحاسب عليها الجندي أو الجنود الذين اقتحموا المنزل فقط... بل ينبغي محاسبة مسؤوليهم أيضاً والذين يعلمون سلفاً أن لديهم مثل هذه الاستعدادات الإجرامية». ودعت النساء في البيان «الحكومة العراقية ومجلس

النواب العراقي إلى رفع الحصانة فوراً عن جنود قوات الاحتلال وضباطه، وأن يكون لقرار رفع الحصانة أثر رجعي على الحالات التي تثبت فيها انتهاكات غير مبررة. نقول: هل يستغاث ببغاث ❑

المغرب و«تطوير الخطاب الديني» الذي أمرت أميركا به

ذكرت الشرق الأوسط في ٦/٢٠ أن العاهل المغربي الملك محمد السادس، مرفوقاً بشقيقه الأمير مولاي رشيد أشرف أمس بمسجد أهل فاس بالمشور السعيد بالرباط، على إعطاء الانطلاقة لبرنامج الوعظ والإرشاد والتكوين بالمساجد عن طريق أجهزة التلفزيون، وذلك بحضور ٦٠٠ إمام يمثلون جميع جهات وأقاليم المغرب. ويهدف البرنامج إلى ترقية الخطاب الديني وتقريبه من المواطنين، وتعميم دروس الوعظ والإرشاد بالمساجد في الوسطين الحضري والقروي بما يضمن توعية المواطنين بأمور دينهم ودنياهم، وإلقاء دروس التوعية والإرشاد الديني بالمساجد لفائدة النساء، وتنظيم دورات للتكوين والتأهيل العلمي للقيمين الدينيين من خطباء وأئمة. وسيتولى تدبير البرنامج ألفان من المتعهدين (أئمة ومؤذنين)، وبإشراف من مندوبيات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. وبهذه المناسبة سلم العاهل المغربي نسخاً من كتاب «حب الوطن من الإيمان» و«دليل الإمام والخطيب والواعظ» لعدد من الأئمة. وأكد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد التوفيق أن مراد العاهل المغربي من هذا البرنامج هو تقريب خطاب كبار علماء البلاد من المواطنين داخل المساجد، باعتبارها المحل الشرعي للوعظ والإرشاد. وذكر أن العاهل المغربي سبق أن أمر بإحداث هذا البرنامج «حتى تتوفر للناس في المساجد، على نطاق واسع، دروس تعينهم على الفهم الصحيح للدين، وذلك من خلال تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، مع التركيز على قيم السلوك المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، إضافة إلى ما يحتاج إليه عامة الناس من معرفة بأحكام الدين في العبادات والمعاملات». وأضاف أن «الملك محمد السادس أمر بأن يقدم هذه الدروس خيرة العلماء القادرين على تبليغ تعاليم الإسلام السمحة إلى نفوس الناس رجالاً ونساءً، بلغة سهلة، وفي توافق مع مقومات المغرب وثوابته الدينية والوطنية». وأكد الوزير التوفيق أن هذا البرنامج سيضمن تكويناً مستمراً لأئمة المساجد حتى يقوموا بمهمتهم أحسن قيام، مشيراً إلى أن هذه الدروس ستبث في مرحلة أولى في ٢٠٠٠ مسجد من المساجد الكبرى، موزعة على مختلف حواضر وقرى المغرب. ويتضمن البرنامج اليومي للوعظ والإرشاد، الذي سينطلق يوم السبت في ٦/٢٤ على الخصوص أربع مواد، هي «تفسير القرآن الكريم» و«تفسير الحديث الشريف» و«مادة الأخلاق» و«تعليم مبادئ العبادات». وهكذا يضمن حكام الأمر الواقع، ومن ورائهم الغرب وعلى رأسه أميركا، أن يفهم المسلمون دينهم على طريقة الغرب وبواسطة العلماء الموظفين الرسميين ❑

ثورة الشيخ سعيد بيران

هدمت الخلافة الإسلامية على يد اليهودي كمال أتاتورك، وبقي أغلب المسلمين يتفرّجون، ولم يَدُرْ بخلدهم أن هدم الخلافة يعني هدم الإسلام وغيابه كلّية عن الحياة. لقد كانت مشكلة المسلمين في ذلك الزمن أنّهم لم يميّزا بين القضايا المصيرية التي يجب أن يتخذ في مواجهتها إجراء الحياة أو الموت وبين القضايا الفرعية، لذلك انشغل الخطابي في المغرب عن إعادة الخلافة واتّخذ منها موقفاً سلبياً، ولذلك أيضاً رفض سعيد النورسي مساعدة الشيخ سعيد بيران في ثورته مع أنّه صاحب نفوذ وقوة بتعلّة الاقتتال بين الإخوة.

ولكن الرجل الذي أدرك حقيقة القضية وبعدها المصيري هو الشيخ سعيد بيران رحمه الله، فقد اتّخذ إجراء الحياة أو الموت إزاءها، وخيّر الحكم الشرعي فنابذ الحاكم الذي أدخل الكفر على دار الإسلام، ولم ينشغل بالمؤتمرات والخطابات بل قاتل ودفع حياته وحياة رفاقه ثمناً للحكم الشرعي. فرحم الله الشيخ سعيد بيران ورفاقه.

تمهيد

في سنة ١٣٤٠هـ - ١٩٢١م انسحب اليونان بعد حرب ضروس من أزمير التركية ودخلها العثمانيون. لم يكن هذا الحدث حدثاً عادياً في تاريخ الدولة الإسلامية، إذ أظهر شخصية سيكون لها الدور الأكبر في هدم الخلافة الإسلامية، ألا وهي شخصية مصطفى كمال أتاتورك (١٨٨٠م – ١٩٣٨م). فقد ضخّمت الدعاية الغربية بعامة، والإنجليزية بخاصة، الانتصارات المزعومة لأتاتورك، فانخدع به ملايين المسلمين، وتعلّقت به أمالهم لإصلاح أمر الخلافة وإعادة مهابتها، حتى إن الشاعر أحمد شوقي وصفه في قصيدة من قصائده بأنّه "خالد الترك" فجعله شبيهاً "بخالد العرب"، وهو سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقال:

الله أكبرُ كم في الفتحِ من عجبِ
يا خالدَ التُّركِ جَدِّدْ خالدَ العربِ

عاد أتاتورك بعد هذا النصر إلى أنقرة حيث كرّمه "المجلس الوطني الكبير" وخلع عليه رتبة "غازي"، واشتهر عند الناس، وغمرته برقيات الإكبار والتشريف من شتى البلاد الإسلامية، من أفغانستان والهند ومصر وغير ذلك. ثمّ بعد هذا التكريم، انتخبه

"المجلس الوطني الكبير" رئيساً شرعياً للحكومة.

وفي سنة ١٩٢٢م أرسل أتاتورك عصمت إينونو باشا إلى إنجلترا لمفاوضة الإنجليز على الاستقلال. فقال السفير البريطاني (كرزون) لعصمت إينونو باشا عند عقد مؤتمر الصلح في نوفمبر ١٩٢٢م لما طالبه بمنح الاستقلال لتركيا: "إننا لا نستطيع أن ندعكم مستقلين؛ لأنكم ستكونون حينئذ نواة يتجمع حولها المسلمون مرة أخرى، فتعود المسألة الشرقية التي عانينا منها طويلا". فما كان من أتاتورك إلا أن تعهد للإنجليز بأن يزيل مخاوفهم، وأبلغهم بالموافقة على أي شروط يضعونها كضمانات تزيل تلك المخاوف، فاشترطوا عليه في اجتماع عقد في إبريل ١٩٢٣م أربعة شروط على لسان السفير البريطاني كرزون، عرفت بعد ذلك بشروط كرزون، وهي:

١ - أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام.

٢ - أن تقوم بإلغاء الخلافة.

٣ - أن تتعهد بالقضاء على كل حركة يمكن أن تقوم لإحياء الخلافة.

٤ - أن تحل القوانين الوضعية محل الشريعة الإسلامية، وتضع لنفسها دستوراً علمانياً مدنياً بدلاً من الدستور العثماني المستمد من قواعد الإسلام.

وبموافقة أتاتورك على تلك الشروط عقدت اتفاقية (لوزان) وتركت له إنجلترا كل الأراضي التي كانت قد سلبت من العثمانيين ليظهروه بمظهر البطل صاحب الإنجازات والاستقلال.

نفذ أتاتورك ما أملته عليه إنجلترا من شروط، فاختار لتركيا الجديدة دستور سويسرا المدني، ونجح في إلغاء السلطنة وفصلها عن الخلافة، وبذلك لم يعد للخليفة أي سلطة أو نفوذ، ثمّ استغل أزمة وزارية ونصّب نفسه ضمن أجواء إرهابية قمعية أول رئيس للجمهورية التركية في (١٨ربيع أول ١٣٤٢هـ/٢٩ أكتوبر ١٩٢٣م) وأصبح الحاكم في البلاد.

وفي (٢٨ رجب ١٣٤٢هـ/٣ مارس ١٩٢٤م) ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة رسمياً، وطرد الخليفة وأسرته من البلاد، وألغى وزارتي الأوقاف والمحاكم الشرعية، وحوّل المدارس الدينية إلى مدنية، وأعلن قيام الجمهورية التركية وإنشاء دولة علمانية، وشنّ حملة واسعة للقضاء على مظاهر الإسلام في البلاد باعتقال العلماء وإغلاق المساجد وغير ذلك.

الحكم الشرعي

خدع كمال أتاتورك العالم الإسلامي كلّه، وأعلن هدم الخلافة الإسلامية وإنشاء جمهورية تركية علمانية، أي ألغى الحكم بالإسلام وأعلن الحكم بالكفر، فما الذي يجب على المسلمين فعله في مثل هذه الحالة؟

الحكم الشرعي في هذه المسألة واضح

صريح:

عن أُمّ سَلَمَةَ أنّ رسول اللّه ﷺ قَالَ: «**سَتَكُونُ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**» قَالُوا: أَفَلاَ نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «**لاَ، مَا صَلَّوْا**». (مسلم) وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِك، عَنْ رَسُولِ اللّه قَالَ: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّه أَفَلاَ نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لاَ، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ..**». (مسلم) وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قال: دَعَانَا رَسُولُ اللّه فَبَايَعْنَاهُ. فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا، أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا. وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ. قال: «**إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنَ اللّه فِيهِ بُرْهَانٌ**». (رواه مسلم والبخاري)

إنّ النظر الدقيق في الأحاديث المذكورة يكشف لنا عن مناطها أي عن الواقع الذي تتنزل عليه الأحاديث لمعالجته. فمناط الأحاديث هو الحاكم بدار الإسلام، أي أن هذه النصوص منصبّة على معالجة مشكلة بدار الإسلام التي يحكم فيها بالإسلام وأمانها بأمان المسلمين.

فالرسول ﷺ يقول: «**سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**» قَالُوا: أَفَلاَ نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «**لاَ، مَا صَلَّوْا**» أي في المستقبل من أمركم سيأتي من الأمراء من يرتكب الحرام، فلا تقاتلوهم ما داموا على الحكم بالإسلام وإن فسقوا وأدخلوا من البدع ما يعرف منها وينكر، ولكن قاتلوهم إذا تركوا الحكم بالإسلام؛ لأن قوله «**مَا صَلَّوْا**» وفي رواية «**مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ**» كناية عن الحكم بالإسلام.

وفي حديث عبادة رضي الله عنه: «**وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ**» أي لا نخاصم أولي الأمر ونختلف معهم حول ولايتهم ووجوب طاعتهم، ولا ننابذهم أي نقاتلهم إلاّ إذا حكموا بكفر صراح لا شبهة فيه.

بناء عليه، فإنّ الحاكم في دار الإسلام إذا حكم بالكفر الواضح الصريح يجب الخروج عليه ومقاتلته حتى يزال منكره أو يتنحّى. وهذا واضح من قوله ﷺ حين سأله أصحابه: «**أَفَلاَ نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ..**». وروي عن ثوبان عن النبي ﷺ قوله: «**استقيموا لقريش ما استقاموا لكم، فإذا لم يفعلوا فضعوا سيوفكم على عواتقكم فأبيدوا خضراءهم، فإن لم تفعلوا فكونوا حينئذ زارعين أشقياء تأكلوا من كد أيديكم**[1]».

فالمسألة إذن واضحة صريحة، فقد كان على المسلمين وقتها أن يقاتلوا كمال أتاتورك ومن معه لأنّهم ألغوا الخلافة، وألغوا الحكم

بالإسلام، وأدخلوا حكم الكفر في دار الإسلام.

تخبّط العالم الإسلامي

إنّه لمن المؤسف حقّا أن نقول: إن ردّة فعل العالم الإسلامي لم تكن في مستوى ذاك الحدث العظيم والخطب الجسيم. فبين أيدينا اليوم حقائق تاريخية تكشف لنا عن واقع مرير هو تخاذل أغلب المسلمين في القيام بواجبهم المناط بهم، ألا وهو منابذة من ألغى الخلافة وحكم بالكفر الصراح.

وهذه بعض الأمور التي توضّح حالة العالم الإسلامي قبيل إلغاء الخلافة وبعدها بقليل، وهي تكشف عن مدى التخبّط الذي كان فيه العالم الإسلامي، ومدى عدم وعي المسلمين بحقيقة المشكلة[٢]:

● سبق إلغاء السلطنة وفصلها عن الخلافة دراسة أعدّها جمع من الفقهاء الأتراك تحت عنوان "الخلافة وسلطة الأمة" تضمّنت القول بأن الخلافة مسألة سياسية ولا علاقة لها بالدين، ونصحت الدراسة بتأجيل البحث فيها أو تحويلها إلى مجرد سلطة روحية. وهو ما اعتمد عليه كمال أتاتورك في تبرير موقفه من الخلافة.

● أيّد زعيم الحركة السنوسية (الشيخ أحمد الشريف السنوسي) كمال أتاتورك، وأقرّ الفصل بين السلطنة والخلافة بحجة أن الفصل في مصلحة الإسلام. وفي ١٩٢٣/٩/٢٨م نشر في جريدة الأهرام المصرية بياناً ذهب فيه إلى أن نزع السلطة المدنية من يد الخليفة سيعزز نفوذه الإسلامي؛ لأنه سيصبح زعيماً عاماً وروحياً للأمة كلها!

● كتب الشاعر أحمد شوقي، أشعر الشعراء في تلك الفترة، قصيدة في تبجيل أتاتورك سماها (تكليل أنقرة وعزل الآستانة)، مدح فيها أتاتورك وأقرّ عزل السلطنة عن الخلافة.

● اغتر شيخ الإسلام ومفتي الدولة العثمانية مصطفى صبري بدعوى الإصلاح التي نادى بها الكماليون، فأقرّ عزل الخليفة عبد الحميد في مجلس "المبعوثان"، ثمّ لما تبيّن حقيقة الأمر بعد فوات الأوان قال: «أيدت خلع السلطان عبد الحميد، وبعد ستة أشهر تبين لي أن ثقله السياسي كان يساوي ثقل أعضاء مجلس المبعوثان جميعاً ويزيد».

● عارض عبد الكريم الخطابي (١٨٨١ - ١٩٦٢م) قائد الجهاد ضد الإسبان والفرنسيين في المغرب الدعوة لإعادة الخلافة بعد إلغائها، وكانت تعليمات الخطابي لمندوبه في مؤتمر إعادة الخلافة ألا يؤيد أي مرشح لها.

● كتب عبد الحميد بن باديس (١٨٨٩م-١٩٤٠م) زعيم الحركة الإسلامية في الجزائر مقالاً بعنوان: «الفاجعة الكبرى أو جنايات الكماليين على الإسلام والمسلمين ومروقهم من الدين» نشرته جريدة النجاح عدد ١٥٢ بتاريخ ٢٨ مارس ١٩٢٤م، بيّن فيه حسرته على ما آلت إليه الأوضاع، وأن الأمل منصب

على مؤتمر الخلافة في مصر. إلا أنّ موقف الشيخ باديس من الخلافة وأتاتورك يتّضح أكثر فأكثر في مقال له نشر في غرة رمضان ١٣٥٧ هـ، نوفمبر ١٩٣٨م، تحت عنوان: "مصطفى كمال رحمه الله"، ومما جاء فيه: «في السابع عشر من رمضان المعظم ختمت أنفاس أعظم رجل عرفته البشرية في التاريخ الحديث، عبقري من أعظم عباقرة الشرق، الذين يطلعون على العالم في مختلف الأحقاب فيحولون مجرى التاريخ ويخلقونه خلقاً جديداً، ذلك هو مصطفى كمال بطل غاليبولي في الدردنيل، وبطل سقاريا في الأناضول، وباعث تركيا من شبه الموت إلى حيث هي اليوم من الغنى والعز والسمو... لقد ثار مصطفى كمال حقيقة ثورة جامحة، ولكنه لم يثر على الإسلام وإنما على هؤلاء الذين يسمون بالمسلمين، فألغى الخلافة الزائفة، وقطع يد أولئك العلماء عن الحكم، فرفض مجلة الأحكام واقتلع شجرة زقوم الطرقية من جذورها، وقال للأمم الإسلامية عليكم أنفسكم، وعلي نفسي، لا خير لي في الاتصال بكم مادمتم على ما أنتم عليه... نعم إن مصطفى أتاتورك نزع عن الأتراك الأحكام الشرعية وليس مسؤولاً في ذلك وحده، وفي إمكانهم أن يسترجعوها متى شاءوا وكيفما شاءوا، ولكنه أرجع لهم حريتهم واستقلالهم وسيادتهم وعظمتهم بين أمم الأرض، وذلك ما لا يسهل استرجاعه لو ضاع، وهو وحده كان مبعثه ومصدره، ثم إخوانه المخلصون، فأما الذين رفضوا الأحكام الشرعية إلى (كود) نابليون فماذا أعطوا أمتهم ؟ و ماذا قال علماؤهم؟...»[٣].

● وفي سنة ١٩٢٦م أصدر علي عبد الرازق في مصر كتاب "الإسلام وأصول الحكم" يبرّر فيه العلمانية ويقول بفصل الدين عن الدولة، وإن الإسلام لا يشمل نظم الحكم.

● وفي مصر ظهرت دعوة من خلال الأزهر لعقد مؤتمر إسلامي عام لمناقشة مسألة الخلافة الإسلامية، وكان وراء هذه الدعوة الملك فؤاد الذي أبدى رغبته في أن يصبح خليفة. وعقد المؤتمر في التاسع عشر من شعبان سنة ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٤/٣/٢٥م أي بعد أيام من إعلان هدم الخلافة المشؤوم. وكانت أهم مقرّراته هي: أولاً: "بيَّن أن ذلك الفعل من المجلس الوطني التركي (بدعة) ما كان المسلمون يعرفونها من قبل، لكن التقرير نبه على أن خلافة عبد المجيد على هذا الشكل ليست شرعية، وأن البيعة له بشرط أن يكون معزولاً عن السياسة لم تكن صحيحة أصلاً، وحتى لو كانت صحيحة فإن عبد المجيد لم يكن يملك النفوذ والقوة المشترطة فيمن يتولى الخلافة، لهذا فإنه ليست له بيعة في أعناق المسلمين لزوال المقصود من تنصيبه شرعاً، واعتبر التقرير أنه (ليس من الحكمة ولا مما يلائم شرف الإسلام والمسلمين أن ينادوا ببقاء بيعة في

أعناقهم لشخص لا يملك الإقامة في بلده، ولا يملكون هم تمكينه منها)". ثانياً: خلص المؤتمر الذي شارك فيه علماء الأمة إلى "أنّ العالم الإسلامي أصبح في أزمة بسبب الضجة التي أحدثها الكماليون في تركيا بإلغائهم منصب الخلافة، وجعلوا هذا الاضطراب سبباً في أن (لا يتمكن المسلمون معه من البت في تكوين رأي ناضج في مسألة الخلافة، ولا في من يصح أن يكون خليفة لهم). ومن أجل هذا دعا مؤتمر الأزهر إلى عقد مؤتمر أوسع: (لهذه الأسباب نرى أنه لا بد من عقد مؤتمر ديني إسلامي يُدعى إليه ممثلو جميع الأمم الإسلامية للبت فيما يجب أن تسند إليه الخلافة الإسلامية، وتكون بمدينة القاهرة، تحت رئاسة شيخ الإسلام بالديار المصرية، على أن يعقد في شهر شعبان من ١٣٤٣هـ - مارس ١٩٢٥م) أي بعد مرور عام كامل من المؤتمر الأول!".

"ولم ينسَ المؤتمرون قبل أن يطووا أوراقهم أن يوجهوا الشكر للأمم غير الإسلامية (الكافرة) التي "راعت" ظروف المسلمين في هذا الظرف العصيب، فلم تتدخل في شؤونهم: (نعلن شكرنا للأمم التي تدين بأديان أخرى غير الدين الإسلامي، ولدول تلك الأمم على ما أظهروه إلى الآن من ابتعادهم عن التدخل في شؤون الخلافة الإسلامية، ونرجو منهم أن يلاحظوا أن مسألة الخلافة مسألة إسلامية محضة لا يجوز أن تتعدى دائرتها، ولا يهتم بها أحد من غير أهلها)".

وعندما حان وقت انعقاد المؤتمر الثاني (١٩٢٥م) المتمخَّض عن المؤتمر الأوّل (١٩٢٤م) طفت الخلافات على السطح وادّعى كلّ من الحضور لنفسه الخلافة، فطالب بها الملك فؤاد، وطالب بها الشريف حسين، وطالب بها الملك عبد العزيز بن سعود، بل دبّ الخلاف حول شكل الخلافة ومضمونها وهل تحتاج إلى تعديل أم لا. وتمخّض الجبل فولد فأراً، وتمّ تأجيل المؤتمر إلى السنة القادمة (١٩٢٦م) الذي فشل بدوره في معالجة المشكلة.

● رفض بديع الزمان سعيد النورسي (١٨٧٦م-١٩٦٠م) تقديم المساعدة للشيخ سعيد بيران في حربه لإعادة الخلافة سنة ١٩٢٥م. وعندما جاءه حسين باشا مندوب الشيخ سعيد بيران يدعوه إلى المشاركة في الثورة ضد سياسة مصطفى كمال أتاتورك العلمانية ولإعادة الخلافة وتطبيق الشريعة قال له النورسي في حواره: ومن ستحارب؟

قال حسين باشا: سنحارب مصطفى كمال.

قال سعيد النورسي: ومن هم جنود مصطفى كمال؟

قال حسين باشا: إنهم جنود!

قال سعيد النورسي: إن جنوده أبناء هذا الوطن، هم أقرباؤك وأقربائي، فمن نقتل؟ ومن سيقتلون؟ فكر .. وافهم. إنك تريد أن يقتل الأخ أخاه[٤].

ثم أرسل النورسي رسالة إلي الشيخ بيران جاء فيها: «إن ما تقومون به من ثورة تدفع الأخ لقتل أخيه ولا تحقق أية نتيجة، فالأمة التركية قد رفعت راية الإسلام، وضحت في سبيل دينها مئات الألوف بل الملايين من الشهداء، فضلاً عن تربيتها ملايين الأولياء، لذا لا يُستل السيف على أحفاد الأمة البطلة المضحية للإسلام، الأمة التركية، وأنا أيضًا لا أستلُه عليهم».

هذه بعض الأمور التي تثبت مدى تخبّط الأمة في تلك الفترة، وفشلها في معالجة الأزمة بل المصيبة العظمى والطامة الكبرى التي حلّت بها.

مواقف مشرفة

رغم حالة التّخبط التي شهدتها الأمة الإسلامية قبيل هدم الخلافة وبعدها، فقد كان فيها من الرجال من انبرى للدفاع عن الخلافة والانتصار لها بالقلم والسيف.

فمن الرجال الذين ساندوا الخلافة الشيخ محمد الخضر حسين (١٨٧٦م-١٩٥٨م) حيث وقف قلمه ولسانه إلى جانب الدولة العثمانية، وظلّ وفيا لها إلى أخر لحظة. ولما أصدر علي عبد الرازق (١٩٢٦م) كتاب "الإسلام وأصول الحكم" نهض الشيخ لتفنيد دعاوى هذا الكتاب فأصدر كتابه: "نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم".

ومن الرجال أيضا الشيخ مصطفى صبري (١٨٦٩ ـ ١٩٥٤م) آخر شيوخ الإسلام المفتين في الدولة العثمانية الذي أصدر كتاباً بعنوان: (الرد على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة) فكان صوت صدق وحقّ في وجه أعداء الخلافة، كشف أتاتورك بعد أن خدعه وبيّن خبثه، كما كشف المؤامرات التي كانت تحاك ضدّ الدولة.

إلا أنّ الرجل الذي يستحقّ كلّ التبجيل والتكريم، هو الرجل الذي حمل سيفه في وجه أتاتورك ومن لفّ لفّه، وقاتل من أجل إعادة الخلافة، ألا وهو الشيخ سعيد بيران رحمه الله تعالى.

الشيخ سعيد بيران

ولد الشيخ سعيد بن الشيخ محمود بن الشيخ علي في قضاء (بالو) بولاية "آلازغ" الكردية سنة١٨٦٥م، و كان جده الشيخ علي قد استقر في (بالو) ونسب إليها. تلقى الشيخ سعيد تعليمه الأولي على يد والده وبعض مريديه، حيث تعلم أصول القراءة والكتابة، ثم درس الفقه والشريعة الإسلامية والتاريخ، وبعد أن أنهى دراسته منح شهادات الإجازة والتدريس لطلاب العلم. وبعد وفاة والده انتقلت إليه الزعامة، وأصبح مرشداً للطريقة النقشبندية في (بالو)، وقد بلغ عدد مريديه وأتباعه أكثر من عشرة آلاف، كان من بينهم العديد من الترك، أما البقية فكانوا من الكرد.

لم يكن الشيخ شيخاً تقليدياً كما عهد عن المشايخ في ذلك الزمن، بل كان عالماً

مجدداً بليغاً غير مؤمن بالخرافات التي كان الناس يرددونها عن المشايخ وقدراتهم وكراماتهم، فلم يقبل تقبيل يديه أو الانحناء له وتواضع للناس. وقد كان مجلسه العلمي يعج بالمثقفين والعلماء والرجال الشجعان، وبذل جهوداً جبارة في سبيل نشر العلم والمعرفة بين الناس. وقد مارس الشيخ سعيد النشاط السياسي منذ تأسيس الجمعيات والمنظمات الكردية بين أعوام ١٩٠٨-١٩٢٣م، وكانت له صلات وثيقة مع العائلات الكبيرة كعائلة بدرخان بك وعائلة الشيخ عبيد الله النهري، بالإضافة إلى الزعماء السياسيين المعاصرين له.

وقد اشتهر الشيخ باسم سعيد بيران نسبة إلى (بيران)، وهي قرية صغيرة تقع قريباً من (بالو) وفيها حدثت أوّل مواجهة بينه وبين جنود أتاتورك.

أحداث ثورة الشيخ سعيد

فيما يلي نذكر أهمّ الأحداث التي شهدتها ثورة الشيخ سعيد بيران[٥]:

نوفمبر ١٩٢٤م: سافر علي رضا، نجل الشيخ سعيد بيران، إلى حلب، عبر ديار بكر، للتنسيق، بصورة نهائية، مع القادة الأكراد الآخرين عن تنظيم انتفاضة، وانعقد هناك مؤتمر، شارك فيه عدد كبير من الشخصيات الكردية، في تركيا والعراق وسورية.

ديسمبر ١٩٢٤: ألقت الحكومة التركية القبض على خالد جبرانلي، كما تم اعتقال حاجي موسى ويوسف ضيا، من جمعية آزادي (الاستقلال)، فرد الأكراد على ذلك، باختيار الشيخ سعيد بيران رئيساً لجمعية (استقلال كردستان)، كما تم تحديد موعد بدء انتفاضة للأكراد، تحت قيادة الشيخ سعيد، يوم العيد القومي للأكراد "النيروز" الموافق ٢١ مارس ١٩٢٥.

٨ فبراير ١٩٢٥: بدأ الشيخ سعيد بالتحرك الميداني، فقام بزيارة للولايات الشرقية، وأثناء جولته التفقدية في بيران وزيارته لأخيه عبد الرحيم، وصلت قوة عسكرية تركية بقيادة الملازم أول حسني أفندي؛ للقبض على عدد من الأكراد، إلا أن أكراد بيران رفضوا تسليمهم، فوقع صدام مسلح، كان نتيجته قتل عدد من الجنود الأتراك، وأسر بعض الضباط، ومنهم حسني أفندي.

١١ فبراير ١٩٢٥: قام طاهر بيران، الشقيق الثاني للشيخ سعيد، بالاستيلاء على البريد، من ليجه إلى قرية سيردي، ووصل على رأس وحدة تضم ٢٠٠ مقاتل إلى كينجو، وسلم الشيخ سعيد الوثائق والأموال، التي استولى عليها. وأصبحت هذه الأحداث هي البداية الحقيقية لحركة الشيخ سعيد بيران وبهذا بدأت الانتفاضة، قبل الموعد، الذي كان محدداً لها بحوالي ٤١ يوماً.

١٤ فبراير ١٩٢٥: سيطر الثوار، على

محافظة كينجو سيطرة تامة، ووقع المحافظ والموظفون الأتراك في الأسر، كما تولى فقه حسن، رئيس عشيرة مودان، محافظاً جديداً في كينجو، وتم إصدار قانون استثنائي، يحمل توقيع الشيخ سعيد، يقضي بأن تكون كينجو عاصمة مؤقتة لكردستان، وانتقلت السلطة الدينية والمدنية إلى الشيخ سعيد، وأرسلت جميع الضرائب والأسرى إلى كينجو، كما أصدر الثوار نداء أعلنوا فيه إلغاء ضريبة العُشر الصعبة، ودعوا السكان، بدلاً من ذلك، إلى تقديم المؤن للثوار، مما لاقى استحساناً واسع النطاق، بين صفوف الجماهير الواسعة.

٢٢ فبراير ١٩٢٥: عقد مجلس الوزراء التركي جلسة طارئة، في وقت متأخر من ليلة ٢٢ فبراير وحتى صباح اليوم التالي، وشارك في الاجتماع رئيس الأركان فوزي باشا، وأفضى الاجتماع إلى إعلان حالة الطوارئ، في منطقة الانتفاضة، ووضعها تحت الأحكام العرفية، لمدة شهر كامل، حتى يستطيع الجيش التركي مقاومة انتصارات الانتفاضة.

٢٥ فبراير ١٩٢٥: قام مجلس العموم في البرلمان التركي، بتعديل المادة (١) من قانون العقوبات عن خيانة الوطن، والذي سن في ١٥ أبريل ١٩٢٣، (القانون ٥٥٦) إلى النص التالي: "منع تكوين المنظمات السياسية على أُسس دينية، وكذلك استخدام الدين في سبيل تحقيق الأهداف السياسية، واعتبار الأشخاص القائمين بمثل هذه الأعمال أو المنتسبين إلى مثل هذه التنظيمات خونة".

٢٨ فبراير ١٩٢٥: تقدمت الانتفاضة بشكل سريع على الأرض، والتف حولها آلاف من كل جانب، فاستولت على ليجة وخاني، وانضم إليها قوات صالح بك، وفصائل حاجي حسن وعمر فارو، وعشائر مستيان وبوتاني في جنوبي (جابكجور)، وكذلك انضم للانتفاضة فصيلة كبيرة تابعة للشيخ شمس الدين في ضواحي ديار بكر، وبلغ عدد الفصائل الكردية زهاء ٢٠ ألف مقاتل، مما أربك الحكومة التركية، وأثار الذعر بين قياداتها.

٢ مارس ١٩٢٥: استقالت حكومة فتحي بك في أنقرة، وفي اليوم التالي مباشرة ترأس عصمت باشا الحكومة الجديدة، وشدد في برنامجه، الذي ألقاه بمجلس الأمة التركي الكبير، على ضرورة القضاء على مثيري الاحتجاجات، واستتباب الأمن في البلاد، وبمقتضى هذا البرنامج، أعدت الحكومة تدابير عسكرية، لقمع انتفاضة الشيخ سعيد.

٤ مارس ١٩٢٥: سن مجلس الأمة القانون الرقم (٥٧٨)، الخاص بالحفاظ على النظام، والذي يمنح السلطات صلاحيات واسعة لمحاربة الحركات الشعبية، وأي نشاط معارض، ويسمح باستخدام جميع التدابير المقرونة بحالة الطوارئ، كما اتخذ مجلس الأمة قراراً بتشكيل محكمتين للاستقلال:

واحدة منهما لعموم تركيا، مقرها الدائم أنقرة، وتتمتع بصلاحيات محدودة (كان لا بدّ من مصادقة مجلس الأمة التركي في حالة إصدار أحكام الإعدام)، والثانية في الولايات الشرقية، وتتمتع بصلاحيات مطلقة.

١١ مارس ١٩٢٥: أمر الشيخ سعيد بشن هجوم على ديار بكر من جميع الجهات، لكن القوات التركية المتفوقة عدداً وعتاداً، سيطرت على الموقف، فأصدر الشيخ سعيد أوامره بالانسحاب والتراجع نحو (درخاني).

أواخر مارس - أول أبريل ١٩٢٥: استطاعت القوات الحكومية شن هجوم على منطقة الانتفاضة، من الشمال والجنوب والجنوب الشرقي، في آن واحد، وقاد القوات التركية الجنرال كمال الدين سامي باشا، ولم يجد الثوار مفراً سوى التراجع، في أول أبريل، باتجاه بالو. وفي نفس الوقت كانت القوات التركية قد أصدرت بياناً، وعدت فيه بمنح مكافأة، قدرها ألف ليرة ذهبية، لمن يلقي القبض على الشيخ سعيد، و٧٠٠ ليرة ذهبية، لمن يأتي بجثته حتى بعد وفاته. وكان ذلك بداية تحول في المعارك لمصلحة القوات التركية وبداية انهيار الانتفاضة.

٦ أبريل ١٩٢٥: اضطر الشيخ سعيد، يرافقه ٣٠٠ فارس، إلى التراجع نحو سالهان.

أواسط أبريل ١٩٢٥: تمت محاصرة القوات الرئيسية للانتفاضة، وتحطيمها في وادي كينجو، وتم إلقاء القبض على قادتها، وعلى رأسهم الشيخ سعيد، والشيخ علي، والشيخ غالب، ورشيد آغا، ومحمد آغا، وتيمور آغا، وبذلك تم القضاء عملياً على انتفاضة الشيخ سعيد.

الشيخ بيران هو وزملاؤه بعد تعرضهم للأسر

١٣ أبريل ١٩٢٥: تم اعتقال سيد عبد القادر، ونجله سيد محمد، وكور عبد الله سعدي، وزعماء عشائر هوشينان.

١٤ مايو ١٩٢٥: بدأت محاكمة عدد كبير من الثوار، الذين شاركوا في انتفاضة الشيخ سعيد، وقد حكم على عدد منهم بالإعدام في ٢٧ مايو، وأودع الآخرون بالسجون.

٢٩ مايو ١٩٢٥: بدأت محاكمة الشيخ سعيد، التي استمرت شهراً كاملاً، وكان معه في قفص الاتهام، الشيخ عبد الله، والشيخ إسماعيل، والشيخ عبد اللطيف، والرائد قاسم إسماعيل، وحاجي خالد عبد الحميد، والشركسي رشيد، وعدد آخر من قادة الانتفاضة.

٢٩ يونيه ١٩٢٥: صدر الحكم بالإعدام شنقاً على الشيخ سعيد ورفاقه.

٣٠ يونيه ١٩٢٥: نفّذ حكم الإعدام على

الشيخ سعيد ورفاقه في ساحة المسجد الكبير بمدينة ديار بكر. وأمام حبل المشنقة قال الشيخ: "إن الحياة الطبيعية تقترب من نهايتها ولم آسف قط عندما أضحي بنفسي في سبيل الله، إننا مسرورون لأن أحفادنا سوف لن يخجلوا منا أمام الأعداء".

أسباب الثورة الحقيقية

تكاد تجمع مصادر التاريخ على واقعة هي: «عندما تم اعتقال بعض قادة جمعية آزادي الوطنية الكردية في خريف عام ١٩٢٤م، تم اختيار الشيخ سعيد رئيساً للجمعية التي عقدت مؤتمراً في تشرين الثاني ١٩٢٤م في حلب حضره علي رضا ابن الشيخ سعيد ممثلاً عن والده إلى جانب معظم القادة الكرد في تركيا وسوريا، وقرر المشاركون القيام بانتفاضة شاملة لنيل الحقوق القومية الكردية ومقاومة سياسة أتاتورك العنصرية، على أن تندلع في يوم ٢١ آذار١٩٢٥م (العيد القومي الكردي- نوروز)».

هذه الواقعة أوجدت بعض اللبس حول أسباب ثورة الشيخ سعيد بيران، إذ ظن بعض الناس أن الشيخ قاد الثورة من أجل حقوق الأكراد القومية، وهو ما ادّعته الحكومة الكمالية وأعلنته أثناء محاربتها للشيخ، وهو ما تدّعيه بعض الحركات الكردية القومية إلى يومنا هذا إذ نسبوها إلى حركة (آزادي) و(جمعية تعالي وترقي كردستان) وهو أيضاً ما ركّز عليه بعض المستشرقين في كتاباتهم التاريخية عن الثورة[٦].

فالشائع عنها إذن بأنها ثورة قومية للحركة الكردية، إلا أن الوثائق التي ظهرت في السنين الأخيرة أثبتت إسلاميتها وقيامها لأجل إعادة الخلافة وتطبيق الشريعة، علماً أن الحكومة التركية منذ قيام الثورة إلى سنة (١٩٧٧م) كانت تعتبر وثائق حركة الشيخ سعيد بيران وثائق سرية، ولكن ظهرت في الثمانينات والتسعينات دراسات ووثائق جديدة تبيّن حقيقة الثورة وأهدافها[٧].

وقد كشفت الوثائق أن لا علاقة تنظيمية بين الشيخ سعيد بيران وحركة آزادي الكردية، ذلك أن قائد حركة آزادي (خالد بيك جبرانلي) كان أحد قادة الألوية الحميدية، وكان من دعاة الجامعة الإسلامية ومن أقرب المقربين إلى السلطان عبد الحميد، وكان عديلاً للشيخ سعيد بيران، وعندما طلب من الشيخ سعيد المثول أمام المحكمة أثناء محاكمة خالد جبرانلي ورفاقه ظهر أن النظام الكمالي يريد اتهامه ومحاكمته وأن مسألة اعتقاله أصبحت وشيكة، لذلك قرر المواجهة وإعلان الثورة بعد أن عبأ لها شيوخ القبائل الكردية وأرسل برسائله ورسله إلى الشخصيات المسلمة الكردية المعروفة وطاف بينهم لفضّ النزاعات وتوحيد الصفوف.

وقد اضطر الشيخ للمواجهة المبكرة قبل الإعداد المطلوب، وانتخب رئيساً (لآزادي) بعد اعتقال قادتها لما توسم فيه الناس من حكمة

ودراية وأمانة.

وهكذا خاض الثوار بقيادة الشيخ سعيد بيران الثورة ضد الحكم الكمالي، وكان خطاب الثورة خطاباً إسلامياً صرفاً، وأعلن الشيخ «حركته باسم الله واتخذ له راية خضراء هي راية النبي ﷺ كما حمل شعاراً: لتحيا الخلافة ولتسقط الجمهورية، وكان يتلقّب بخادم المجاهدين[٨]».

وقد نشرت وثيقة لجلسة سرية لمجلس أركان الحرب التركي تبيّن فيها من خلال الوثائق وشهادات الشهود بأن ثورة الشيخ سعيد كانت ثورة إسلامية بحتة تهدف إلى إعادة الخلافة و تطبيق الشريعة وعُمّم ذلك القرار المرقم (١٨٤٥) على جميع الإدارات الحكومية المعنية.

ولكن حاولت الحكومة الكمالية تشويه الحركة ووصمها بأنها قومية، فعمدت إلى محاكمة قادة الحركة القومية مع الشيخ سعيد ورفاقه، وذلك لإثارة النعرة الطورانية عند القوميين الأتراك، ولعزل الثورة عن المسلمين في تركيا وبقية العالم. إضافة إلى هذا فقد اتهمت الحكومة الكمالية الثورة بالعلاقة بالجهات الأجنبية مع أن الثابت أن الإنجليز والفرنسيين ساعدوا الحكومة الكمالية على قمع الثورة؛ فقد استعملت الحكومة الكمالية المدفعيات الإنجليزية في قصف مواقع الثوار، كما طلبت السلطات التركية في بداية شهر آذار١٩٢٥م من الحكومة الفرنسية السماح لها بمرور أربعة قطارات يومياً على الخط الحديدي بغداد من أجل نقل من٢٠,٠٠٠ حتى ٢٥,٠٠٠ رجل مع عتادهم إلى ساحة العمليات وفي نهاية أيار ١٩٢٥م طلبت الحكومة التركية مرة أخرى من الحكومة الفرنسية السماح لها بمرور تعزيزات عبر سورية على الخط الحديدي بغداد، ورحبت بذلك فرنسا.

وممّا يؤكد أن الثورة كانت إسلامية من أجل الخلافة أن مجلس العموم في البرلمان التركي، قام في ٢٥ فبراير ١٩٢٥ بتعديل المادة الأولى (١) من قانون العقوبات عن خيانة الوطن الذي سن في ١٥ أبريل ١٩٢٣، (القانون ٥٥٦) إلى النص التالي: "منع تكوين المنظمات السياسية على أُسس دينية، وكذلك استخدام الدين في سبيل تحقيق الأهداف السياسية، واعتبار الأشخاص القائمين بمثل هذه الأعمال أو المنتسبين إلى مثل هذه التنظيمات خونة". فهذا يدلّ على أنّ الحكومة الكمالية نفسها تعترف بإسلامية الثورة لذلك عدّلت القانون بما يتناسب والظرف.

ومما يقطع أيضا بأن الثورة كانت ثورة من أجل إعادة الخلافة وتطبيق الشريعة ما جاء في وثائق محاكمة الشيخ سعيد. فقد اتّهمه القاضي بأنّ دوافع تحركه قومية، فقال: "يشهد اللّه أن الثورة لم تكن من صنع السياسيين الكرد - يعني القوميين- ولا من تدخل الأجانب".

وعندما سئل: هل تريد أن تصبح خليفة؟

أجاب: إن وجود الخليفة ضمانة أساسية لتطبيق قواعد الدين وإن المسألة مطلوبة شرعاً.

وسئل: هل كان إعلانكم للعصيان يعني أنكم وصلتم إلى قناعة تامة بأن الشريعة غير مطبقة في البلد؟

أجاب: إن الكتاب يؤكد على الخروج على الحاكم في الظروف التي أشرنا إليها أعلاه، وتطبيق الشريعة يعني منع القتل والزنا والمسكرات ... الخ وبحمد اللّه كلنا مسلمون ولا يجب التمييز بين الكرد والترك وحسب اعتقادنا أن هذه الأمور حالياً متروكة، إننا انطلقنا من هذه القناعة وعلى أساس القرآن الكريم ❑

---

(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورواه الروياني في مسنده، وأبو بكر بن الخلال في السنة. وقال ابن حجر في فتح الباري (ج١٥ ص١٠): "ورجاله ثقات، إلا أن فيه انقطاعا لأن رواية سالم بن أبي الجعد لم يسمع من ثوبان. وله شاهد في الطبراني من حديث النعمان بن بشير بمعناه".

(٢) ينظر مقال عبد العزيز كامل (نظرات في منازلة النوازل (٢) العلمانية.. «إمبراطورية النفاق» من مهد الطريق؟!)، مجلة البيان، السنة الثامنة عشرة، العدد ١٩٥ذو القعدة ١٤٢٤هـ/يناير ٢٠٠٤م.

(٣) ينظر مقال: (عبد الحميد بن باديس وأزمة التخلف الحضاري في الجزائر)، للدكتور محمد الأمين بلغيث، على موقع الإمام عبد الحميد بن باديس.

(٤) ينظر كتاب (الإمام النورسي والتعامل الدعوي مع القوميات)، الدكتور ليث سعود جاسم، ص٧٠

(٥) ينظر (الأكراد والمشكلة الكردية) ضمن (موسوعة مقاتل من الصحراء)، الإصدار السابع، ٢٠٠٦م.

(٦) ينظر مثلا:

The Emergence of Kurdish Nationalism and the Sheikh Said Rebellion, 1880-1925

***By Robert Olson, University of Texas Press,* Austin**

(٧) ينظر دكتور عثمان علي، (حركة الشيخ سعيد)، مجلة آلاي إسلام، العدد ٣، السنة ١١: ١٠ – ١٣ و (إشكالية في انتفاضة الشيخ سعيد بيران)، مجلة آلاي إسلام، العدد ٤، السنة ١١: ٢٣ – ٢٧ وآزاد كرمياني، (محاكمة الشيخ سعيد بيران أمام محكمة الاستقلال)، مجلة آلاي إسلام، العدد ٣، السنة ١١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

(٨) ينظر (الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا)، لمصطفى محمد، ألمانيا الغربية (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م)

منشورات الشريف حسين

الذي ألقته الطائرات الإنكليزية على الفلسطينيين ١٩١٧م

أصدر شريف مكة وملك الحجاز الحالي منشوراً إلى الضباط والجنود العرب في الجيش العثماني، وطلب منا أن نبلغكم إياه، فاقرأوه بتمعن واغتنموا الفرصة لتهربوا وتأتوا إلينا، وسنستقبلكم كأصدقاء مرحبين بكم، وستلاقون منا معاملة حسنة، وستجدون معنا مندوبين من قبل شريف مكة وملك الحجاز الحالي، فسيستقبلونكم وتساعدونهم أنتم في تحرير العرب الجيش الإنكليزي في فلسطين

وهذا هو المنشور:

إلى جميع العرب وسواهم من الضباط والرجال الموجودين في الجيش العثماني.

سمعنا بمزيد الأسف أنكم تحاربوننا نحن الذين نجاهد في سبيل المحافظة على حكام الدين الإسلامي الشريف من التغير والتحرير، وتحرير العرب قاطبة من حكم الأتراك، ونعتقد أن الحقيقة الخالصة لم تصل إليكم؛ لذلك أرسلنا لكم الشعار ممهوراً بمهرنا لنؤكد لكم أننا نحارب لأجل غايتين شريفتين وهما: حفظ الدين، وحرية العرب عامة.

لقد أرسلنا الأوامر مباشرة إلى عموم رؤساء ورجال قبائلنا بأنه إذا أسرت جيوشنا أي واحد منكم يجب أن يعاملوكم بالحسنى ويرسلوكم إلى أولادي حيث يرحبون بكم ويحسنون وفادتكم.

لقد كانت المملكة العربية مستعبدة تحت سلطة الأتراك مدة طويلة، فقتلوا من قتلوا من إخوانكم، وصلبوا من صلبوا من رجالكم، ونفوا نساءكم وعيالكم بعد تحريف دينكم، فكيف تطيقون الصبر بعد ذلك، وتتحملون عناء الاستمرار معهم وترضون بمعاونتهم؟

هلموا للانضمام إلينا، نحن الذين نجاهد لأجل الدين وحرية العرب حتى تصبح المملكة العربية كما كانت في عهد أسلافكم إن شاء الله تعالى، والله الهادي إلى سواء السبيل ❑

مواقف مشرفة

الخير في الأمة الإسلامية باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمهما ضعفت الأمة، ومهما تأخرت عن مكانها اللائق بها باعتبارها خير أمة أخرجت للناس، ومهما عظمت المؤامرة عليها وتنوعت أدواتها، إلا أنها تبقى أمة خصبة، تنبت الرجال والعلماء العظماء، يكونون فيها كالمصابيح في الدجى، وتظل مواقفهم مواقف عزة وفخر لهم وللأمة الإسلامية كلها. وما جرى مع أحد أمراء عسير وبعض علمائها، في أشد مراحل ضعف الدولة، قبل سقوطها، دليل صدق على ما نقول.

١ـ أمير عسير (حسن بن علي آل عائض) وبعض علمائها

أثناء سعي بريطانيا وغيرها من دول الكفر لهدم الخلافة، وتمزيق أواصر الأمة، أرسلت هذه الدول المئات بل الآلاف من الجواسيس متسترين بشتى أنواع الحيل وأساليب الخداع، ومن هذه الأساليب الاتصال بالوجهاء من علماء أو مفكرين أو شيوخ قبائل، وإغرائهم بكل سبل الإغراء الدنيوية الممكنة لتحريضهم على الخلافة الإسلامية وتشجيعهم على شق عصا الطاعة، والخروج على الدولة.

فقد أرسلت بريطانيا مطلع عام ١٣٣٠هـ وفداً مؤلفاً من ثلاثة من ضباط المخابرات البريطانية، برئاسة ضابط يدعى (هارولد يعقوب) إلى إمارة عسير، وهذه الإمارة بقيت على ولائها للخلافة الإسلامية، وكان أمراؤها وعلماؤها على قدر كبير من الوعي على أطماع الدول النصرانية. التقى الوفد البريطاني بأمير عسير (حسن بن علي آل عائض) وأطلعوه على مهمتهم، وكانت تتلخص في الطلب منه الوقوف إلى جانب بريطانيا لإجلاء العثمانيين عن عسير، ووعدوه بمساعدته مادياً وعسكرياً، وتكفلوا له إبقاء أسرته آل عائض، حكاماً على عسير جيلاً بعد جيل، وأن تكون لهم سفارة تمثلهم في كل ما يجري لمصلحة الطرفين، وأبدوا استعدادهم لإنذار الباب العالي بإخلاء عسير، وتسليمها لأسرته آل عائض. ومنع ابن سعود وإمام اليمن يحيى حميد الدين، وشريف مكة حسين بن علي، والإدريسيين، وتكون موانئ عسير مراكز تجارية مهمة، كما تتعهد له بريطانيا بتقديم مساعدة سنوية له ولأسرته، كما تفعل مع أصدقائها السابق ذكرهم.

عندما أدرك أمير عسير مهمة الوفد البريطاني، استدعى أربعة من علماء عسير الأجلاء هم

الجهري، والزميلي، وابن جعيلان، والحفظي، وطلب منهم وضع كتاب موجه لحكومة بريطانيا رداً على عرضها المذكور، يقول مؤرخ هذه الفترة من تاريخ عسير، كنت أجلس مع الوفد البريطاني، ولا يعرف أعضاؤه أني أجيد لغتهم، فكانوا يتساءلون فيما بينهم، هل في هذا العرب الأذلاء رجولة أسلافهم؟؟ ومن لا يزال يعتز بماضي أجدادهم؟؟ ترى ماذا سيحمِّلنا هذا البدوي إلى أمتنا العظيمة؟؟

اتفق العلماء الأربعة على نص الكتاب الموجه إلى حكومة بريطانيا ثم عرضوه على أمير عسير حسن بن علي آل عائض، فأقره ووقعه وهذا نصه:

«... **من حسن بن علي آل عائض وعلماء عسير، إلى عظماء وقادة بريطانيا، السلام على من اتبع الهدى... وبعد،**

إن وفدكم قد عرض علينا الدنيا، وإنا نعرض عليكم الدنيا والآخرة، فإنا ندعوكم بدعوة الإسلام، أسلموا تسلموا من عذاب الله، وارفعوا الظلم عن عباد الله يرفعه الله عنكم، ولا يتخذ بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله يؤتكم الله أجركم مرتين، ويمددكم بأموال أكثر مما تأملون من استعماركم، فإنكم إن رجعتم إلى عقولكم، علمتم أن ما أنزله الله تعالى على رسوله موسى وعيسى هو ما جاء به محمد ﷺ وهو الحق من ربكم، وقد ختم الله به الرسالات، وإن عدتم إلى رشدكم عرفتم أن هذا ما شهدت به كتبكم.

وإن أبيتم إلا الهوى والضلالة، فعليكم ما على أهله، ولا رابط بيننا وبينكم، ولتذهب وفودكم إلى أمثالكم».

ولما سُلِّم الكتاب إلى هارولد يعقوب قرأه على زميليه أعضاء الوفد وملامح الذهول تعلو وجهه، فلما انتهى منه علق أحدهم قائلاً: لو كان قادة العرب اليوم مثل هذا لما ظفرت بريطانيا بل ودول أوروبا كلها بقطعة أرض من بلادهم.

٢ـ فتوى شيخ الهند مولانا محمود حسن

شيخ الهند مولانا محمود حسن، سجن على يد البريطانيين في مالطة لمدة ٣ سنوات لأنه التزم بالحق ورفض التنكر للخلافة العثمانية. فقد قام الخائن الشريف حسين باعتقال شيخ الهند وتلميذه مولانا حسين أحمد مدني (والذي عرف فيما بعد باسم شيخ الإسلام) في الحجاز (مكة) في ٢٣ صفر ١٣٣٥ هجري. وأرسلا إلى مالطة عن طريق القاهرة على متن سفينة في ٢٩ ربيع الثاني ١٣٣٥ هـ الموافق ٢١ فبراير/شباط ١٩١٧ وقمعا في السجن على يد البريطانيين لمدة ٣ سنوات وأربعة أشهر. وأفرج عنهما فيما بعد ووصلا إلى بومباي في ٨ يونيو/حزيران ١٩٢٠.

وصادفت فترة عودتهم من مالطة مع فترة انبعاث حركة الخلافة في الهند.

كان شيخ الهند آنذاك، رئيس دار العلوم ديوباند، وكان يدعم الخلافة مباشرةً وعمل بجهد لاستعادتها. وكان قد التقى مع والي الخلافة في مكة ومعاوني الخليفة. وقدم الوالي بعض الوثائق للشيخ لمساعدته في صراع المسلمين في الهند ضد البريطانيين الطغاة. ومن أهم هذه الوثائق نداء من الوالي إلى مسلمي الهند. في هذا النداء، مدح والي مكة شيخ الهند لمقاومته للحكم البريطاني الاستعماري وطلب من مسلمي الهند أن يقدموا له الدعم. كما أكد لهم بأن الخلافة ستقدم الدعم المادي لحركة المقاومة هذه. وتعرف هذه الوثيقة التي كتبها والي مكة في التاريخ باسم «غالب نماه». وبعد أن أدى الشيخ مناسك الحج في ١٣٣٤ هـ، التقى أيضاً بأنور باشا وجمال باشا وهم من ضباط الخلافة. وكتب أنور باشا رسالة نداء لمسلمي الهند معبراً عن تقديره لمقاومتهم المستمرة ضد المستعمر الإنكليزي، وكانت رسالته مشابهة لرسالة «غالب نماه» حيث أكد دعم الخلافة العثمانية لهم مادياً في صراعهم ضد الإنكليز. كما وطلبت الرسالة من جميع مواطني وموظفي الخلافة العثمانية بأن يكونوا على ثقة تامة بشيخ الهند وتوفير الرجال والدعم المادي لحركته. وتم تحضير نسخ من هذه الرسائل وتوزيعها في الهند بالرغم من جميع التحديات المفروضة من قبل المخابرات الإنكليزية، وتم توزيعها فيما بعد في جميع أنحاء باكستان.

في بداية القرن العشرين، دعم معظم العلماء في الهند موضوع الخلافة ولكنه اليوم منسي وللأسف من قبل العديد من الأشخاص.

إن نص الفتوى يظهر لنا كيف كان شيخ الهند يعتبر مهمة الخلافة ورأيه حول التعاون مع المستعمرين.

لقد أخذت هذه الفتوى من النسخة المترجمة إلى الإنكليزية من كتاب "سجناء مالطة (أسيران ومالطة)" بقلم مولانا سيد محمد ميان، ونشرته جمعية علماء الهند بالشراكة مع دار ماناك للنشر بي.في.تي، ل.ت.د.

فتوى شيخ الهند، مولانا محمود حسن

سؤال: ما رأي العلامة والمفتي حول المواضيع التالية؟

١- قبلت إدارة المدارس المعونات من الحكومة البريطانية بسبب النفقات الزائدة. هل يسمح لهم بقبول هذه المعونات من الحكومة آخذين بعين الاعتبار قرارهم بعدم التعاون مع الحكومة البريطانية؟

٢- هل يسمح قبول رواتب الحكومة المقدمة إلى الطلاب والأشخاص الذين يحملون رتب في

الحكومة البريطانية؟

٣- هل يسمح للطلاب بترك مثل هذه المدارس دون إعلام أهاليهم أو من يكفلهم نظراً لمعارضتهم لمثل هذه الأعمال؟

٤- من واجبنا توفير النفقة لزوجاتنا وأولادنا ووالدينا الكبار في السن، هل من الضروري ترك هذا الواجب في سبيل إعادة إقامة الخلافة؟

٥- هنالك بعض المدارس التي تعارض فكرة الخلافة وحركة عدم التعاون، وهذه المدارس تقبل المعونات من الحكومة أو من رئيس حكومة المقاطعة، هل يسمح التدريس أو الدراسة أو قبول أي نوع من الوظائف الإدارية أو التعليمية في مثل هذه المعاهد؟

٦- هل من المسموح أخذ المال من صندوق الخلافة لتلبية حاجات شخصية، أو لتلبية متطلبات الأشخاص الذين من واجبنا الاعتناء بهم؟

٧- ما نوع العلاقة التي يجب بناؤها مع الأشخاص الذين يخدمون الحكومة، أو الذين يعملون كموظفين في مدارس تقبل المعونات من الحكومة؟

٨- فيما يتعلق بإقامة الخلافة أو بالحركة ضد التعاون مع الحكومة البريطانية، هل يسمح قبول المساعدة أو التعاون (سواء المعنوي أو المادي) من الهندوس؟

٩- إن المال من صندوق النقد المستمر لمدرسة أليجار هي لبنائها الذي كلف حوالي أربعمائة ألف روبية [الروبية: وحدة النقد في الهند وباكستان] إضافةً إلى تكاليف المكتبة والكتب والمراجع التي تصل إلى آلاف الروبيات، أليس من واجب أعضاء المدرسة استخدامها بطريقة لائقة وحمايتها من الخراب؟

١٠- هل يجب على الطلاب الذين يتلقون دراسة إنكليزية حديثة أن يتلقوا تعليماً دينياً أيضاً حتى يتمكنوا من نقل معرفتهم إلى الآخرين عندما ينهون دراستهم؟ أم عليهم أن يبذلوا جهدهم من أجل نجاح الخلافة وحركة عدم التعاون؟ باختصار، أيهم أفضل؟ تلقي تعليم ديني، أم المشاركة في حركة إقامة الخلافة وحركة عدم التعاون؟

الأجوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد سيد المرسلين

إن القلب هو عبارة عن قلب وليس صخرة لا تتأثر بالحزن، سوف نبكي آلاف المرات، فلماذا سيضايقنا أحد ما؟

قبل أن أجيب على هذه الأسئلة، أود أن أذكر أن من المهم أن يدرك كل مسلم صادق أنه

يتوجب عليه أن يخرج من دائرة التفكير الضيق، وأن يفكر بجميع النعم التي أنعمها الله علينا كوننا مسلمين. وإذا نظرنا بعمق إلى الوضع الحالي في ضوء تجاربنا القديمة، سنجد أنه من الواضح أن أغلى ثروة لدى المسلمين هي إيمانهم. ومن واجب كل مسلم أن يحمي هذا الإيمان بكل قوته. ومن دون أي خدعة أو خجل أو أعمال ماكرة، قد تسرق هذه الثروة منا!

لقد حاول أعداء الإسلام بشتى الطرق أن يهاجموا ويؤذوا شرف ورونق الإسلام. إن العراق وفلسطين وسوريا الذين فتحوها هم أصحاب الرسول ﷺ وأتباعه بعد العديد من التضحيات، قد أصبحت من جديد هدفاً لجشع أعداء الإسلام. وفي الوقت الحالي إن شرف الخلافة ممزق. وخليفة المسلمين الذي كان يوحد كل الأمة على هذه الأرض، والذي هو خليفة الله على الأرض، والذي كان يطبق القانون العالمي للإسلام، ويحمي حقوق ومصالح المسلمين، ويضمن سيادة كلام خالق الكون على الأرض، قد أصبح اليوم محاطاً بالأعداء وأصبح دوره هامشياً.

"لقد حملت على كتفي جبلاً من المشاكل، ولو وضع هذا الثقل على النهار لتحول ليلاً!"

إن راية الإسلام تحلق منخفضة اليوم. إن أرواح أسيادنا أبو عبيدة ﷺ وسعد بن أبي وقاص ﷺ وخالد بن الوليد ﷺ وأبو أيوب الأنصاري ﷺ غير مطمئنة اليوم. لماذا؟ لأن المسلمين قد فقدوا كرامتهم وشرفهم واحترامهم، وفقدوا شجاعتهم وخوفهم على دينهم، وكل ذلك كان جزءاً من إرثهم، بسبب جهلهم وانشغالهم بتفاهات الدنيا.

اليوم لا يساعد المسلم أخاه المسلم إلا في الأوقات الصعبة، بل وللأسف أصبح متشوقاً للحصول على رضى وصداقة الكافر مما جعله يقطع رأس أخيه. لقد شرب المسلمون من دماء إخوانهم المسلمين. لقد أغرق المسلمون أيديهم في دماء إخوتهم.

يا أبناء الإسلام! ويا محبي هذه الأمة الرائعة! أنتم تعرفون أكثر مني أن النار التي أحرقت الخيم في العالم الإسلامي، ووضعت النار في قصور الخلافة الإسلامية، قد أشعلت بالدماء الحارة للعرب والهنود. وأن جزءاً كبيراً من الثروة الكبيرة التي نجح النصارى بالاستيلاء عليها من الأمم الإسلامية قد كانت بفضل جهدكم.

وبالنتيجة، هل هناك أي مسلم غبي لا يدرك النتائج التي سيؤول إليها أي تعاون مع النصارى؟ وهذا الأمر ينطبق أيضاً على وضع يكون فيه رجل غارق يبحث عن أي مساعدة ولو من قطعة قش ويبحث عن طرق تعاون كي تنقذه من الغرق؟

يا أبناء شعبي! هذا ليس وقت النقاش في مواضيع افتراضية أو مواضيع إضافية، بل هذا الوقت للعمل بروح إسلامية من أجل كرامة وشرف ديننا. إنني أخشى أن الفروقات، سواء الصغيرة أو الكبيرة، بين العلماء قد تؤثر على روحنا وشجاعتنا. أنا لا اطلب منكم أن تحملوا

السيف وتذهبوا للجهاد في العراق أو سوريا ضد أعداء الإسلام بجانب إخوتكم. إنما طلبي الوحيد هو أن لا تعززوا من قوة أيدي أعداء الإسلام، وأن تتبعوا أوامر الله بشجاعة وإخلاص:

- قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ ﴾[المائدة ٥١].

- وقال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨ ﴾[آل عمران ٢٨].

- وقال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩ ﴾[النساء ١٣٨-١٣٩].

- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤ ﴾[النساء ١٤٤]

- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾[المائدة ٥٧].

- وقال تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١ ﴾[المائدة ٨٠-٨١].

- وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢ ﴾[المجادلة ٢٢].

- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١ ﴾[الممتحنة ١].

هنالك الكثير من الآيات في القرآن تتحدث في هذا الشأن، إلا أن المجال هنا لا يتسع لذكرها جميعها. ولكن أود أن أوضح أنني ترجمت كلمة "ولي" بكلمة "مساعد" و"صديق" هنا. وقد اقتبست المعنى والشرح من تفسيرات الراسخين في العلم من أمثال الإمام ابن جرير الطبري والحافظ عماد الدين بن كثير والإمام فخر الدين الرازي. إن هدفي هنا هو أن أفسر

لكم أن "عدم التعاون" يعني عدم مساعدتهم وعدم قبول مساعدتهم أيضاً. وبالتالي: الجواب على سؤاليكم الأول والثاني هو أنه يتوجب عدم قبول المساعدات من الحكومة البريطانية والمقدمة للمدارس وعدم قبول الطلاب للبعثات. وعندما يتخذ الطلاب قرارهم بعدم التعاون، فلا يجب أن يعتمدوا على إذن والديهم، بل هو حقهم وعليهم تحفيز والديهم -بأدب واحترام- بالموافقة على عدم التعاون مع الحكومة البريطانية. إن هذه المعضلة التي يواجهها الطلاب حالياً قد واجهها أيضاً المسلمون في عهد الرسول ﷺ. وقد سألوا الرسول آنذاك كيف بإمكانهم أن يقطعوا علاقتهم مع الكفار لأنهم إذا قاموا بذلك فسيفترقون عن والديهم وإخوتهم وأخواتهم وسائر أقاربهم. كما ستفشل أعمالهم وتهدر ممتلكاتهم وتدمر قراهم. وقد قدمت إليهم الأجوبة على أسئلتهم هذه عن طريق الآية التالية: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[التوبة ٢٤].

يوجد أحيانا خوف في قلوبنا أنه في حال فشلت الحركات القائمة في جميع أنحاء الدولة واستمر وجود الحكومة، سيكون هنالك فرص لخسارات كبيرة. وكان هذا النوع من الآراء موجوداً آنذاك أيضاً. ولهذا ذكر في القرآن الكريم: ﴿ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾[المائدة ٥٢] (أي أن يقول المنافقون أن علاقة الصداقة بيننا وبين اليهود ضرورية لأنه في حال فشل الرسول ﷺ بمهمته وانتصر اليهود في النهاية، سنواجه صعوبات كبيرة في تلك الحال.) وهنا أجابهم الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[المائدة ٥٢].

يا إخوتي! إني أدعوكم للتمسك بأوامر الله والإيمان به فقط، فتثبتوا بأهدافكم واستمروا برفض التعاون مع البريطانيين. وإذا كان باستطاعتكم فلا تتأخروا بتقديم الدعم والعون للإسلام والمسلمين. ففي هذا الوقت من الصعب تجاهل هذا الأمر أو التساهل فيه.

إنه لأمر جيد أن أغلبية الهندوس يتطلعون للتعاون معكم ودعمكم. إن حادثة جاليان والأباغ في بنجاب إضافة إلى الرغبة في الحكم الذاتي قد جعلا الوقت ملائماً لعدم التعاون مع البريطانيين النصارى. كما وقد سمعت بأن جماعة السيخ قد قررت أيضاً رفض التعاون مع البريطانيين. توكلوا دائماً على الله وتصرفوا عندما يكون الوقت مناسباً. إن الله هو وليكم ونصيركم الوحيد! وإذا جاء شعب من مجتمع آخر لمساعدتكم في مهمتكم النبيلة ولدعمكم في الأزمات، يجب أن تتعاونوا معهم أيضاً. ويجب أن تعاملوهم بلطف وتهذيب وحتى أن تكونوا

أكرم منهم، قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[الممتحنة ٨-٩].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التعاون وإقامة العلاقات مع الهندوس لا يعني أن على المسلمين تكييف أوامر دينهم بشكل يلائم طرق الكفار. فإذا قاموا بذلك، فسيسجلون الخطايا على أنفسهم مقابل التقوى.

إن هدفي هو أن تتصرفوا بشكل يدعو إلى عدم التعامل مع الحكومة البريطانية. ويجب أن تتوكلوا على الله وحده أثناء قيامكم بذلك. أما فيما يتعلق بالطلاب، فيجب عليهم المشاركة في نشر هذه الحركة إذا لم يكن لديهم أي عمل إجباري آخر. أما من لديه أي التزام تجاه زوجة أو أولاد أو والدين فيجب أن يشارك بشكل لا يدفعه إلى إهمال عائلته. وإذا كان أحدهم يعمل بجهد من أجل مساعدة وحماية الخلافة وقدمت له لجنة الخلافة مبلغاً من المال لتلبية حاجاته، يسمح له بقبولها.

إذاً باختصار، إن التعاون مع الكفار غير جائز، ويتوجب أن يبتعد أي شخص عن التعاون مع البريطانيين. يجب أن يبعد المسلمون تفكيرهم عن أي شيء يتعلق بالكفار، وأن يتوكلوا على الله الذي بيده مصير كل من المتسول والملك.

برأيي من الحكمة أن يختار أصحاب القدر الواحد رضى الله وحده أولاً ومن ثم يستمر في طريقه مطمئناً دون أن يأبه بالعواقب.

والآن أود أن أختتم هذا الحديث بالتأكيد بأنني لست مفتٍ، ولكنني آمل أن تكون براهيني قد أجابت على بعض أسئلتكم. إضافة إلى الاعتناء بسلامة مبنى كلية اليجارث ومكتبتها يجب أن يوازن ضميركم ويقارن ذلك مع قيمة إستانبول وسوريا وفلسطين والعراق.

وفي النهاية يجب القول أن نجاح حركات عدم التعاون تعتمد علينا. ولا يجب أن نقوم بأي عمل يؤدي إلى الإضرار أو إلى هدر الدماء. هذه هي النصيحة التي يقدمها كل المثقفين، ويجب علينا أن نستوعب هذه النصيحة وإلا سيكون هنالك خوف من الخسارة بدلاً من الفوز.

لندعُ الله الذي هو مصدر عزتنا من كل قلبنا أن لا ينزع الكرامة عن أمتنا، وأن لا يجعلنا هدفاً للكفار، وأن يساعدنا في عملنا الصالح.

٣ـ مواقف الأمة، الخاصة والعامة، عند إلغاء الخلافة

أعلن مصطفى كمال أتاتورك إلغاء الخلافة في ٢٨ رجب ١٣٤٢هـ الموافق ١٩٢٤/٣/٣م، في ذلك الوقت كان الإنكليز يحتلون دار الخلافة وبلاد الشام بعد أن سلمها لهم الخائن مصطفى كمال، وكان قبل إعلان إلغاء الخلافة قد تم تجريد الخلافة من السلطة قبل سنتين من سقوطها، أما بلاد الحجاز فكان آل سعود مطايا للإنجليز ينفذون مخططاتهم بتجييش المسلمين لقتال الخلافة، أما مصر فقد وقعت تحت الاحتلال الإنجليزي وكذلك العراق.

لقد ظلت الخلافة رمز العزة للمسلمين ووحدتهم، فهي مكلفة في نظر المسلمين برعاية شؤونهم والذود عنهم وإقامة شريعة دينهم؛ ولذلك حزن المسلمون حزناً شديداً لمصير الخلافة، وكان من أوائل من تنبه لخطر الكماليين على الخلافة هو شيخ الإسلام مصطفى صبري، فقد هاجم الكماليين ولجأ لمصر منبهاً أهلها بما يجري ضد الخلافة قبل إعلان سقوطها، منكراً على الكماليين فعلهم بفصلهم الخلافة عن الدولة.

تفاجأ العالم الإسلامي بقرار إلغاء الخلافة التي لم ينقطع ظلها عن المسلمين طوال أربعة عشر قرناً فارتفع صوت أحمد شوقي بقصيدة قوية صادقة المشاعر يقول فيها:

ضجَّت عليكِ مآذنٌ ومنابرٌ
وبكتْ عليكِ ممالكٌ ونواحِ
الهندُ والهةٌ ومصرُ حزينةٌ
تبكي عليكِ بمَدمعٍ سَحَّاحِ
والشَّامُ تسألُ والعراقُ وفارسٌ
أمحا من الأرض الخلافةَ ماح؟

والشاعر محرم كتب قصيدة بهذه المناسبة يقول فيها:

مضى الخلفاءُ عنكِ أين حلُّوا
وكيفَ بقيتِ وحدَكِ خبِّرينَا

وكتب الشيخ محمد حسنين مقالاً عنيفاً هاجم فيه الكماليين مبيناً فيه فظاعة جرمهم. وكتب محمد الباقوني مقالاً ينكر على الكماليين صنيعهم وأن الخلافة ليست ملكاً لهم لأنها خلافة المسلمين، والترك لا يتجاوز عددهم اثنان في المائة من عدد المسلمين. وكتب محمد شاكر أيضاً يقول: «فأي شر يحسب هؤلاء الملاحدة أنهم بإلغاء الخلافة يدفعونه، وأي خير يظنون أنهم للدولة يجلبونه... لقد نقضوا موثقاً أخذته عليهم ثمانية قرون وبعض قرن، واطرحوا

أمانة حملوها كل ذلك العهد وخرجوا للمسلمين من تبعة لم يخرجهم منها أحد، وحاولوا عبثاً أن يحلوا بيعة بعنق كل مسلم في الأرض معقودة».

واضطرب الناس وأصبحوا في حيرة فلم يعرفوا كيف يتصرفون، فقد كان الدعاء يوم الجمعة لخليفة المسلمين وصاروا يدعون لسلطان مصر، ثم خرج الأزهر ببيان موقع باسم ستة عشر عالماً من علماء الأزهر أذاعوه بعد إلغاء الخلافة بأربعة أيام يقررون فيه بطلان ما تجرأ عليه الكماليون من عزل الخليفة عبد المجيد، وينبه المسلمين إلى حاجتهم للخليفة، ويدعوهم للإسراع في عقد مؤتمر (يقرر ما يراه في أمر الخلافة من الطريق الشرعي ويحذرهم من تسرب الخلاف الذي يؤخر الإسلام ويوهنه). وفي اليوم التالي نشر الشيخ محمد حسين وكيل الأزهر السابق مقالاً يبين فيه خطأ الكماليين فيما ذهبوا إليه من أن الخلافة عقبة في طريق التقدم، وختمه بدعوة المسلمين للنظر في أمر الخلافة. وعلى أثر ذلك كثرت الدعوات لعقد مؤتمر الخلافة وخاصة بعد أن أذيعت الشائعات لترشيح الملك حسين للخلافة. وعلى أثرها نشر علماء التخصص في الأزهر بياناً حذروا فيه من الانخداع بنداءات الخونة المارقين الذين ينادون ببيعة الملك حسين بن علي صنيعة الإنكليز. وحذروا من تهافت كل مملكة على جعل الخليفة فيها؛ فيتعدد بذلك خلفاء المسلمين، وتذهب ريحهم، وتضرب عليهم الذلة والمسكنة إلى يوم الدين.

ثم نشطت الدعوة إلى المؤتمر الإسلامي واجتمع العلماء برئاسة شيخ الجامع الأزهر وأصدروا بياناً في ١٩٢٤/٣/٢٥م أفتوا فيه ببطلان بيعة عبد المجيد، وقرروا دعوة ممثلي جميع الأمم الإسلامية إلى مؤتمر يعقد في القاهرة برئاسة شيخ الإسلام للبت فيمن يجب أن تسند إليه الخلافة الإسلامية، وحددوا شهر شعبان موعداً لانعقاده. وشكلت لجنة المؤتمر الإسلامي وانتشرت فروعها في البلاد. وصدرت مجلة باسم المؤتمر الإسلامي تدعو فيه بأن المطلوب من المؤتمر هو اختيار خليفة للمسلمين. ولم ينعقد المؤتمر في موعده وأجّل مرات إلى أن عقد في ١٩٢٦م وكان اجتماعاً فاشلاً لم يسفر عن شيء. وكان من بين من عمل على إفشاله ملك الأفغان (أمان الله خان). الذي كان طامعاً في الخلافة، بالإضافة إلى عمل مندوبي البلاد الإسلامية في معارضتهم ترشيح الملك فؤاد للخلافة، وكذلك أخذ الملك حسين البيعة لنفسه في فلسطين وشرق الأردن، وكذلك معارضة الإنجليز في ظهور الخلافة الإسلامية في أي صورة من الصور، وانقسم الرأي العام حول مسألة الخلافة، فسعد زغلول لما له من مكانة عند الناس كان يعارض مشروع الخلافة، وأخذ يريب الناس من هذا المشروع بحجة أن الإنجليز هم الذين

يدفعون الملك فؤاد لترشيح نفسه. وانقسمت لجنة المؤتمر فمنهم من رأى بأن مصر لا تصلح لإقامة الخلافة لأنها محتلة، وأنه من الأجدى أن يعقد المؤتمر في أحد العواصم الحرة من الممالك الإسلامية. وانعقد المؤتمر آخر الأمر في أيار/ مايو ١٩٢٦م حضره ما يقرب من ثلاثين عضواً، وبعضهم حضر بشخصه لا يمثل هيئة أو حكومة، وبعضهم حضر للاستماع دون المشاركة أو إبداء الرأي مثل مندوب إيران. وفشل المؤتمر وانتهى إلى تقرير أن الخلافة الشرعية المستجمعة لشروطها المقررة في كتب الشريعة الغراء من أهمها الدفاع عن حوزة الدين في جميع بلاد المسلمين، وتنفيذ أحكام الشريعة الغراء فيها، لا يمكن تحقيقها بالنسبة للحالة التي عليها المسلمون الآن. وقرر أن تبقى هيئة المجلس الإداري لمؤتمر الخلافة بمصر على أن ينشئ له شُعَباً في البلاد الإسلامية المختلفة تكون على اتصال بها لعقد مؤتمرات متوالية فيها حسب الحاجة.

صدرت كتب معارضة للكماليين منها (النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة). لمصطفى صبري فقد تناول فيه أربعة مسائل:

١- فساد دين الكماليين.

٢- الكلام عن عصبيتهم للجنس التركي ومحاربتهم للعصبية الإسلامية.

٣- بيان أن الكماليين والاتحاديين اسمان مختلفان لشيء واحد.

٤- الحديث عن صلتهم باليهود وعن تواطئهم مع الإنجليز.

أما الكتاب الثاني (الخلافة أو الإمامة العظمى) لمحمد رشيد رضا فقد تناول فيه:

١- بيان أن نهضة المسلمين تتوقف على إقامة الخلافة الإسلامية.

٢- الدعوة إلى تعاون العرب والترك على إقامة الخلافة.

٣- التأمل في واقع العالم الإسلامي توصلاً لتلمس الطريق إلى نهضته.

وفي تركيا عمد مصطفى كمال أتاتورك إلى قتل العلماء والأئمة الذين عارضوه.

وهكذا نرى بأن المسلمين كانوا يستشعرون أهمية الخلافة في حياتهم لكنهم لم يتصرفوا إزاء هذه الفاجعة وهي إلغاء الخلافة التصرف الذي يليق بأمة الإسلام باعتبارها قضية مصيرية، وأنه يجب اتخاذ إجراء الحياة والموت إزاءها، فلم يدركوا أن هذه القضية قضية مصيرية يتوقف عليها مصير المسلمين ومصير الإسلام، وأن الإجراء الصحيح هو حمل السلاح وقتال الكماليين، ولو أدركوا ذلك لما وقع ما وقع. واليوم ونحن نرى حال الأمة الإسلامية والمحنة التي تعيشها نقول: حان الوقت الذي يجب فيه على كل مسلم أن يجعل قضية عودة الإسلام لحياة المسلمين بإقامة الخلافة بالطريقة الشرعية قضية مصيرية له في هذه الحياة؛ لتعود الأمة لعزتها وليعم الخير العالم كله ❑

ثوروا عليهم

صلاح الدين فلسطين

ثـــورُوا علـــى الحكَّـــامِ قَـــذْفاً بِـــالحِمَمْ ... ســاقوا الشّـعوبَ إلى الـذئابِ كمـا الغـنمْ
ثـــورُوا علـــيهمْ لا تخَـــافوا بَطشَـــهمْ ... بَرِئـــوا مـــن الإســـلامِ، كالأنعـــامِ، صُـــمْ
ثـــورُوا علـــيهم لا تَهـــابوا شـــكلَهمْ ... خُشُـــبٌ مُسَـــنَّدَةٌ، خُـــوارٌ، مـــن صـــنمْ
عجِـــزَ البيـــانُ بوصـــفِهمْ مـــن ذلِّهـــمْ ... أنقـــولُ: خنزيـــرٌ؟... يغـــارُ وينـــتقِمْ
أحضِـــرْ قـــواميسَ العروبـــةِ كلَّهـــا ... لا تهتَـــدي... ضَـــيَّعْتَ وقتـــكَ فـــاغْتنِمْ
لا يَصْـــلُحونَ ولـــو غسَـــلْتَ دمـــاغَهمْ ... عبثـــاً بـــدرسٍ في الكرامـــةِ والقـــيَمْ
لا يفقهـــونَ ســـوى النَّذالـــةِ مَسْـــلكاً ... والـــذلَّ زاداً والخيانـــةِ، هُـــمْ خَـــدمْ
أو مـــا رأيـــت رؤوسَـــهمْ موْطُـــوءَةً ... حـــتى حِـــذاءَ «البـــوشِ» يُلْعَـــقُ في نَهَـــمْ
نهـــرُ الفـــراتِ فلـــنْ يُطهِّـــرَ رِجسَـــهمْ ... حتّـــى ولا بحـــرٌ توسَّـــط يـــا عَجَـــمْ
هَتكـــوا مـــلاءةَ عِرْضِـــكمْ بخيانـــةٍ ... لبيّـــك، معتصـــمَ الرشـــيدِ... ألا انـــتقِمْ
سَـــفكُوا الـــدماءَ تنـــاثرتْ أشـــلاؤُكم ... كُتـــلُ الجمـــاجمِ.. جـــاوزَتْ رأسَ الهـــرَمْ
هَـــدموا المنـــازلَ فـــوقَ جمـــعٍ ســـاكنٍ ... قَتْـــلُ النُّفـــوسِ... أشـــدُّ مـــن هـــدمِ الحَـــرمْ
سَـــجنوا جمـــوعَ المخْلصـــينَ بظُلمَـــةٍ ... يخشَـــوْنَ مـــن ظـــلٍ لنســـرٍ في القِمَـــمْ
عجبـــاً لهـــمْ لـــو يختَفُـــون وينطقـــو ... نَ وإنْ يقولُـــوا قَـــولَهم تَســـمعْ لهـــمْ
عجبـــاً لهـــم لـــو يَصْـــمتون ويَنعقُـــو ... نَ بمـــا تخُـــطُّ بـــه لنـــا تلـــكَ الأمـــمْ
لـــن تُسْـــمِعَ المـــوتى النّـــداءَ ولـــن تَقـــو ... لَ: سمعـــتُ عنـــد القـــبرِ صـــوتاً مـــن رِمَـــمْ
يتجوَّلـــونَ ولـــو رأيـــتَ وجُـــوههمْ ... لرأيتَهـــا ســـوداءَ قُـــدَّتْ مـــن ظُلَـــمْ
والمســـجدُ الأقصَـــى بنـــاءٌ، قبلـــةٌ، ... لا يَغضـــبونَ إذا تَفجَّـــرَ وانْهـــدَمْ
بغـــدادُ تُبْحـــرُ في الـــدماءِ وليْتـــهُم ... عرفـــوا مقـــراً للخلافـــةِ مُعْتَصـــمْ
لبنـــانُ قـــد غُزِيَـــتَ وشُـــرِّدَ أهلُهـــا ... أتريـــدُ عونـــاً مـــن زنـــيمٍ قـــد وُسِـــمْ
هيـا اهربـوا... فرعـونُ مصـرَ ومَـنْ حمَـى ... أَمْـــنَ اليهـــودِ ببأســـه... ذاكَ القـــزَمْ
أيـــنَ المفـــرُّ لخـــائنٍ ذل الشُّـــعو ... بَ، ألا تـــرَى... تلـــك المشـــانقُ لا ألَمْ
قـــد جـــاءَ نصـــرُ اللهِ، نصـــرُ اللهِ آ ... تٍ مـــن قـــديرٍ، ذي الجلالـــةِ والكـــرمْ
جنـــدُ الخلافـــةِ قـــادمٌ هـــلاّ رأَيْـــ ... ـــتَ «عُقَابَـــهُ» يشـــفي الصُّـــدورَ مـــن الألَمْ

مـــن كـــان يَنْـــبَحُ واهمـــاً أن النُبـــا ... حَ سـلاحُ مـن ضـلَّ الطريـقَ فقـد وَهِـمْ
مـن كـان يهتِـفُ للطُّغـاةِ كمـا تـرى ... بَتَـرَ الأنامـلَ حسـرةً بعـد النَّـدمْ
هُـدمتْ عـروشُ الظـالمينَ وزُلزلَـتْ ... مـن تحتهـم أرضٌ بضـربةِ مُنـتَقِمْ
قـل للعـراقِ أتتـكَ جنـدُ الله زحـ ... ـفاً كـي تُصَـيِّرَ مـن بغـى تحـت القـدَمْ
قـل للبُـراقِ إذا بكَيْـتَ أو اشتكيـ ... ـتَ لجُرحِنـا، جُـرْحُ الفـؤاد قـد التـأَمْ
قـل للثَّكـالى يـومَ عـزٍّ كفكفـي ... دمـعَ العيـونِ بفرحـةٍ مـن قلـبٍ أمْ
هـذي الصـدور شـفاؤها إعـلاء ديـ ... ـنِ الله إرضـاءً لخـالق مـن عَـدَمْ
زالـتْ حـدودٌ في الـبلادِ ودمِّـرتْ ... أيـن الجُسـورُ فلـن تعـودَ، ولا، وَلَـمْ
هـذي الـدماءُ دمـاؤكمْ هانـتْ علـى ... الحكَّـامِ مثـلَ المـاء في بحـرٍ يَعُـمْ
لا ينتمـون لأمَّـةٍ خيريَّـةٍ ... قـولُ الحبيـبِ ووحيُـه لا ينفصـمْ
ثـوروا علـيهم لا تُـداروا ظُلمهُـم ... الويـلُ، ثم الويـلُ يحـرقُ مـن ظَلَـمْ
ثـوروا علـيهم طهِّـروا أدناسـهم ... مثـلَ القُمامـةِ جرَّهـا سـيلُ العَـرِمْ
ثـوروا علـيهم حرِّقـوا أعلامَهـمْ ... نزَعَـتْ فـؤادَ الجسـمِ مـن لحـمٍ ودمْ
ثـوروا علـيهم لا يغُرَّنَّـكَ قـولُهُمْ ... ضُـرِبَتْ نـوابحُ للكـلابِ ولم تَقِـمْ
ثـوروا علـيهم لـن يُصـيبَك مكـرُهم ... مكـرُ الإلـه أشـدُّ مـن مكـرٍ لهـمْ
قامـت قيـامتُهمْ وحـانَ حسـابهمْ ... لم ينفـعِ الفرعـونَ إيمـانٌ بـيَمْ ❑

قال رسول الله ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**».

الخلافة الراشدة: ١١-٤٠هـ / ٦٣٢-٦٦١م.

الخلافة الأموية: ٤٠-١٣٢هـ / ٦٦١ ٧٥٠م.

الخلافة العباسية: ١٣٢ - ٩٢٣هـ / ٧٥٠-١٥١٧م.

الخلافة العثمانية: ٩٢٣-١٣٤٢هـ / ١٥١٧-١٩٢٤م.

الحكم الجبري: ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤م فيكون ماشاء الله أن يكون ثم يرفعه.

الخلافة الراشدة: قريباً إن شاء الله ❑

هكذا كانوا... يوم كنّا!!

بقلم: محمد هاشم عبد اللطيف - الخرطوم

لطالما يقفُ المسلم بانبهارٍ شديدٍ وهو ينظر إلى المجامع الطبية الضخمة المتقدمة الموجودة في دول الغرب، ويقف كذلك بنفس الانبهار الشديد وهو ينظر لكُبريات الشركات البرمجية في الدول الأوروبية وغيرها، فيرى التقدم العلمي الذي وصل إليه الغرب فيتبادر لذهنه سؤال:

يا ترُى أين كان الغرب... يوم كنا في ظل الخلافة الإسلامية؟

إن للمسلمين فضلاً لا يُنكر على التقدم العلمي للعالم قاطبة، ولا سيما على التقدم العلمي والتكنولوجي المعاصر لدول الغرب الأوروبية والأميركية. فلقد نبغ علماء المسلمين في شتى العلوم والمعارف، ويخطئ من يظن أن المسلمين كانوا مجرد نَقَلَة، نقلوا التراث الإغريقي فقط، ذلك لأنهم قد استوعبوه وهضموه وفهموا أسراره ومضامينه، وأضافوا إليه ومزجوه بعلوم الإسلام والقرآن، فكان ما كان من ثورة علمية هائلة أنارت كافة أرجاء المعمورة.

وسآخذ في مقالي هذا جانباً واحداً فقط من جوانب العلم والتقدم وهو المجال الطبي عند المسلمين في زمان الخلافة الإسلامية.

لقد نبغ المسلمون في علوم الطب وفروعه، وألفوا فيه الكتب والمراجع وابتكروا الآلات الطبية، وأقاموا المستشفيات الثابتة والمتنقلة. واتسم العمل بالمستشفيات بالطابع الإسلامي، والطابع الخلقي والإنساني بما يفوق نظام العمل بأرقى المستشفيات في بلاد الغرب.

ومن مفاخر الإسلام حقاً أن أولى المستشفيات في الإسلام كانت خيمة رفيدة، و هي امرأة كانت تداوي الجرحى، وتقوم بنفسها على خدمة من أصابته الجراح من المسلمين. ولقد قال رسول الله ﷺ حين أصاب سعدَ بن معاذ رضي الله عنه السهمُ في غزوة الخندق: «**اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب**» فتح الباري شرح البخاري.

ولما تتابعت الفتوح كان للجيش مضارب فيها الممرضات من النساء يداوين الجرحى، وهذا من جهادهن.

وكان العرب يسمون المشافي (بيمارستانات) ويخففونها فيقولون مارستانات. وهي في الأصل كلمة فارسية معناها "معسكر المرضى".

وكانت البيمارستانات من أول عهدها إلى زمن طويل مستشفيات عامة، تعالج فيها جميع الأمراض والعلل من باطنية وجراحية

ورمدية وعقلية، إلى أن أصابتها الكوارث، ودار بها الزمن وهجرها المرضى فأقفرت إلا من المجانين. فصارت كلمة مارستان تعني مأوى المجانين، وفي الوقت الذي كانت فيه المشافي تشاد في كل مدينة من المدن الإسلامية، كانت أوروبا تغرق في ظلام الجهل والتخلف.

وكان من أشهر المشافي في أوروبا في القرون الوسطى مستشفى "أوتيل ديو" في باريس. وقد جاء ذكره في كتاب ألفه "ماكس نوردو" قال فيه عن هذا المستشفى:

«كان يستلقي في الفراش الواحد أربعة مرضى أو خمسة أو ستة. فترى قدمي الواحد في جانب رأس الآخر. وكان الأطفال الصغار إلى جانب الشيوخ الشيب. حقاً إن هذا لا يصدق، ولكنه الحقيقة والواقع. كانت المرأة تئن من مخالب المخاض إلى جانب رضيع يتلوى من التشنجات، ورجل يحترق في هذيان الحمى إلى جانب مسلول يسعل سعلته الجارحة، ومصاب بإحدى الأمراض الجلدية يمزق جلده الأجرب بأظافره الثائرة.

كانت رائحة الهواء في قاعات المرضى فاسدة حتى إن الزوار ما كانوا يجرؤون على دخولها إلا بعد أن يضعوا على وجوههم إسفنجة مبللة خلاً. وتبقى جثث الموتى أربعاً وعشرين ساعة في الفراش. وقد وصفه في القرن الثامن عشر "باللي ويتنون ولافوازيه" في تقريرهم وصفاً تقشعر منه الأبدان، إذ رأوا الموتى جنباً إلى جنب مع الأحياء، كما رأوا الناقهين مختلطين في غرفة واحدة مع المحتضرين، وكانت غرفة العمليات حيث الشق والقطع والبتر تأوي الذين تعمل لهم العمليات في الغد. فكانت تعمل في وسط الغرفة نفسها، وكان المريض يرى أمامه تحضيرات العذاب ويسمع صراخ المعذبين، فإن كان ممن ينتظر دوره في الغد كانت أمامه صورة أوجاعه المقبلة. وإن كان ممن مر بهذا الجحيم كان أمامه منظر يذكره بالأوجاع التي قاساها».

ولم تعمل يد التحسين في هذا المستشفى الذي أنشئ عام ٦٦٠م إلا بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م.

هكذا كانت حال أحد أشهر مشافي أوروبا في العصور الوسطى كما يصفها الدكتور أحمد شوكت الشطي، فكيف كانت حالة مستشفيات الخلافة الإسلامية التي كان يطلق عليها البيمارستانات؟

يقول المؤرخون إن المشافي العربية والإسلامية كانت تكرس للرضيع والوضيع، والملك والمملوك، والجندي والأمير.

وكان الخلفاء والأمراء والسلاطين يتبارَون في بناء المشافي حتى أصبح في كل مدينة من المدن الكبرى في الإمبراطورية العربية الإسلامية مستشفى عام واحد على الأقل للعناية بالمرضى. وكان البيمارستان مؤسسة حكومية يقوم بنفقاتها أحد الخلفاء أو الأمراء.

كان المرضى يُفحصون في المستشفى، فيعطُون من لا يحتاج إلى الاستشفاء فيه وصفة تحضر في صيدلية المستشفى. أما المرضى

الذين يحتاجون إلى دخول المستشفى، فتدون أسماؤهم لقبولهم، ثم يستحمون، ويبقون في المستشفى حتى الشفاء التام، وعلامته أكل رغيف من الخبز وفروج كامل!!

وعندما يخرجونهم يعطونهم ثوباً مع كمية من الدراهم لتقوم بنفقاتهم الضرورية خارج المستشفى. وكان الناس يتمارضون رغبة منهم في الدخول إلى المستشفى والتنعم بما فيه.

وكان الأطباء يغضون الطرف أحياناً عن هذا التحايل، قال خليل بن شاهين الظاهري في كتاب "النجوم الزاهرة" بعد أن زار دمشق:

«وبها بيمارستان لم يُرَ مثله في الدنيا، وعندما دخلت دمشق سنة ٨٣١هـ كان بصحبتي رجل أعجمي من أهل الفضل والذوق، فلما دخل البيمارستان، تمارض وأقام به ثلاثة أيام ورئيس الأطباء يتردد إليه، فلما فحصه وعلم حاله وصف له ما يناسبه من الأطعمة الحسنة والفواكه والحلوى. وبعد ثلاثة أيام كتب له الطبيب كلمة جاء فيها:

إن الضيف لا يقيم فوق ثلاثة أيام، وهذا يوحي بأنه أدرك أنه متمارض، ومع ذلك فقد عامله كأحد الضيوف».

وكان لكل مستشفى عام أروقة خاصة للذكور وأخرى للإناث. وخصصت فيها شعب للحمى والإسهالات والجراحة والتجبير والإصابات العينية وغيرها. وأُلحق بأكثر المستشفيات حمام عام. ومن أقسام المستشفى صيدلية يشرف عليها صيدلي مجاز، ومجهزة بالأدوية والشرابات والعقاقير المختلفة.

الطب عند المسلمين الأوائل

وجهز كل مستشفى بمكتبة تضم المفيد من مخطوط أبقراط وجالينوس وأطباء المسلمين، يجتمع فيها الأساتذة والطلاب بعد جولة الصباح على المرضى.

وكان للمستشفيات أوقاف تَعُولها، وكانت الإدارة الطبية يرعاها الطبيب الأول يعاونه رؤساء مختلف الشعب، ويعاون هؤلاء معاونوهم وتلاميذهم.

وانتشرت البيمارستانات انتشاراً كبيراً في العالم الإسلامي، وكان منها نوعان:

النوع الأول: وهو البيمارستان الثابت. ومن ذلك بيمارستان النوري الكبير في دمشق وبيمارستان قلاوون في القاهرة.

النوع الثاني: وهو البيمارستان المحمول. وهو الذي ينقل من مكان إلى آخر بحسب انتشار الأمراض والأوبئة والحروب.

وبلغ من اهتمام الأمراء بالمستشفيات أن بعضهم كان يشرف بنفسه على سير العمل فيها، ومن هؤلاء أحمد بن طولون الذي اعتاد أن يتفقد أحوال المرضى في كل يوم جمعة في

البيمارستان العتيق.

ولم تكن رسالة البيمارستان قاصرة على الرعاية والعلاج، وإنما امتدت لتشمل إعداد الأطباء وتأهيلهم، فكان بمثابة جامعة تخرج الأطباء، ويتبعون ما يطلق عليه في الوقت الحاضر اسم فريق العمل (**Team Work**) حيث يشترك أكثر من طبيب في تشخيص الحالة وعلاجها. وهذا المنهج الإسلامي هو الأصل الذي نشأ عنه ما يعرف في الوقت الحاضر في مجال العمل الطبي باسم مؤتمر الحالة (**Case Conference**) حيث يجتمع عدد من الأطباء والأخصائيين ويدرسون حالة مريض معينة، ويبدي كل منهم رأيه، ويتبادل الجميع الخبرة والمشورة.

أما المَجاذم: فقد خصصت لعلاج المجذومين، وأول مؤسسة عرفت في بلاد العرب هي مَجْذمة الوليد بن عبد الملك في دمشق سنة ٨٨ هـ، ثم تعددت المجاذم بعد ذلك. وتعد المجاذم العربية أول دور عولج فيها المصابون بالجذام معالجة فنية، وكان الدخول إليها غير تابع لقيد أو شرط، بينما كانت المجاذم في الغرب مخصصة لفئة من الناس. وكان على المقبول فيها أن يدفع رسماً باهظاً وأن يصطحب معه ما يحتاج إليه من مقاعد وأسرة وأواني الطعام والشراب.

وأما مستشفيات الأمراض العقلية: فقد تأسست في زمن الأمويين للعناية بالذين أصابهم مس أو اعتراهم ضَعفٌ عقلي. فقد كان المسلمون يعتبرون المعتوهين معدمين وعالة على إحسان الدولة، لأن إصابتهم بقضاء من الله وقدره.

ولقد جاء في صك الأوقاف التي حبس ريعها لصالح المستشفى النوري أو العتيق (بحَلب) أن كل مجنون يخص بخادمين فينزعان عنه ثيابه كل صباح، ويحممانه بالماء البارد، ثم يلبسانه ثياباً نظيفةً ويحملانه على أداء الصلاة، ويسمعانه قراءة القرآن يقرؤه رجل حسن الصوت، ثم يفسِّحانه في الهواء الطلق.

أما في أوروبا، فكان المجانين يُحرمون من دخول المستشفيات، وكانوا يقيدون بالسلاسل في بيوت الجنون، تلك البيوت التي كانت شراً من السجون، فيبقون فيها حتى ينتهي أجلهم بالموت المشؤوم!

فهل تمت الإجابة على السؤال: أين كان الغربُ... يوم كنا في ظل الخلافة الإسلامية؟

كان ذاك ما فعلته الخلافة الإسلامية، فقد سبقت الغرب الكافر بقرون حين اهتدت إلى المستشفيات، وهذا هو ما ستفعله الخلافة الراشدة الثانية القادمة قريباً بعون الله.

فإلى شحذ الهمم وإنارة الظُلَمِ ندعوكم أيها المسلمون، ولفتح أبواب النور بإقامة الخلافة الراشدة نستنهضكم، فتُضاء الأرض بنور الإسلام وخيره من جديد.

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ﴾ [المائدة ١٥-١٦] ❑

هكذا كنا .... فمتى نعود

رسالة من السلطان سليمان خان إلى ملك فرنسا

الله العلي المعطي المغني المعين

بعناية الله جلت قدرته، وعلت كلمته، وبمعجزات سيد الأنبياء، وقدوة فرقة الأصفياء، محمد المصطفى ﷺ الكثيرة البركات، وبمؤازرة قدس أرواح حماية الأربعة، أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وجميع أولياء الله.

أنا سلطان السلاطين، وبرهان الخواقين، متوج الملوك، سلطان البحر الأبيض والبحر الأسود والأناطولي والروملي وقرمان الروم ولاية ذي القدرية ديار بكر وكردستان وأذربيجان والعجم والشام وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس، وجميع ديار العرب واليمن وممالك كثيرة أيضاً التي فتحها آبائي الكرام وأجدادي العظام بقوتهم القاهرة أنار الله براهينهم، وبلاد أخرى كثيرة افتتحها يد جلالتي بسيف الظفر،

أنا السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان،

إلى فرنسيس ملك ولاية فرنسا،

وصل إلى أعتاب ملجأ السلاطين المكتوب الذي أرسلتموه مع تابعكم «فرانقيان» النشيط مع بعض الأخبار التي أوصيتموه بها شفهياً.

وأعلمنا أن عدوكم استولى على بلادكم وأنكم الآن محبوسون وتستدعون من هذا الجانب مدد العناية بخصوص خلاصكم، وكل ما قلتموه عرض على أعتاب سرير سدتنا الملوكانية، وأحاط به علمي الشريف على وجه التفصيل، فصار بتمامه معلوماً، فلا عجب من حبس الملوك وضيقهم فكن منشرح الصدر ولا تكن مشغول الخاطر فإن آبائي الكرام وأجدادي العظام نور الله مراقدهم لم يكونوا خالين من الحرب لأجل فتح البلاد ورد العدو، ونحن أيضاً سالكون على طريقتهم وفي كل وقت نفتح البلاد الصعبة والقلاع الحصينة وخيولنا ليلاً ونهاراً مسروجة، وسيوفنا مسلولة فالحق سبحانه وتعالى ييسر الخير بإرادته ومشيئته، وأما باقي الأحوال والأخبار تفهمونها من تابعكم المذكور فليكن معلوكم هذا.

تحريراً في أوائل شهر آخر الربيعين سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة.

بمقام دار السلطنة العلية

القسطنطينية المحروسة المحمية

رسالة من ملك إنكلترا والسويد والنرويج إلى خليفة المسلمين هشام الثالث

إلى صاحاب العظمة/ خليفة المسلمين/ هشام الثالث الجليل المقام...
من جورج الثاني ملك إنجلترا والسويد والنرويج إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام...

بعد التعظيم والتوقير، فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الضافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة... فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل...

لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم؛

لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة.
وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة «دُوبَانت» على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز، لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف؛ وتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم، وفي حماية الحاشية الكريمة، والحدب من قبل اللواتي سوف يقمن على تعليمهن.
وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل، أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص

من خادمكم المطيع
جورج الثاني

من كتاب «العرب عنصر السيادة في القرون الوسطى» لمؤلفه المؤرخ الإنجليزي جون دوانبورت

كتاب ريتشارد

للسلطان صلاح الدين الأيوبي

من ريكاردوس قلب الأسد ملك الإنجليز، إلى صلاح الدين الأيوبي ملك العرب.

أيها المولى: حامل خطابي هذا، بطل باسل صنديد، لاقى أبطالكم في ميادين الوغى، وأبلى في القتال البلاء الحسن، وقد وقعت أخته أسيرة، فساقها رجالكم إلى قصركم وغيروا اسمها، فقد كانت تدعى ماري فأطلق عليها اسم ثريا.

وإن لملك الإنجليز رجاء يتقدم به إلى ملك العرب، وهو إما أن تعيدوا إلى الأخ أخته، وإما أن تحتفظوا به أسيراً معها، لا تفرقوا بينهما ولا تحكموا على عصفور بأن يعيش بعيداً عن أليفه.

وفيما أنا بانتظار قراركم بهذا الشأن، أذكركم بقول الخليفة عمر بن الخطاب، وقد سمعته من صديقي الأمير حارث اللبناني وهو: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» ❑

جواب صلاح الدين الأيوبي

على رسالة ريتشارد (ريكاردوس)

من السلطان صلاح الدين الأيوبي، إلى ريكاردوس ملك الإنجليز

أيها الملك: صافحت البطل الباسل الذي أوفدتموه رسولاً إليّ، فليحمل إليكم المصافحة ممن عرف قدركم في ميادين الكفاح.

وإني لأحب أن تعلموا بأنني لم أحتفظ بالأخ أسيراً مع أخته لأننا لا نبقي في بيوتنا إلا أسلاب المعارك. لقد أعدنا للأخ أخته، وإذا ما عمل صلاح الدين بقول عمر بن الخطاب، فلكي يعمل ريكاردوس بقول عندكم: «أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله» فرداً أيها الملك الأرض التي اغتصبتها إلى أصحابها، عملاً بوصية السيد المسيح عليه السلام ❑

من تاريخ سوريا في العصور الحديثة – نادر العطار

كان المسلمون طيلة عهدهم لا يعرفون نظاماً غير الخلافة، حتى الذين أسلموا في نيجيريا المحاطة بالكفار، والبعيدة عن الخلافة العثمانية المتعذر عليهم الاتصال بها، عندما أرادوا تنظيم حكم إسلامي لهم، اختاروا الخلافة اسماً لنظامهم وهذا ما تدل عليه هذه الوثيقة المتعلقة بالخلافة في نيجيريا سنة ١٨٠٤م. (الوعي).

الخلافة في نيجيريا

ذكرت صحيفة الشرق الأوسط في ٢٧ يونيو ٢٠٠٤ خبراً بعنوان: المسلمون في نيجيريا يحتفلون بالذكرى الـ٢٠٠ للخلافة الإسلامية فيها، ومما جاء في هذا الخبر عن الاحتفال ويعبر عن عميق محبة وفقدٍ للخلافة:

«يحتفل المسلمون في نيجيريا هذا الأسبوع بالذكرى الـ٢٠٠ لميلاد «خلافة سوكوتو» التي وحدت المناطق المأهولة بالسكان التي يقطنها المسلمون في شمال البلاد تحت سلطة مركزية إسلامية في العام ١٨٠٤م.

وأكد الرئيس النيجري أولاسيغن أباسانغو في خطاب ألقاه نيابة عنه نائب الرئيس أتيكو أبو بكر أثناء الاحتفالات بالمناسبة التي تستمر حتى يوم الأحد المقبل، إن الخلافة كانت مثالاً رائداً لإعادة تثبيت مبادئ العدالة في الحكم. وأضاف أن المبادئ التي وضعها مؤسسو الخلافة، لاتزال صالحة لظروفنا الحالية.

وناشد بخاري جانيد وزير سوكوتو الحالي المسلمين في نيجيريا البقاء أوفياء لمبادئ الخلافة القديمة التي ازدهرت حتى غزو البريطانيين لها عام ١٩٠٣م. وأضاف أن تجربة الخلافة أسست لنفوذ المسلمين وقوتهم في البلاد. وصرح لموقع «إسلام أونلاين» على الإنترنت أن «الخلافة لعبت دوراً قوياً في بعث الحضارة العربية في منطقة غرب أفريقيا». وقال إن الخلافة كانت مثالاً جيداً للتجربة الأفريقية في إدارة دولة إسلامية.

وضمت الخلافة ثلاثين إمارة اعتمدت في إدارتها للقضاء على أسس مذهب الإمام مالك، وساعدت في توحيد القبائل والممالك في غرب السودان في ظل إدارة واحدة. وتحتل سوكوتو موقعاً فريداً في تاريخ نيجيريا، حيث بدأ فيها العالم الإسلامي اللامع عثمان دان فوديو جهوده لتجديد الفكر الإسلامي وتوحيد مناطق السكان الناطقين بلغة الهوسا تحت ظل إدارة واحدة مركزها المدينة.

وثيقة تاريخية مهمة

لو استمرت بريطانيا إلى آخر مداها لكانت بريطانيا مسلمة!

نشرت جريدة الرأي الأردنية، في ١٩٧٨/١١/٩م، نصاً حرفياً لوثيقة تاريخية هامة، يكشف عنها المؤرخ البريطاني (**Gabriel Rany**) في كتابه (**The Tatars Khan's English**) الذي صدر سنة ١٩٧٨ في بريطانيا. وقد قامت صحيفة الصنداي تايمز بنشر هذا الجزء من الكتاب في عددها الصادر في ١٩٧٨/١٠/٢٢م، وهو جزء يبين جانباً تاريخياً مهماً، وهو أن ملك بريطانيا (جون لاكلاند) قدّم بريطانيا إلى المسلمين كي تعتنق الإسلام أو تدفع الجزية وكي تكون تابعة للدولة الإسلامية، غير أن الزعيم العربي (محمد الناصر) رفض هذا العرض؛ لأنه اعتبر ملك بريطانيا أحمق ولا يستحق التحالف معه.

ستكون صدمة لكل من تأثر بـ(غزو) العرب الحالي للعاصمة البريطانية لندن، ذلك أن لحظةً حاسمةً من التاريخ البريطاني كانت ستقرر مصير الاعتقاد الديني السائد، فلولا الصدفة وحدها لأصبحت بريطانيا المسيحية بلداً مسلماً منذ ثمانية قرون. ففي عام ١٢١٣م، وبحركة يائسة من الملك جون لاكلاند، أرسل وفداً سرياً من ثلاثة أشخاص إلى الأمير محمد الناصر الحاكم المغربي القوي ليعرض له ولاءه، وليعده بأنه سيكون -أي الملك جون لاكلاند- تابعاً مخلصاً فيما إذا قبل الأمير أن تكون بريطانيا تحت الرعاية العربية، وليؤكد له أن الدخول في الإسلام هو المخرج من ضغط المشاكل السياسية التي كانت تلح عليه.

لقد وقع بالصدفة بين يدي النص الحرفي لما حمله الوفد في دورية قديمة كانت تصدر في ذلك الوقت عن أحد الأديرة عندما كنت أجري أبحاثاً عن الكاهن الكاثوليكي (روبرت دي لندن) الذي كان قد صدر بحقه حرمان كنسي ونفي من بريطانيا بسبب دوره في ثورة الماغنا كارته.

هذه الحلقة الواقعية المنسية من التاريخ البريطاني سجّلها ماينو باريس المؤرخ الإخباري الدقيق لأحداث القرن الثالث عشر، الذي أخذ حقائقه واستقاها من مصادرها. وحسب ما يقول باريس إن رجال الوفد الثلاثة كانوا مكونين من البارونين: توماس هارنجتون ورالف فيتو نيكولاس، والسيد

روبرت دي لندن. غير أن باريس لم يقدم أي تفسير لضم الكاهن اللندني للوفد، إلا أن السبب الأكثر ترجيحاً هو أن الملك جون لاكلاند عهد إلى السيد روبرت بإدارة شؤون أبرشيته الخاصة؛ ولذلك فهو من المقربين والموثوقين، وبالتالي فإن إشراكه في الوفد يشكل ضمانة ضد البارونين كي لا يمارسا عليه خداعاً أثناء تأدية المهمة.

وكان توماس هاردنجتون رئيس الوفد قد أعطي تعليمات من قبل الملك ليبلغها إلى أمير أفريقيا العظيم وأمير المغرب وإسبانيا بأنه -أي الملك البريطاني- سيتنازل طواعية وعن طيب خاطر عن مكانته ومملكته ويصبح تحت تصرف الأمير العظيم، وإذا كان يسره فإنه يضع بريطانيا أمانة بين يديه، ويتخلى عن الاعتقاد بالديانة المسيحية ويتمسك ويلتزم بكل إخلاص بدين وعقيدة محمد، ونقلت رسالة الملك جون أو تعليماته إلى الأمير بواسطة مترجم حيث كان رئيس الوفد يتحدث بمهارة خطابية هائلة عن غنى الأرض الإنجليزية وخصوبة حقولها ومهارة شعبها العظيم الحاذق الخلاب، ومعرفة هذا الشعب للغات الثلاث: اللاتينية والفرنسية والإنجليزية، وإتقانهم لكل مهنة عقلانية أو ميكانيكية، وكان رد الأمير المغربي المسلم رداً حصيفاً جاء فيه: «لم أقرأ أو أسمع قط أن ملكاً يمتلك مثل هذه البلاد المزدهرة الخاضعة المطيعة له عن طواعية يقوم بتدمير سيادته واستقلاله بجعل بلده الحر يدفع الجزية لغريب، علماً أنها يجب أن تكون ملكه له وحده، وبتحول السعادة إلى بؤس فيسلم نفسه لإرادة آخر ويهزم بلده دون سبب» ثم يرفض الأمير المسلم عرض الملك جون في اعتناق الإسلام؛ لأنه «ملك ضيق الأفق والتفكير وأحمق وخرف وغير جدير بتحالف معي!».

وطلب الأمير من أعضاء الوفد أن لا يمثلوا في حضرته ثانية، ولدى عودتهم إلى بريطانيا (بكى الملك جون لأن مساعيه قد أحبطت) وربما اعتقد أن باروناته قد خدعوه وخافوه، لكنه وضع الكاهن اللندني مسؤولاً عن جميع شؤون دير القديس البانز كمكافأة له. غير أن مسؤولياته عن هذا الدير انتهت؛ لأن الرهبان رشوا الملك لإزاحته بسبعماية من الماركات الفضية.

(المارك وحدة نقدية إنكليزية قديمة تعادل ١٣ شلناً و٤ بنسات)

ظهور الدولة الإسلامية

كدولة أولى في العالم بدون منازع

إن وجود الدولة الإسلامية يعني أنها الدولة الأولى، أو التي تنافس على مركز الدولة الأولى، ولا يمكن أن توجد الدولة الإسلامية ولا تُنافس أو تُنازع مطلقاً، أو ترضى الدولة الإسلامية أن تكون تابعاً لغيرها، أو تقبل أن تكون وصيفة، فوجودها يعني أنها الأولى أو التي تنافس لتكون الأولى، وليست دولة إسلامية تقبل أن تكون وصيفة أو تابعة، وشعار دولة الإسلام وشعار كل مسلم:

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

أرسل رسول الله ﷺ الرسل يحملون رسالة محددة بخطاب لا لبس فيه، ألفاظه لا تحتمل أكثر من معنى بل واضحة كل الوضوح، فالدولة الفتية التي بناها الرسول ﷺ عمرها ست سنوات، ومكة ما زالت تحمل العداء، وأطراف من القبائل العربية دخلت في حلف المصطفى، ومع ذلك لا بد من أن تكون الصورة واضحة جلية، ولغة الخطاب لغة القوي الواثق وليست لغة المستجدي ولا الخائف، نعم إن هرقل هو عظيم الروم، ومع ذلك كان الخطاب له بنفس القدر من القوة والوضوح لغيره، وإليك النص (**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل قيصر الروم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن تتولَّ فإن إثم الأكاريين (الأريسيين) عليك:** ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾** ﴾[آل عمران ٦٤].

ودولة الروم في ذلك الوقت هي الدولة الأولى في العالم وهرقلها هو الحامي للدين وتنافسها فارس، ومع ذلك كان الخطاب لفارس بنفس القوة والثقة ولو كان المخاطب كسرى، وإليك نص رسالة الرسول ﷺ لكسرى، (من محمد بن عبد الله إلى كسرى عظيم فارس، السلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأدعوك بدعاية الله عز وجل، فإني رسول الله إلى الناس

كافةً ولأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وأسلم تسلم فإن توليت فإن إثم المجوس إليك) ولا يهم إن غضب كسرى، فهمُّنا ليس غضب كسرى بل همنا رضوان الله عز وجل فحسب.

وأمام هذا الكلام لنا الملاحظات التالية:

أولاً:

إن الرسائل إلى الملوك تعتبر خطاباً يعبر عن وجود كيان دولة له دوافع للمزاحمة، فالرسائل التي بعث بها المصطفى ﷺ إلى الملوك والرؤساء تدل على أن هذه المزاحمة مزاحمة قوية، فالخطاب وهو (أسلم تسلم) ليس خطاب ودّ لنيل صداقة أو لبناء علاقة أو لتجنب أذىً، بل هو صيغة إخضاع وطلب طاعة، فكانت رسائله إلى الملوك هي بداية المزاحمة وقد كانت هذه الرسائل على الأغلب في العام السابع للهجرة.

ثانياً:

إن المزاحمة تقتضي الجدية ووضوح الخُطة والطريقة بل والدفاع عن موقعه في هذه المزاحمة، وإن لم يفعل ما يجب عليه فعله كان البون واسعاً شاسعاً بين قوله وفعله، وبقي كلامه في دائرة الكلام لا يتعداه، بغض النظر عن تسميته لنفسه أو لدولته.

لقد بعث المصطفى ﷺ بعثاً عليهم كعب بن عمير الغفاري إلى أرض الشام، فقُتلوا خلا واحداً عاد وأخبر الرسول بما فعل أهل الشام، ثم تعرض شرحبيل بن عمرو الغساني رسول الرسول ﷺ إلى القتل أيضاً في الشام. فكان الردّ من الذي يُزاحم على مركز الدولة الأولى أو الذي دخل إلى بؤرة الصراع أن جهّز جيشاً في العام الثامن للهجرة ليذهب هذا الجيش إلى الروم و يؤدبهم... فكانت معركة مؤتة.

لقد جاءت معركة مؤتة في الوقت الذي كان فيه الروم في أوج قوتهم وزهوهم، بل كانوا مع هرقل في بيت المقدس في زيارة الشكر لأنهم انتصروا على الفرس لتوهم، وكانت هذه رداً على انتصار الفرس عليهم قبل سنين حين شمت الكفار بالمسلمين في مكة ونزلت سورة الروم ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ ﴾ [الروم ٢-٤] وها هي قد انتهت وجاءت البشرى وانتصر الروم.

ورغم ذلك لم تختلف الحسابات بل كان الأمر واضحاً من أن مقتضيات عمل الدولة التي تزاحم أن تفرض نفسها فرضاً بغض النظر عن واقع حال الدولة الأخرى... ثم جاء بعد ذلك خبر إلى المدينة يفيد بأن هناك تجمع لأعوان الروم من العرب المتنصرة يريدون أطراف المدينة، فجهز المصطفى ﷺ جيش العسرة في العام التاسع للهجرة وكان جيشاً عرمرماً لم تألفه الجزيرة من قبل إذ إنه كان يحوي ثلاثين ألفاً منهم عشرة آلاف فارس.

وجزاء هذه الأعمال العسكرية أصبح لهذه الدولة التي تزاحم حزاماً أمنية أو مجالاً حيوياً يمتد من جرش في الأردن ثم البلقاء

حتى خليج العقبة غرباً إلى دومة الجندل شرقاً.

ولم يتوقف هذا الأمر عند ذلك الحد، إذ إن التوقف بحد ذاته للدولة التي تزاحم هو انهزام وانحسار. فشحنت أربعة جيوش في العام الثاني عشر للهجرة لفتح بلاد الشام ثم كانت الخاتمة لهذه الفتوح في اليرموك في ٥ رجب سنة ١٥هـ الموافق ٦٣٦/٨/١٢م، فانحسرت دولة الروم إلى أدنى حدودها بعد أن كانت قبل أعوام قليلة هي الدولة الأولى.

و قد كان هذا الانحسار بعد هزيمتها وانكسار شوكتها، فهي وإن بقيت دولة فإن تأثيرها في الموقف الدولي قد انتهى كدولة كبرى، و لكن تأثيرها الإقليمي في مجالها الغربي في دول البلقان بوصفها الراعي الديني بقي على حاله.

إن معركة اليرموك تعتبر بحق معركة عالمية فاصلة كان لها ما بعدها، أو قل إن شئت إن ما بعدها كان أهم، فسقوط النفوذ الروماني في بلاد الشام أسقط معه دولة الغساسنة التي كانت أداة لإمبراطور القسطنطينية هذا في بلاد الشام... أما بالنسبة لمصر فإنه قد فتح الباب على مصراعيه للمسلمين لفتحها بعد أن سقط الغطاء الروماني عن بلاد الشام فسقط عنها تلقائياً.

لقد كانت الدولة الإسلامية في موقع المزاحمة مع دولتين وليس مع دولة واحدة، فلقد تزامنت المعارك في بلاد الشام مع المعارك في العراق، فجيوش تحارب الروم في الشام، و جيوش تحارب الفرس وأعوانهم في العراق، وهذا يدل على أن هذه المزاحمة في وضع لا تُقبل فيه أنصاف الحلول أو المعاهدات.

واستمرت المعارك من السنة الثانية عشرة لا تهدأ في موقع إلا و تستعر في موقع غيره حتى كانت معركة القادسية في ١٣ شعبان سنة ١٥هـ الموافق ١٩/ ٦٣٦/٩م.

وبالتمعن في تاريخ كل من معركة اليرموك ومعركة القادسية يرى أن الفارق بينهما كان سبعاً وثلاثين يوماً فقط، وهو زمن لا يُكاد يُصدق للوهلة الأولى، فإنهما تعتبران معركتين عالميتين بكل ما تعنيه الكلمة.

كان لابد من القراءة السياسية للأحداث وتسلسلها حتى تكون الخلاصة التي نبغيها ونطلبها خلاصة تعبر عن قراءة أحداث ولا تعبر عن سرد وقائع تاريخية.

إن قراءة الأحداث ومواقف رسول الله ﷺ ومن بعده أبو بكر وعمر تشير إلى أن هذا الصراع والمزاحمة كانت جدية بكل المعاني وبكل قراءة للأحداث، أكان القارئ لهذه الأحداث مسلماً أم غير مسلم، أما المستشرقون فهم وإن لم يقدروا على تحريف أو تزييف هذه القراءة لهذه الأحداث فقد عمدوا إلى الدس والتحريف والتزييف في سرد الوقائع والدوافع.

هناك فرق بين قراءة الأحداث وبين سرد وقائع التاريخ، فإن أي حدث دقيق يتم سرده كحادث حدث يمكن أن يُزاد عليه أو ينقص

منه.

أما قراءة أحداث التاريخ فإنه يقرأ وفق ضوابط من زاوية نظر محددة. فأي قائد عسكري يقرأ وقائع المعركة التي حدثت، فإنه كعسكري ومن خلال علمه العسكري قد قرأ هذه الأحداث قراءة لم يلغِ عقله وعلمه، وهو يقوم بدراستها بغض النظر عن حبه أو كرهه، فلم يقبل أحد لا من المسلمين أو من غيرهم أن عمل خالد في مؤتة هو عمل جبان أو أن تخطيط خالد كان ينم عن جهل وهكذا.

لقد أصبحت الدولة الفتية في المدينة ابنة الخمسة عشر عاماً هي الدولة الأولى في العالم بلا منازع بعد معركة القادسية لا بل وقُل وأنت مطمئن بقولك إنه لم تعد هناك دولة تزاحم هذه الدولة الفتية.

فالدولة الرومانية قد رضيت بما نالته من هزيمة في اليرموك فعادت وانحسرت داخل محيطها، والفرس تراجعوا تحت ضغط جيوش المسلمين التي لم تكتفِ بهزيمتهم في القادسية بل تتابعت هذه الانتصارات حتى وصلت إلى المدائن وداست عرش كسرى بسنابك خيلها.

وكذلك الأمر مع الرومان، فلم تتوقف الجيوش عن الاندفاع في شن هجومها عليهم بعد اليرموك حتى وصلت إلى القسطنطينية وحاصرتها، ودفن أبو أيوب على أطراف سورها ليعود غيره.

إن الدولة الفتية قد قامت على أساس حمل الإسلام قيادة فكرية للعالم، وهذا الأمر يقتضي دوام الحركة، وهذا ما فعله الرسول المصطفى ﷺ منذ وصوله إلى المدينة فكان يبعث السرايا ويقود الغزوات ويبعث الرسائل، وكلها تدور في دائرة خدمة المبدأ وطريقته العملية في نشره.

وبقي الخلفاء من بعده ﷺ ينتهجون نهجه في نشره لهذه الدعوة، فلم تتوقف الجيوش بل كانت في حال هجوم دائم وغيرها في حال انحسار وتراجع، فهي وإن كسبت معركة تحاول استثمار هذا الانتصار لصالح المبدأ فتنتقل من عليّ إلى أعلى في حركة دائبة حتى يكون النصر منتجاً لنصر، ولا يكون النصر مدعاة لخمول أو لدعة أو لتجمّد، فالناظر الذي يقرأ الأحداث يرى أن دوام الحركة هو الطابع السائد و السمة لهذه الدولة.

ثالثاً:

لقد انتهت مرحلة المزاحمة التي قامت بها هذه الدولة الفتية، وأصبحت هي الدولة الأولى بلا منازع، ولم تعد هناك قوة تقف في وجهها أو تنافسها لا على موقعها ولا على مركزها.

وهنا نحاول أن نلقي الضوء على نجاح هذه الدولة واستمرارها كدولة أولى بدون منازع، منذ معركة القادسية ليوم سقوط القدس في أيدي الصليبيين، وظهورهم كمنازع و منافس سنة ٤٩٢هـ - ١٠٩٧م و هذا يعني ٤٧٧ سنة هجرية أو ٤٦١ سنة ميلادية، وهذا زمن ليس بالقليل، فكيف حافظت هذه الدولة على هذا

الموقع طيلة هذه السنين؟...

إن الوصول إلى مركز الدولة الأولى هو أمر صعب جداً، و لكنّ الأصعب منه فعلاً هو المحافظة على هذا الموقع طيلة سنين عديدة دون وجود مجرد منافس لهذه الدولة.

ومع محاولة دراسة هذه العوامل نرى:

١- إن هذه الدولة قد حملت الإسلام كمبدأ لها بطريقته العملية، وهو الجهاد لكسر الحواجز المادية التي تقف في وجه هذه الدعوة، وحمل الإسلام قيادة فكرية للعالم، وليس لأجل سلب العالم المفتوح ثرواته وامتهان أهله أو إذلالهم وإنما لحمل النور لهم.

بعكس غير المسلمين حين انتصروا على غيرهم فقد سلبوهم ثرواتهم وطمسوا ما علا لهم وأذلوهم واستعبدوهم وعاملوهم بكل قسوةٍ، وقد اعتبر المنتصرُ المهزومَ عبداً له يفعل به ما يشاء، وأما المسلمون فإن جهادهم كان لكي تصل هذه الدعوة إلى الناس دون إكراه أو تهديد و قيدهم خطاب ربهم لهم: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة ٢٥٦] فلا يكره أهل البلد المفتوح على تغيير دينهم.

٢- صهر كل من دخل الإسلام في بوتقته فلا توجد قومية عربية أو أعجمية أو فارسية، و لا يوجد عرق أبيض أو أحمر أو أسود، فكان كل من دخل الإسلام أصبح مسلماً، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ولا فرق بين هذا وذاك إلا بالتقوى.

وهذا ما حدث و لم يألفه العالم من قبل ولم تسمع به الأمم، كل من دخل الإسلام أصبح هو نفسه المدافع عنه والحامي له، حتى الذين دخلوه من غير العرب كالبخاري ومسلم. و قد كانت المؤاخاة في العقيدة في قول الحق ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [الحجرات ١٠] هي الصورة الحقيقية لهذا الصهر في بوتقة المبدأ فكانوا جراء ما حملوا هم الكل الشعوري، وهم الأولياء في النصرة.

لقد كانت العقيدة الإسلامية والولاء لها هي الرابطة الأقوى دون غيرها من روابط الجنس والأرض واللون واللغة والمصالح والحدود، ودفعت هذه العقيدة حامليها على الرغم من اختلاف أعراقهم وألوانهم بأن يتوحدوا في الدفاع عنها، فتكونت هذه الكتلة المتجانسة المصهورة في بوتقة المبدأ، فأنتجت حضارة وأنبتت دولة لم يوجد منازع ومنافس لها طيلة ٤٧٧ عاماً.

لقد اجتمع داخل هذا المجتمع المتنافس العربي والفارسي والرومي والبربري والتركي والهندي والصيني والأفريقي، وحملوا نفس الأفكار والمفاهيم وتوحدوا عليها، فكانت المشاعر والأحاسيس تنبثق عن هذه المفاهيم الواحدة، وكلهم يدافعون عن الإسلام ونظامه دفاعهم عن وجودهم، ولم يكن هذا المجتمع يوماً مجتمعاً عربياً بل كان على امتداد هذه السنين هو المجتمع الإسلامي، ولم تكن هذه الحضارة يوماً عربية بل كانت دوماً إسلامية.

وهذا لم يكن معلوماً أو معروفاً عند أهل هذه الأمم، فعندما قارنوها بالروم أو الفرس وجدوا الفرق، فلقد كانت إمبرطورية الروم

قبل الإسلام قد تضمنت أجناساً متعددة ولغات كثيرة وألواناً وشعوباً وقبائل وأراضٍ واسعة، ولكنها لم تقم على أساس عقيدة واحدة أو ولاءٍ واحد، فلقد كانت على أساس طبقي، أشراف وعبيد، أو كل تجمع عنصري على أساس سيادة العِرق الروماني أو سيادة الجنس الفارسي، وقد كان هذا المجتمع مختلف المشارب ومتعدد الولاءات، فانهار بعد معركة واحدة كبرى ولم يكن عنده القدرة على احتمال الضربات المتلاحقة لهشاشته.

ونحن اليوم نرى في التاريخ الحديث تجمعاً يشبه التجمع الروماني والفارسي كالإمبرطورية البريطانية فإنها قامت على أساس الاستغلال والاستعباد؛ فهو تجمع لا يهمه إلا صالح التاج، وكذلك الإسبان والفرنسيين وغيرهم... وهم وإن وصلوا إلى مرتبة الدولة الأولى أو المنافس والمنازع لها لكنهم لم يحافظوا على مركزهم هذا، بل ولم تكن عندهم القوة والصلابة والقدرة على الاستمرار في كونهم دولة أولى أو دولة تنازع وتنافس الدولة الأولى.

وبعكس الرومان تماماً، قام في التاريخ الحديث تجمع آخر وهم الشيوعيون فهم تخطوا حواجز العرق واللون والقوم والأرض واللغة، ولكنّ هذا التجمع لم يقم على أساس عقيدة وولاء واحد بل على أساس الطبقية لمحاربة طبقة الأشراف والإقطاع والرأسمالية، وقد سادته عاطفة الحقد الأسود على كافة الطبقات. ورغم وصوله لمركز المنازع والمنافس على مركز الدولة الأولى، لكنه سرعان ما انهار كألعاب الأطفال رغم امتلاكه وسائل القوة والردع النووي، وكان عمره من ولادته لنهايته أقل من ثمانين عاماً.

وقد حاولت أميركا اليوم، وتحاول، أن تتميز عن غيرها بأن توجد نوعاً مختلفاً من الإمبراطوريات التي سبقتها، وذلك بجعل من يحمل جواز سفرها أو تابعها يتميز عن غيره من البشر بأنه لا يحاكم ولا يُقاضى على غير أراضيها، وأن لها الحق في التدخل في كل الدول، وليس لأي دولة الحق بأن تتدخل بأي شيء في أميركا.

وعلى الرغم من امتلاكها الكثير من أسباب القوة ولكنها تفتقد مقومات المجتمع في داخلها؛ وهي وإن بدت في الخارج، من خلال طائراتها وسفنها، قويةً متماسكةً، فإن في داخلها انهياراً حقيقياً لكل المثل العليا والقيم والأخلاق، هي وإن كانت الدولة الأولى بلا منازع، فإنها تحمل في داخلها أسباب انهيارها.

إن أميركا بكل ما تملك من أسباب القوة والمال والتكنولوجيا، فإنها لم تستطع معالجة مشكلة اختلاف الأعراق والألوان والجنس واختلاف المشارب وتعدد الولاءات، فعلى الرغم من اجتماعهم في أميركا وحملهم لجواز سفرها فما زالت مشكلة الأقليات قائمة فيها.

بعكس دولة الإسلام التي قامت و أشرقت أنوارها في كل مكان، فلم تكن

فيها أي مشكلة لا لأقليات ولا لقوميات ولا للون أوجنس، فالصهر في بوتقة المبدأ هو الذي حل هذه المشاكل بل وأوجد هذا الانسجام بين كافة من دخل في دين الله من أي عرق ولون.

٣- تطبيق الإسلام بحذافيره على الأمم و الشعوب التي دخلت تحت سلطان الإسلام، وليس هناك من هو فوق الحكم الشرعي بل كل رعايا الدولة تحت الحكم الشرعي، والكل أمامه سواء، فلا شريف ولا حقير ولا رفيع ولا وضيع. وقد كانت سياسة الدولة، أو كما يُقال بلغة اليوم خطاب السياسة الداخلية، لهذه الدولة كما شرحه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قوله: «قد وُليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، القوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف عندي قوي حتى آخذ الحق له».

كان هذا هو الإطار العام لسياسة الدولة الداخلية والتي تحمي وتصون الأعراض والأموال والنفس والعلاقات وتضبطها لتتوافق مع الأحكام الشرعية، وليس هذا للمسلم وحده بل هو لكل من يحمل التابعية من مسلمين وغيرهم، والتاريخ الإسلامي على امتداده لم يعرف حادثة واحدة وقعت لأهل الكتاب على أيدي المسلمين بأنهم قد نقضوا عهداً أو خانوا أمانة، أو أنهم قد مارسوا الظلم الديني والإكراه ضد غير المسلمين.

لقد استمرت الدولة الإسلامية ٤٧٧ سنة هجرية ولم يوجد من ينافسها على مركز الدولة الأولى حتى كان العام ٤٩٢هـ الموافق ١٠٩٧م، ذلك أن الحروب لم تتوقف على ثغور الدولة المترامية الأطراف، وكان بداية التراجع في الأندلس حين سقطت طليطلة و أُخرج المسلمون منها سنة ٧٨ هـ ١٠٨٥م في الوقت الذي كانت فيه ممالك الشمال النصرانية (ممالك نافار وليون وقشتالة) تتقوّى وتتعاظم، وقد حدث قبل ذلك أن النورمان حاولوا السيطرة على البحر الأبيض المتوسط ثم تمكنوا من السيطرة على صقلية (٤٦٣هـ - ١٠٧٠م) و ظهر الضعف البحري عند المسلمين. وبحدوث هذا الضعف وجد المنافس و المنازع على مركز الدولة الأولى.

٤- إن حالة التفتت و التشرذم التي سادت الأمة الإسلامية في الأندلس والمغرب ومصر وبلاد الشام، وضعف الخليفة في العراق وعدم تمكنه من بسط نفوذه على أراضي هذه الدولة المترامية الأطراف، والانشغال عن حمل الدعوة الإسلامية، الأثر البالغ في ظهور المزاحم و المنافس بل الطامع في الدولة الإسلامية.

لقد كان لسقوط طليطلة أثر كبير عند الغرب النصراني ودوافع لهم لخطوة مقبلة ضد المسلمين، فكان هذا النصر الذي حققه النصارى دافعاً لهم حتى يتوحدوا، فكان العداء للإسلام ومحاربته سبباً أساسياً في توحدهم، إذ إن الانقسام بين الكنائس كان السمة البارزة، فقد كانت الكنيسة في روما

تعمل جاهدةً لتنسيق العمل ضد المسلمين، ولكنّ انشغال أوروبا بخلافاتها الداخلية قد أضعف من قوة الكنيسة، أضف إلى ذلك ضعف الإمبرطورية البيزنطية وهزيمتها في معركة (ملازكرد) سنة ٤٦٢هـ الموافق ١٠٧٠م أمام السلاجقة بقيادة "ألب أرسلان" وفناء الجيش البيزنطي وأسر قائده "أرمانوس" وجاء أبان هذا الواقع خبر سقوط طليطلة فكان لذلك الخبر دويّ هائل في كل أنحاء أوروبا.

وخلال هذه الفترة ظهرت شخصية كنسية وهو البابا "إريان الثاني" (١٠٤٢م - ١٠٩٩م) وقد كان له دور أساسي وحاسم في توحيد الجهود الأوروبية وتوجيه الحرب الصليبية، وقد انتهت جهوده بعقد مؤتمر (كلير مونت ١٨ - ٢٨ تشرين الثاني ١٠٩٥م) وحثّهم على ضرورة بذل المساعدة لإخوانهم في الشرق، وكان مما قاله (فالعالم المسيحي في الشرق التمس منه المساعدة لأن الترك مضوا في زحفهم في جوف البلاد المسيحية، وأخذوا يُسيئون معاملة السكان... ومن يلق مصرعه في المعركة يتحلل من ذنوبه ويغفر الله أخطاءه، فالحياة هنا أضحت تَعِسَة كثيرة الشرور، بعد أن أضنى البؤس أنفسهم في تدمير أجسامهم وأرواحهم... وسوف ينعمون هناك بالسعادة والرخاء ويكونون أصدقاء أوفياء لله).

وتجمع الجيش الصليبي في عيد العذراء ١٠٩٦/٨/١٥م في القسطنطينية، وقد ضمّ الجيش أفواجاً من فرنسا وإيطاليا وجمهورية جَنوى، وتحركت هذه الجموع حتى وصلت أنطاكيا واحتلتها سنة ١٠٩٨م، ثم تحركت نحو معرة النعمان ومصياف ثم اللاذقية وطرابلس حتى وصلت القدس وحاصرتها في ٧ حزيران سنة ١٠٩٩م، واستمر الحصار حتى ١٤ تموز ١٠٩٩م حيث سقطت المدينة بعد صراع مرير.

ويضيف ابن الأثير عن دخول الصليبيين القدس فيقول: «ملَكَ الفرنجة القدس ضحوة نهار الجمعة لسبعٍ بقين من شعبان، وركب السيف ولبث الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون فيه الناس، واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود فاعتصموا به و قاتلوا فيه ثلاثة أيام... و قتل الفرنج في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفا منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم».

إن سقوط القدس في أيدي الصليبيين يعتبر العلامة الفاصلة بين كون الدولة الإسلامية دولة أولى بلا منازع و بين اعتبارها دولة قد وُجد المنازع والمنافس لها بعد ٤٧٧ سنة هجرية.

إن المسافة الزمنية بين سقوط القدس سنة ٤٩٢هـ الموافق ١٠٩٩م في أيدي الصليبيين وبين دخول صلاح الدين الأيوبي القدس وانتصاره عليهم في معركة حطين سنة ٥٨٣هـ الموافق ١١٨٧م هي مسافة تقارب التسعين عاماً، وهذه الفترة كانت فترةً تتأرجح بين صلح وحرب وهدنة وقتال، وقد كانت فترة صراع

ومزاحمة، وكان كل فشل يزيد من تصميم المسلمين على النصر، فقد دفع المسلمون في حال النصر والهزيمة سيولاً من دماء الشهداء حتى تَتَوجَ ذلك بنصر الله للمسلمين في حطين.

لقد كان انتصار المسلمين في حطين نهاية فصل من فصول الصراع ومزاحمة الدولة الأولى وتصدّر الدولة الإسلامية لموقعها وعودة الأمر لما كان عليه قبل الحملة الصليبية الثانية، وبرغم استمرار وجود الصليبيين في بلاد الشام وسواحله إلا أن وجودهم بعد حطين ليس كوجودهم قبلها، فهم اليوم لا يشكلون الخطر الداهم والمحدق لدولة الإسلام.

ونستطيع القول بأن الفترة ما بين حطين حتى ظهور المغول كقوة تنافس وتهدد وتزاحم دولة الإسلام واحتلالهم بغداد سنة ٦٥٦هـ الموافق سنة ١٢٥٨م، ورغم الصراعات الداخلية التي حصلت بعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ الموافق ١١٩٣م وهي حوالى (٧٣) سنة بقيت الدولة الإسلامية دولة أولى.

وبعجالة سريعة نستعرض فيها الوضع الداخلي في بلاد الشام ومصر، فهذه الدولة انفرط عقدها بين أولاد صلاح الدين السبعة عشر، وقد جاءت حملة صليبية إلى دمياط في مصر سنة ٦١٥هـ الموافق ١٢١٨م ولكنّ الله هزمهم، ثم جاءت حملة أخرى يقودها "لويس التاسع" ملك فرنسا سنة ٦٤٧هـ الموافق ١٢٤٩م وانتصر المسلمون عليهم وأسروا "لويس التاسع"، وقد كانت السمة التي ميّزت الحقبة الزمنية كثيرة الدسائس التي كانت تحصل بين سلاطين المماليك في مصر.

بالرغم من كثرة هذه الدسائس التي حصلت إلا أن الصورة الخارجية والرهبة في قلوب الصليبيين بقيت على حالها.

إن المغول بدخولهم إلى بغداد ظهروا كمنازع آخر غير الصليبيين للمسلمين. لقد استمرت فترة المنازعة والمنافسة والمزاحمة بين المسلمين والصليبيين تسعين سنة من دخولهم القدس وحتى معركة حطين، أما التتار فإن وضعهم مختلف جداً، إذ إنهم لم يلبثوا سوى عامين اثنين حتى هزمهم الله في عين جالوت سنة ٦٥٨هـ فانطفأ نورهم وخبت نارهم.

وقد عادت الدولة الإسلامية لتكون الدولة الأولى بعد انتهاء معركة عين جالوت، ولكن الدسائس والمؤامرات لم تنتهِ بعد، فإن مكائد الحكم قد كانت تستنزف أغلب طاقاتهم بعكس الصورة الخارجية لهم، إذ إنها قد بدت أقوى بكثير من صورتهم الداخلية. وقد استمر الوضع في بلاد الشام ومصر على هذا النحو حتى سنة ٩٢٢هـ الموافق ١٥١٦م حين وقعت معركة مرج دابق بين السلطان سليم الأول العثماني و بين "قانصوه الغوري" المملوكي.

وبانتهاء معركة مرج دابق أصبحت الدولة الإسلامية المترامية الأطراف دولة قد ضُخ بها دم جديد جَدد حيويتها وجعل لهذا الجسد الكبير رأس واحد يُعرف به، وقد بايع الخليفة العباسي المتوكل السلطان سليم الأول وأصبح هو الخليفة ❑

أعداد المسلمين في دول العالم

بلغ عدد مسلمي الكرة الأرضية بحلول منتصف عام ٢٠٠٥م أكثر من مليار ونصف المليار مسلم، وهذا الرقم قريب من ربع سكان العالم الذي يزيد عن ستة مليارات نسمة. وهناك دراسة لأكاديميين يهود بأن عدد مسلمي الكرة الأرضية سوف يبلغ ثلث سكان العالم بحلول عام ٢٠٥٠م. واعتماداً على هذه الدراسة من المتوقع أن يبلغ عدد مسلمي الكرة الأرضية حوالى نصف سكان العالم في نهاية هذا القرن أي عام ٢١٠٠م. هنالك قول بأن الديموغرافيا تغير التاريخ والجغرافيا، والحقيقة أن الديمغرافيا عامل مساعد على تغير التاريخ والجغرافيا. وقد وصل إلى «الوعي» هذا التقرير عن أعداد المسلمين في العالم، وكم مسلماً يوجد في كل دولة، حيث بلغ عدد مسلمي قارة أفريقيا ٤٣٠ مليون نسمة من أصل ٨٨٥ مليون نسمة أي حوالى ٤٨٪، وعدد مسلمي قارة أميركا الشمالية والجنوبية وقارة أوروبا بما في ذلك روسيا يزيد عن ٥٠ مليون نسمة، بينما مسلمي شبه القارة الهندية (الهند، باكستان، بنغلادش، بما في ذلك أفغانستان) يبلغ ٤٦٨ مليون نسمة من أصل مليار وأربعمائة وخمسة عشر مليوناً أي الثلث. وهذا شرح مفصل لأعداد المسلمين في الدول:

أعداد المسلمين في دول العالم			
اسم الدولة	عدد السكان (آلاف)	المسلمين (٪)	عدد المسلمين (آلاف)
أثيوبيا	٧٣,٠٠٠	٤٥	٣٢,٨٥٠
أذربيجان	٨,٠٠٠	٩٣	٧,٥٠٠
الأرجنتين	٣٨,٠٠٠	٣	١,٠٠٠
الأردن	٥,٧٥٠	٩٨	٥,٥٠٠
إريتريا	٤,٦٠٠	٨٠	٣,٦٨٠
إسبانيا	٤٠,٠٠٠	١,٢٥	٠,٥٠٠
أستراليا	٢٠,٠٠٠	٢,٥	٠,٥٠٠
أفغانستان	٣٠,٠٠٠	١٠٠	٣٠,٠٠٠
ألبانيا	٣,٦٠٠	٧٠	٢,٥٠٠
ألمانيا	٨٢,٥٠٠	٤	٣,٦٠٠
الإمارات العربية المتحدة	١,٠٠٠	١٠٠	١,٠٠٠
إندونيسيا	٢٤٢,٠٠٠	٨٨	٢١٣,٠٠٠
أنغولا	١١,٠٠٠	٢٠	٢,٢٠٠

أوزبيكستان	٢٧,٠٠٠	٨٨	٢٤,٠٠٠
أوغندا	٢٧,٠٠٠	١٦	٤,٣٢٠
إيران	٦٨,٠٠٠	١٠٠	٦٨,٠٠٠
إيطاليا	٦٠,٠٠٠	٢,٥	١,٥٠٠
باكستان	١٦٣,٠٠٠	٩٧	١٦٠,٠٠٠
باناما	٢,٥٠٠	٤	٠,١٠٠
البحرين	٠,٥٥٥	٩٠	٠,٥٠٠
البرازيل	١٨٦,٠٠٠	٠,٦	١,٠٠٠
بروناي	٤٠٠	٦٠	٠,٢٤٠
بلغاريا	٧,٥٠٠	١٢,٢٠	١,٠٠٠
بنغلادش	١٤٤,٥٠٠	٨٨	١٢٧,٠٠٠
بنين	٧,٥٠٠	٢٠	١,٥٠٠
بوتان	٢,٠٠٠	٥	٠,١٠٠
بوتسوانا	٢,٠٠٠	٥	٠,١٠٠
بوركينافاسو	١٤,٠٠٠	٥٠	٧,٠٠٠
بورما	٦٠,٠٠٠	١٠	٦,٠٠٠
بوروندي	٧,٠٠٠	٢٠	١,٤٠٠
البوسنة والهرسك	٤,٠٠٠	٤٠	١,٦٠٠
تايلاندا	٦٥,٥٠٠	٥	٣,٠٠٠
تركمانستان	٥,٠٠٠	٩٠	٤,٥٠٠
تركيا	٧٠,٠٠٠	١٠٠	٧٠,٠٠٠
ترينداد وتوباغو	١,٥٠٠	١٠	٠,١٥٠
التشاد	١٠,٠٠٠	٥٠	٥,٠٠٠
تنزانيا	٣٧,٠٠٠	٣٥	١٢,٩٥٠
توغو	٦,٠٠٠	١٠	٠,٦٠٠
تونس	١٠,٠٠٠	١٠٠	١٠,٠٠٠
الجزائر	٣٢,٥٠٠	٩٩	٣٢,١٧٥
جزر القمر (كوموروس)	٨٠٠	٩٠	٠,٧٠٠

جزر المالديف	٠,٣٠٠	١٠٠	٠,٣٠٠
جزيرة الكاكاو	٨٠٠	٦٠	٠,٥٠٠
جزيرة الميلاد	١,٠٠٠	١٠	٠,١٠٠
جنوب أفريقيا	٤٥,٠٠٠	٢,٢	١,٠٠٠
جورجيا	٥,٠٠٠	١٠	٠,٥٠٠
جيبوتي	٠,٥٠٠	١٠٠	٠,٥٠٠
رواندا	٨,٠٠٠	١,٢٥	٠,١٠٠
روسيا	١٤٣,٥٠٠	١١	١٥,٠٠٠
رومانيا	٢٢,٥٠٠	١	٠,٢٥٠
زائير	٦٠,٠٠٠	١٠	٦,٠٠٠
زامبيا	١١,٠٠٠	١٥	١,٦٥٠
زمبابوي	١٣,٠٠٠	١,٠	٠,١٣٠
ساحل العاج	٢٠,٠٠٠	٦٠	١٢,٠٠٠
سنغافورة	٤,٥٠٠	١٥	٠,٧٠٠
السنغال	١١,٠٠٠	٩٤	١٠,٣٤٠
سوازيلاند	١,٠٠٠	١٠	٠,١٠٠
السودان	٤٠,٢٠٠	٧٠	٢٨,٤٠٠
سوريا	١٨,٥٠٠	٨٠	١٧,٠٠٠
سورينام	٠,٥٠٠	٢٥	٠,١٢٥
السويد	١٠,٠٠٠	٥	٠,٥٠٠
سيراليون	٦,٠٠٠	٦٠	٣,٦٠٠
سيريلانكا	٢٠,٠٠٠	٧,٥	١,٥٠٠
الصحراء الغربية	٠,٢٥٠	١٠٠	٠,٢٥٠
صربيا ومونتنيغرو	١١,٠٠٠	١٩	٢,٠٠٠
الصومال	٨,٦٠٠	١٠٠	٨,٦٠٠
الصين	١,٣٠٠,٠٠٠	٢	٢٦,٠٠٠
طاجيكستان	٧,٠٠٠	٨٥	٦,٠٠٠
العراق	٢٦,٠٠٠	٩٩	٢٥,٥٠٠

عُمَان	٢,٥٠٠	١٠٠	٢,٥٠٠
غابون	١,٥٠٠	١	٠,٠١٥
غامبيا	١,٥٠٠	٩٠	١,٣٥٠
غانا	٢١,٠٠٠	١٦	٣,٣٦٠
غويانا	١,٠٠٠	١٥	٠,١٥٠
غينيا	٩,٥٠٠	٨٥	٨,٠٠٠
غينيا بيساو	١,٥٠٠	٥٠	٠,٧٥٠
فرنسا	٦٠,٠٠٠	١٠	٦,٠٠٠
الفلبين	٨٨,٠٠٠	٥	٤,٥٠٠
فلسطين	٦,٠٠٠	١٠٠	٦,٠٠٠
فيجي	١,٠٠٠	١٢	٠,١٢٠
قبرص	٠,٧٨٠	١٨	٠,١٤٠
قطر	٠,٥٠٠	١٠٠	٠,٥٠٠
قيرغيزستان	٥,٠٠٠	٨٠	٤,٠٠٠
كازاخستان	١٥,٠٠٠	٥٠	٧,٥٠٠
كامبوديا	١٢,٠٠٠	١	٠,١٢٠
كاميرون	١٦,٥٠٠	١٦	٢,٦٤٠
كرواتيا	٤,٥٠٠	١,٥	٠,١٠٠
كندا	٣٢,٠٠٠	١	٠,٣٠٠
الكونغو	٣,٠٠٠	١٥	٠,٤٥٠
الكويت	١,٠٠٠	١٠٠	١,٠٠٠
كينيا	٣٤,٠٠٠	١٠	٣,٤٠٠
لبنان	٤,٥٠٠	٦٥	٣,٠٠٠
الجماهيرية الليبية	٥,٧٥٠	١٠٠	٥,٧٥٠
ليبيريا	٣,٥٠٠	٢٠	٠,٧٠٠
مالاوي	١٢,٠٠٠	٣٠	٣,٦٠٠
مالطا	٠,٤٠٠	١٥	٠,٠٦٠
مالي	١٢,٠٠٠	٩٠	١٠,٨٠٠

ماليزيا	٢٤,٠٠٠	٥٢	١٢,٥٠٠
مانغوليا	٣,٠٠٠	٤	٠,١٢٠
مايوتي	٠,١٢٠	٩٩	٠,١٢٠
مدغشقر	١٨,٠٠٠	٧	١,٢٦٠
مصر	٧٧,٥٠٠	٩٤	٧٢,٥٠٠
المغرب	٣٣,٠٠٠	١٠٠	٣٢,٦٧٠
مقدونيا	٢,٢٠٠	٣٠	٠,٧٢٠
المملكة السعودية	٢١,٠٠٠	١٠٠	٢١,٠٠٠
المملكة المتحدة (بريطانيا)	٦٠,٠٠٠	٣	١,٨٠٠
موريتانيا	٣,٠٠٠	١٠٠	٣,٠٠٠
موريتيوس	١,٥٠٠	٢٠	٠,٣٠٠
الموزمبيق	١٩,٥٠٠	٣٠	٥,٨٥٠
ناميبيا	٢,٠٠٠	٥	٠,١٠٠
النروج	٤,٥٠٠	٢	٠,١٠٠
نيبال	٢٨,٠٠٠	٤,٢	١,٠٠٠
النيجر	١٢,٠٠٠	٨٠	٩,٦٠٠
نيجيريا	١٣٠,٠٠٠	٥٠	٦٥,٠٠٠
الهند	١,٠٨٠,٠٠٠	١٤	١٥١,٠٠٠
هولندا	١٦,٥٠٠	٥,٥	١,٠٠٠
هونغ كونغ	٠,٨٠٠	١	٠,٠٧٥
جمهورية وسط أفريقيا	٤,٠٠٠	١٥	٠,٦٠٠
الولايات المتحدة الأميركية	٣٠٠,٠٠٠	٢,٥	٧,٥٠٠
اليابان	١٣٠,٠٠٠	١	١,٣٠٠
اليمن	٢١,٠٠٠	١٠٠	٢١,٠٠٠
اليونان	١٠,٠٠٠	١,٥	٠,١٥٠
مجموع عدد جماهير المسلمين في العالم:			١,٥٠٨,٢٨٠

ملاحظة: توجد بعض الأرقام غير الدقيقة وغير الصحيحة، وهي قليلة لا يعتد بها... لذلك حافظنا عليها تماماً كما وردت لـ«الوعي» ❑

المانع من النصرة
في طريقه إلى الزوال

شريف عبد الله

يرى كثير من الذين يتابعون ما يجري على الساحة من أحداث أن هذه الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين بدعوى محاربة الإرهاب لا قِبل للمسلمين بها، وبالتالي فإن الحديث عن إقامة الخلافة الإسلامية حديث الذين يسبحون في الخيال والذين لا يعيشون الواقع، وإنهم واهمون «كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه». وتراهم يسوقون لك أن ما يرونه هو رؤية واقعية لمجرى الأحداث.

إن هذه الرؤية هي في مجملها رؤية اليائس ضعيف الإيمان الذي لا يبصر بنور الله. والعجيب أن هؤلاء اليائسين، الذين يريدون تيئيس الأمة في قدرتها على النصر في هذه المعركة وعودتها عزيزة مرهوبة الجانب كما كانت طوال ثلاثة عشر قرناً سابقاً، هم في الأغلب ممن يقدمون أنفسهم للأمة كعلماء ومفكرين يحملون راية الإسلام، فتراهم يقولون: «نحن أيضاً نريد الخلافة مثلكم، ولكن أين نحن والخلافة؟...».

إن أمثال هؤلاء يرون الخلافة بعيدة ونراها قريبة، إنهم ترتعد فرائصهم من أميركا وأزلامها من الحكام العملاء ونحن لا نخاف في الله لومة لائم. إن شاء الله، إنهم قد نفضوا أيديهم من الأمة، ونحن نعمل مع الأمة وبالأمة لنعيد لها مجدها الضائع بإعادة الخلافة الإسلامية التي بشرنا رسول الله ﷺ بعودتها على منهاج النبوة: «...**ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة**»... ولكن أكثرهم لا يفقهون.

لقد قام في الأمة منذ أكثر من خمسين عاماً حزب سياسي مبدؤه الإسلام، وأدرك منذ اللحظة الأولى أن غياب الكيان السياسي الذي يمثل الأمة تمثيلاً حقيقياً «الخلافة» هو السبب الرئيسي في حالة الانحطاط التي أصابت الأمة، وجعلت باقي الأمم تتكالب عليها كما تتكالب الأكلة على قصعتها، فحدد -أي الحزب- الغاية التي يسعى إليها تحديداً دقيقاً واضحاً وهي إعادة الكيان السياسي للوجود مرة أخرى.

ومن ثم نظر في سيرة النبي ﷺ فرأى أنه ﷺ قد أنشأ جماعة تؤمن بإقامة المجتمع الإسلامي وبإقامة الدولة الإسلامية، خاض بها صراعاً فكرياً مع عقائد الكفر والأفكار الفاسدة والعادات البالية، وكفاحاً سياسياً مع زعماء الكفر، وأدرك الحزب أن طلب النبي ﷺ للنصرة بعد ذلك لم يكن فعلاً مجرداً من الدلالة الشرعية، إنما هو من أحكام الطريقة التي ينبغي السير فيها حتى يمنّ الله عز وجل علينا بإعادة الخلافة، كما منّ الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ عندما ساق له ذلك الحي من الأنصار، فآزروه ونصروه وهاجر إليهم النبي ﷺ وأقام الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة.

هذا الحزب هو حزب التحرير، وهو الحزب الذي يرشح نفسه لنيل شرف إقامة الخلافة الراشدة الثانية إن شاء الله. وبرغم أن للحزب أكثر من خمسين عاماً من العمل الدؤوب في الأمة لاستئناف الحياة الإسلامية مرة ثانية إلا أن الحزب اليوم هو، وبعون الله وحده، أقرب ما يكون لقطف ثمار هذه المسيرة الطويلة من العمل بجد وبإخلاص لإعلاء كلمة الله. وإنه إن كانت نصرة الحزب من أهل القوة في الأمة قد تأخرت، فالمانع اليوم من استجابة أهل النصرة للعمل مع الحزب لإقامة الخلافة قد زال أو هو في طريقه إلى الزوال، وذلك لما يلي:

١ـ الأمة الإسلامية أصبحت أكثر وعياً على إسلامها

لقد مرت على الأمة الإسلامية فترة من الانحطاط، كانت فيها الأمة غثاء كغثاء السيل، تنساق وراء كل ناعق وكل متشدق يقدم لها أفكاراً ونظريات تخالف وبشكل واضح لا لبس فيه ما تحمله الأمة من عقائد وأفكار، تنساق وراءه وهي تظن أنه يحمل لها الترياق الشافي فإذا هو السم الزعاف. واليوم ها نحن نرى المسلمين يعودون إلى دينهم يتمسكون به، ويعضون عليه بالنواجذ، مفتخرين بدينهم الحق، لافظين أصحاب هذه الأفكار العفنة -كالقومية والوطنية والاشتراكية والديمقراطية- لفظ النواة، وهم ضيوف غير مرحب بهم في الندوات وبرامج الإذاعة والتلفاز. وكثير منهم قد غير جلده مسايرةً للواقع الجديد الذي بدأ يفرض نفسه، فالإسلام هو الذي تتحرك له القلوب والمشاعر، والعالم اليوم «لم يبقَ فيه بيت إلا وفيه ذكر الإسلام». وها نحن نرى أميركا اليوم تحاول امتطاء الحركات الإسلامية المسماة «المعتدلة» لإيصالها إلى الحكم في بلاد المسلمين لتقطع الطريق «واهمة» على الحركات الإسلامية المخلصة.

٢ـ الأمة اليوم تريد الخلافة

عندما سقطت الخلافة سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م، لم تتحرك الأمة التحرك الذي كان يجب عليها أن تتحركه إزاء قضية مصيرية يجب أن يتخذ حيالها إجراء الحياة أو الموت،

بل أكثر من ذلك وقع عدد كبير من المسلمين في أحابيل الكفار فانساقوا وراء الشريف حسين الذي قاتل الدولة العثمانية، وسعى إلى إسقاطها خدمة للكفار. وسكتوا عن مجرم العصر مصطفى كمال عندما ألغى الخلافة وأعلن الجمهورية، وكان واجباً عليهم وقتئذ حمل السلاح في وجهه. ولم يقف الأمر عند سقوط دولة يجب السعي لإعادتها مرة ثانية، بل حصلت عملية تضليل منظمة قامت بها حفنة من المضبوعين بالغرب وثقافته، جعلت فكرة الخلافة فكرة مشوهة في أذهان المسلمين، حتى وصل الأمر لدرجة أن وجد في الأمة من ينكر أن الإسلام يملك أصلاً نظاماً للحكم، وعندما تأسس حزب التحرير، ونادى بعودة الخلافة، كانت الأمة في وادٍ والحزب في وادٍ آخر، فإذا الأمة اليوم بعد هذا المجهود المضني الذي بذله الحزب، وبعون الله وحده، تدرك معنى أن تكون أمةً واحدةً من دون الناس، وأنه لا حياة لها ولا أمن ولا عزة ولا كرامة بدون أن تعود لها دولتها الخلافة التي كانت الدرع الواقي الذي وقاها من الفرقة والتشرذم، وحفظ لها بيضتها ودفع عنها شر أعدائها مدة ثلاثة عشرة قرناً. أصبحت الأمة اليوم تتوق لليوم الذي يعزها الله فيه براية الخلافة لتتخذ المكانة اللائقة بها والتي اختارها لها رب العالمين ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران ١١٠] والأمة اليوم مستعدة لدفع ثمن عزتها وكرامتها بل هي من الآن تدفع هذا الثمن، في فلسطين والعراق وأفغانستان وأوزبكستان.. فالأمة الإسلامية أمة الجهاد والشهادة والتضحية في سبيل الله، لم يأتِ في التاريخ أمة مثلها في البذل والعطاء والإيثار والتضحية، وهي بعد قيام الدولة إن شاء الله ستكون أكثر بذلاً وعطاءً وإيثاراً.

٣ـ الأمة اليوم تريد الوحدة

لقد حاول شياطين الإنس من حكام هذه الأمة أن يصرفوها عن التطلع للوحدة على أساس الإسلام، ولم يكن أمامهم سوى رفع شعار الوطنية الضيقة. وعلى مدار أكثر من ثمانين عاماً لم يستطع هذا الشعار أن يصرف الأمة عن إدراكها أنها أمة واحدة فرقت بينها اتفاقية سايكس بيكو وظلت شعارات «مصر للمصريين» و«الأردن أولاً» وأمثالهما مجرد شعارات فارغة. ولو لم تكن الأمة مكبلة من قبل حكامها لتحركت لإزالة هذه الحدود التي تفصل بين شعوبها. وهي تنتظر اليوم الذي يتقدم المخلصون فيها لإعادة وحدتها في دولة الخلافة. قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران ١٠٣] وقال ﷺ: «**من جاءكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه**» (مسلم).

٤ـ الأمة اليوم تعرف أعداءها:

مرت فترة على الأمة كانت تنظر للغرب نظرة إكبار واحترام وترى فيه المثل الذي

يجب أن تحذوه حتى تنهض وتلحق بركب الحضارة، فأقبلت على ثقافته تنهل منها وعلى مفكريه تتخذهم قدوةً ومثالاً، ولم تكن الأمة وقتها مدركة أنها مخدوعة. أما اليوم فقد ازداد وعي المسلمين على حضارتهم ودينهم وازداد احتقارهم لما سواه، وأدركوا أن الغرب هو عدوهم الحقيقي، أدركوا مدى انحطاط الغرب الفكري وفساده الخلقي. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد ١٢]. نعم لقد أدركت الأمة عدوها عندما رأت تكالب دول الكفر قاطبة على نهب خيراتها وثرواتها، وعلى قتل وتشريد أبنائها، وعلى احتلال أراضيها... أدركت الأمة عدوها وأدركت خسة وعمالة حكامها الذين أذاقوها لباس الخوف والجوع خدمة لأسيادهم الكفار. ولذلك فإن الأمة اليوم تختلف اختلافاً جذرياً عما كانت عليه منذ أكثر من خمسين عاماً. وها هي تخوض مع عدوها الحقيقي حرباً شرسة على كافة الصعد سواء الفكرية أم العقدية أم العسكرية.

٥ـ أميركا اليوم في مأزق

أميركا هي الغول أو المارد الذي يخشى منه الكثير سواء من الأمة أم من أهل القوة فيها، ويعتبرونها حجر عثرة يقف حائلاً بينها وبين إعلان إقامة الخلافة، وأنها ستقضي على الدولة الإسلامية من اللحظات الأولى وقد كانت تلك الخشية كبيرة جداً في السابق، إلا أنها اليوم بدأت تزول شيئاً فشيئاً بعد أن رأينا أنف أميركا يمرغ في التراب في العراق وأفغانستان. والذي يجب أن يدركه المسلمون والناس قاطبةً أن الأمة الإسلامية حتى اليوم لم تخض معركةً حقيقيةً مع أميركا لا على الصعيد العسكري، ولا حتى على الصعيد الفكري، وأن الحاصل اليوم هو مجرد مناوشات هنا وهناك. وبرغم أنها مجرد مناوشات إلا أن هزيمة أميركا فيها واضحة لمن ألقى السمع وهو شهيد. فالخلافة عندما ستقوم، ستقود المعركة الحقيقية ضد أميركا، وستدرك أميركا وقتها أن كل ما ذاقته خلال السنوات السابقة لم يكن سوى مجرد نزهة. يومها سيكون الصراع مع دولة بحجم دولة الخلافة وليس مع أفراد أو جماعات في الأمة، ستفكر أميركا ألف مرة قبل أن تخوض صراعاً مع دولة الخلافة. لقد كشّرت أميركا عن أنيابها وكشفت عن وجهها القبيح في غوانتانامو وأبو غريب؛ لذلك فإن الأمة اليوم تعرف أن أميركا لم تكن ولن تكون في يوم من الأيام إلا عدوة لها. وإنها أكثر الدول في التاريخ كذباً وتدجيلاً، وأن ما تتشدق به من حقوق الإنسان والديمقراطية والحرية إن هي إلا أقوال فارغة لا تحمل أي مضمون، وهي مجرد خدعة تريد أن تمرر من خلالها مشاريعها الاستعمارية في بلادنا. ولذلك فإن على أهل النصرة قبل غيرهم أن يدركوا أن لنا طاقة بأميركا وجنودها، ولينظروا بأم

العين إلى الفلوجة والرمادي... وإلى ما يجري في فلسطين ولبنان ليعرفوا من هي أميركا و(إسرائيل) ومن هم المسلمون... من هم أولياء الشيطان ومن هم أولياء الرحمن، ليتعلموا أن «جندنا هم الغالبون».

٦ـ سقوط الحكام في نظر الأمة

لقد مرت على الأمة الإسلامية فترة انساقت فيها وراء زعامات مضللة فصدقت أكاذيبهم وتضليلاتهم، ولم تدرك الأمة حينذاك أن هؤلاء الحكام أعداء لها ولدينها، وليسوا من جنسها، وأنهم كذابون مخادعون أوصلوا الأمة إلى حالة الضعف والذل والهوان التي هي عليها الآن.

لقد استطاع هؤلاء الطواغيت العملاء الخونة إخفاء حقيقتهم وراء خطبهم الرنانة ومواقفهم الزائفة، لكن الله قيد للأمة هذه الفئة المؤمنة التي عملت على كشف زيفهم وزيف شعاراتهم وأسسهم الفكرية ولم يستطيعوا -الحكام- بكل جبروتهم أن يخنقوا صوت هذه الفئة المؤمنة بربها. واليوم، والحمد لله، لا يوجد في طول البلاد وعرضها هذا الحاكم - الزعيم الذي يستطيع ن يضلل الأمة مرة أخرى. فقد انكشفت عمالتهم بشكل فاقع وباتت رائحتهم تزكم الأنوف، وذلك بأنهم رضوا أن يكونوا في الأذلين طائعين لأسيادهم وأوثانهم التي رضوا أن يعبدوها من دون الله. والأمة تنظر إليهم لترى فيهم أي نخوة وهم يرون دماء الأمة تسيل بأيدي أبناء القردة والخنازير في فلسطين، وبأيدي الصليبيين في العراق وأفغانستان، فلا تراهم إلا صماً بكماً عمياً لا يحركون ساكناً، بل أكثر من ذلك تراهم يشاركون أعداء الأمة في ذبح المسلمين، متكالبين على الصلح مع دولة يهود، مفرطين في مصالح الأمة خدمة لأسيادهم من دول الكفر التي رمت المسلمين عن قوس واحدة.

لذا فإن الأمة قد نبذت هؤلاء خلف ظهرها ولم تلتفت إليهم، وهي تنظر بشوق إلى من يتقدم ليأخذ بيدها ليسقط هؤلاء الحكام ويقيم دولة الإسلام. تنظر بشوق إلى هذا الحزب المبدئي الذي تعطيه قيادتها، ولا حزب مرشح لنيل هذا الشرف سوى حزب التحرير الذي ضرب أروع الأمثلة في الثبات على الحق وعدم الحيد عنه قيد أنملة برغم ما تعرض له طوال خمسين سنة من حملات التشويه والتضليل، وما تعرض له شبابه من اعتقال وتعذيب واستشهاد. ولم يزد الحزب هذا الابتلاء إلا تمسكاً بما هو عليه من الحق، ولم يزد شبابه إلا ثباتاً على ثبات، وعزماً على المضي في هذا الطريق، حتى يأتي الله بالنصر من عنده. ولا شك أن ثقة الأمة في الحزب التي تزداد يوماً بعد يوم سيتبعها إن شاء الله ثقة أهل النصرة بقدرة الحزب على قيادة الأمة إلى طريق النجاة ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾[٤-٥] وعلى الله قصد السبيل ❑

فكرة الحكم الإسلام تتوطد عراها بين المسلمين

نشرت «مؤسسة مناهَضة الحرب» في ٢٣/٦/٢٠٠٦ بقلم باتريك بوشانان مقالة قصيرة بعنوان «فكرة آن أوانها» تتكلم عن أن عملية إحياء للإسلام تجري اليوم، وأن فكرة الحكم الإسلامي تتوطد عراها بين المسلمين بالرغم من مقاومة الغرب الشديدة... ويدعو أميركا إلى انتهاج سياسة جديدة في تعاملها مع المسلمين. ومما جاء في المقال:

في عام ١٩٣٨م، أنشلوص وميونيخ، نظر كاثوليكي بريطاني نبيه إلى ما وراء القارة التي غطتها سحب الحرب، وشاهد سحابة أخرى تتكون.

كتب هيلاري بيلوك: «لقد بدا لي دوماً.. إمكانية أن يكون هنالك إحياء للإسلام، وأن أبناءنا وأحفادنا سيشهدون تجدد الصراع الهائل بين الثقافة المسيحية وما كان لأكثر من ألف عام منافسها الأكبر».

لقد كان بيلوك متنبئاً، فبينما تبدو المسيحية وكأنها في حالة موت في أوروبا، فإن الإسلام ينهض ليزلزل القرن الواحد والعشرين، كما فعل قبل عدة قرون سابقة.

فعلاً، عندما نشاهد القوات المسلحة الأميركية، وهي تحارب السنة الثائرة على السلطة والمجاهدين الشيعة والجهاديين في العراق، وطالبان الخارجة على القانون، وهم يبتهلون إلى الله، تعود إلى أذهاننا كلمات فيكتور هيغو: «إن قوة أي جيش لا تضاهي انبعاث فكرة آن أوانها».

إن الفكرة التي يعاديها كثير من المناوئين هي فكرة تفرض نفسها، فهم يعتقدون أن هنالك إلهاً واحداً هو (الله) وأن (محمداً) رسول الله، وأن الإسلام أو الخضوع للقرآن هو الطريق الوحيد إلى الجنة. وأن المجتمع الرباني يجب أن يحكم بواسطة الشريعة أي قانون الإسلام. وبعد اختبار طرق أخرى أدت إلى الفشل، فقد عادوا مجدداً إلى موطن الإسلام.

فما هي الفكرة التي علينا تقديمها؟ يعتقد الأميركان أن الحرية توافق كرامة الإنسان، وأن نظام السوق الحر الديمقراطي هو وحده القادر على تأمين الحياة الكريمة للجميع كما فعل في الغرب وكما يفعل الآن في آسيا.

منذ عهد أتاتورك وحتى الآن تبنى الملايين من المسلمين هذا البديل الغربي، ولكن عشرات الملايين من المسلمين يبدون وكأنهم باتوا يرفضون هذا البديل الآن، وبدأوا يعودون إلى جذورهم بإسلام أكثر نقاءً.

إن جَلَد الإيمان الإسلامي مدهشٌ حقاً.

لقد بقي الإسلام على قيد الحياة، رغم مضي قرنين على الهزيمة والذل الذي أصاب

(التتمة ص١٣٠)

الخلافة هاجس العالم: الصديق والعدو!

لقد أصبحت (الخلافة) حدثاً ساخناً يتناوله ليس فقط أصحابها وأصدقاؤها بل كذلك أعداؤها! وهذا مقال نشرته مؤسسة مرصد العلوم المسيحي - قسم العالم - الشرق الأوسط، في ١٠ أيار/ مايو ٢٠٠٦

بعنوان **(الخلافة: أمة واحدة، قوامها مليار ونصف مليار مسلم تعبد الله)**

بقلم: جيمز براندون/مراسل مؤسسة مرصد العلوم المسيحي

(الخبر مترجم عن اللغة الإنجليزية)

و«الوعي» تنشر بعض ما جاء فيه لإطلاع قرائها على كون الخلافة أصبحت هاجساً عالمياً سواء أكان تأييداً أم حقداً:

صراع الأفكار: ناشط من حزب التحرير يقوم بتوزيع المنشورات في باكستان عام ٢٠٠٥. في حين أن إسلام أباد حظرت الحزب عام ٢٠٠٣.

ثلاثة رجال في متوسط العمر يجلسون في مطعم هندي في عاصمة الأردن، ولا يكاد يبدو عليهم أنهم ثوار إسلاميون، بينما يشتركون في إعادة تخطيط العالم الإسلامي.

يقول أبو عبد الله (عضو ذو درجة عليا في حزب التحرير): «بوش يقول: إننا نريد استعباد الناس وكبح حرية الكلام عندهم. إلا أننا نسعى لتحرير الناس كافة من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد».

يقول حزب التحرير بأنه يترتب على المسلمين القضاء على الحدود القومية داخل العالم الإسلامي، والعودة إلى دولة إسلامية واحدة تعرف بـ"الخلافة"، والتي ستمتد من إندونيسيا وحتى المغرب وتضم أكثر من مليار ونصف المليار مسلم.

إنها فكرة بسيطة ومُثيرة، ويعتقد المحللون أن هذه الجماعة سوف تنافس الحركات الإسلامية الموجودة، وتتمكن من القضاء على حكام شعوب الشرق الأوسط، وتقلل من شأن هؤلاء الذين يسعون إلى مصالحة الديمقراطية مع الإسلام، والذين يسعون لبناء جسور بين الشرق

والغرب.

تقول زينو باران، الشخصية ذات الرتبة العالية في مؤسسة هدسون (**HUDSON**) والخبيرة الرائدة في شؤون حزب التحرير: «قبل عدة سنوات، كان الناس يسخرون منهم عندما ينادون بالخلافة" وتضيف قائلة: "أما الآن فقد انتشرت الدعوة للخلافة».

يقول ستيفن أُلف وهو شخص ذو رتبة رفيعة في مؤسسة جيمز تاون: «إن الخلافة نقطة حشد بين الراديكاليين والمسلمين الأكثر اعتدالاً".

ولكن على عكس تنظيم القاعدة، فإن حزب التحرير يعتقد أن بإمكانه إعادة إقامة الخلافة بالطرق السلمية. حيث يهدف الناشطون في الحزب إلى إقناع القادة السياسيين والعسكريين المسلمين أن إعادة الخلافة من واجبهم الإسلامي. وفي حال استجابة هؤلاء القادة وتنفيذهم انقلاباً عسكرياً ناجحاً فسيدعون حزب التحرير لاستلام السلطة، وعندها يقوم الحزب بتكرار العملية في بلدان أخرى قبل توحيدها لتشكيل خلافة جديدة.

يقول عبد الله شقر الذي يتكلم الإنجليزية بطلاقة، وهو كبقية الرجال الثلاثة كان قد أمضى بعض الوقت في السجون الأردنية لعضويته في الحزب: «لقد نشرنا فكرنا بمخاطبة الناس مباشرة" وأضاف قائلاً: "لا يعنينا إذا ما كانت الحكومة تعلم بوجودنا...».

يَعِدُ حزب التحرير أن الخلافة ستقضي على الفساد وتؤدي إلى الازدهار. إلا أن الحزب لا يذكر كيف ذلك. يقول أتباع الحزب بأن الخلافة ستوحد المسلمين ويغزون الغرب في نهاية المطاف.

ويقول شقر، العضو الأردني في الحزب: "لدى العالم الإسلامي مصادر كالنفط، ولكنها تفتقر للقيادة التي تحكمه وفق القانون الإسلامي وتعلن الجهاد الذي يهابه العالم بأسره" ويضيف قائلاً: "إن نجاح الخلافة سيشجع أناساً أكثر للدخول في الإسلام، وبالتالي سيصبح العالم بأسره مسلماً".

القائد الجديد لحزب التحرير، هو أردني يدعى عطا أبو الرشتة، ويعيش في مكان سري في الشرق الأوسط.

ثم يضيف المراسل:

وتقول السيدة باران: «في أوروبا، يخبر -الحزب- المسلمين بأن عليهم إيجاد مجتمعات متوازية، وأن عليهم عدم اتباع القوانين الغربية»، وتضيف باران قائلة: «إذا حصل هذا فسيكون من المستحيل لأشخاص مثلي أن يجادلوا في إمكانية كون الإسلام ديمقراطياً».

ويختم المراسل بقوله: ويعتمد حزب التحرير استراتيجية مرحلية وطويلة الأمد، لتوسيع المناطق التي ستحكم بالإسلام.

ويقول أبو محمد الناشط في حزب التحرير: «الإسلام يفرض على المسلمين امتلاك القوة»، ويضيف قائلاً: «في البداية ستقوم الخلافة بتقوية نفسها من الداخل، ولن تبدأ بالجهاد مباشرة».

ويضيف أبو محمد -اسم مستعار لشخص غير معروف-: «إلا أننا بعد ذلك سوف نحمل الإسلام كدعوة فكرية إلى العالم كله، وسنجعل الناس المجاورين للخلافة يؤمنون بالإسلام، وإن رفضوا فسنطلب منهم الخضوع لأحكام الإسلام».

ومن ثم يقول: «أما إذا أصروا على الرفض بعد كل المباحثات والمناقشات فإن الملجأ الأخير سيكون إعلان الجهاد، لنشر تعاليم الإسلام وأحكامه». ثم يضيف مبتسماً: «سيكون هذا في سبيل مصلحة الناس كافة لإخراجهم من الظلمات إلى النور» ❑

المصدر: **http://www.csmonitor.com/2006/0510/p01s04_wome.html**

(تتمة ص١٢٧)

الإمبراطورية العثمانية والقضاء على الخلافة في عهد أتاتورك. كما تحمَّل الإسلام حكم الغرب لعدة أجيال.

لقد صمد الإسلام أمام حكم الملوك الموالين للغرب في مصر، العراق، ليبيا، أثيوبيا، وإيران. وبقي على قيد الحياة رغم الهزيمة المنكرة للجيش الناصري عام ١٩٦٧م، وأثبت الإسلام على أنه أكثر تحملاً من قومية عرفات أو صدام. والآن يقاوم الإسلام آخر أكبر قوة عظمى في العالم.

لقد كان وراء سبب كتابة هذه المقالة، تقرير مثير نشر في ٢٠ حزيران/ يونيو في الواشنطن تايمز بقلم جيمز براندون أدى إلى توجهنا نحو جبهة جديدة...

ثم يختم الكاتب مقالته بما يلي:

ما يتوجب على أميركا أن تدركه، هو شيء غير اعتيادي بالنسبة لنا: من المغرب إلى باكستان، لن تنظر لنا الأغلبية بعد الآن على أننا أشخاص طيبون.

إذا كان الحكم الإسلامي فكرة تتوطد عراها بين الجماهير المسلمة، فكيف باستطاعة أقوى الجيوش على الأرض أن توقفها؟ ألسنا بحاجة إلى سياسة جديدة؟ ❑

المصدر: **http://www.antiwar.com/pat/?articleid=9192**

فتى «التحرير»

د. أيمن أحمد رؤوف القادري

يـــا أيّهـــا السّـــاري بكـــلِّ رواقِ ... أَنفـــاً مـــن الأصـــفادِ والأطـــواقِ
يـا أيّهـا المتبصّـرُ، الماضـي، علـى ... لُجَـجِ المخـاطرِ، صـادقَ الأشـواقِ
بـالحَقِّ: يَصْـفَعُ خَـدَّ كفـرٍ جـائرٍ، ... بالهـدْيِ: في كُتُـبٍ، وفي ميثـاقِ
يـا عاشـقَ «التّحريـرِ» أنـتَ شـرارةٌ ... ضـاءتْ، فكانـتْ جـذْوةَ الإشـراقِ
في كتلـةٍ ضَـجَّتْ بِصَـرْخَةِ عِـزّةٍ ... أصـداؤُها بلغَـتْ مـدى الآفـاقِ
مـن ساحةِ الأقْصـى استطال نـداؤها ... ومضـت تَمُـدُّ شـواهقَ الأعنـاقِ
ومضـت تَمُـدُّ جـذورها تحـت الثّـرى ... حتّـى تكـون عصـيَّةَ الإزهـاقِ
في وجـه أمريكـا، ومـا جَمَعَـتْ لـه ... مـن أرخـصِ الأُمـراءِ، في الأسـواقِ
هـذي رُبـى الإسـلامِ تحضـنُ دَعْـوَتي ... وتَسِـيرُ نَحْـوَ النَّصْـرِ والإعْتَـاقِ

قلِّـدْ سـجونَ الظّـالمين تحـيّتي ... حيـثُ الأشـاوِسُ: إخـوتي ورفـاقي
سـخرُوا مـن الأصـفادِ، بـل هـم أخجلـوا ... قَلَـمَ المحقّـقِ، حامِـلِ الأَوْراقِ
يـا سـاحةَ الأبطـالِ فيـكِ هُـوِيَّتي ... أولسـتِ نصْـلَ الصّـارمِ الـبرّاقِ؟
في كـلِّ مُعْتَقَـلٍ هـديرٌ صـارخٌ: ... «لـن تَمْلكـوا رَدْعـي ولا إقلاقـي»
أكـرِمْ بهـا، مـن غضـبةٍ عمريّـةٍ ... تعلـو علـى كفـرٍ طغـى، وشـقاق
يـا واحـةَ القـرآنِ كـوني وثبـةً ... لـيْ، إنْ ضَـعفْتُ، وأوقـدي أعمـاقي
يـا نفـسُ عـارٌ صـمتُنا فتمـرَّدِي ... إن هـدَّدُوا الأفـواهَ بـالإغلاق
قـد فـارقَ الفتْيـانُ عشّـاقُ الهُـدى ... خـوفَ الـرّدى، فليَهْـوَ كـلُّ وثـاقِ!
فصـقورُ هـذا الحـزبِ هَـامُوا بـالأذى ... شـربُوا العـذابَ نِكايَـةً بالسّـاقي

أنـا مـنْكُمُ يـا فتْيـةَ الحَـقِّ الأُلى ... خَلَعُـوا مـن الأعمـاقِ كُـلَّ نفـاق
لا يُـدْرِكُ الأبـرارَ -مهمـا سُـوِومُوا- ... بالظـالمين مشـاعرُ الإشـفاق
فسنَقْصـفُ الطـاغوتَ حتّـى يرتمـيْ ... بَـيْنَ النُّفايـةِ في أحـطِّ زقـاقِ
بالصّـوتِ مـن ثَغْـري، وبالكلمـاتِ مـن ... قَلَمـي، أُبَـدِّدُ كُـلَّ بغْـيٍ بـاقي
أنـا إنْ سَـكتُّ فَمَـنْ سـواي يقـولُ: لا؟ ... مـن يَسْـلُبُ الحُكّـامَ نَـوْمَ مـآقي؟
سـأظَلُّ أُزْعِجُهُـمْ بقُـوّةِ مبـدئي ... وأدوسُ مـا كتبـوا، بفكـري الرّاقـي
إنّـي فتـى «التّحريـرِ»، هـل أدركـتُمُ ... مـا في انتمـائي مـن هَـوًى وعنـاق؟
أقسـمتُ بالجبّـارِ لسـتُ بهـانئٍ ... حتّـى أَجُـولَ ببيرقـي الخَفّـاق
وأرى علـوجَ الغَـرْبِ في عُمْـقِ الثـرى ... مـعَ أَقْـذَرِ الديـدانِ دونَ فِـراق

يـا دولـةَ القـرآنِ يـا أنشـودةً ... قطعـوا اللّسـانَ فباركـتْ إنطـاقي!
يـا دولـةَ الإسـلامِ هـا أنا قـادمٌ ... فإلـيَّ... نَخْـتِمُ صَـبْرَنَا بتَـلاقِـي ❑

اليهود أدمنوا على المجازر، والحكام على الخذلان، والمسلمون على التظاهر

- بعد كل مجزرة يرتكبها جيش الغدر اليهودي ضد النساء والأطفال المسلمين تعلو أصوات تقول: أين العرب؟ وهذا السؤال تكرر قوله في فلسطين والعراق ولبنان لعدة سنوات وفي عدة مناسبات، وكان الأصح التساؤل: أين المعتصم؟ لأن تعليق الآمال على الحكام سقط قبل سقوط فلسطين عام ١٩٤٨م ولا يزال بعض البسطاء يراهنون على الأموات.
- إن السؤال: أين العرب؟ هو سؤال خاطئ من زاوية أخرى بسبب عدم شمول السؤال الشطر الآخر من الأمة الإسلامية وهو: العجم، أو غير العجم، فهم مسؤولون أيضاً أمام الله وأمام الأمة، وينبغي القول: أين المسلمون؟ وليس أين العرب؟ فلماذا يتم تبرئة حكام تركيا وإيران وباكستان مثلاً من خيانة أمتهم في العراق ولبنان وفلسطين.
- لقد انتقل بعض حكام العرب من مرحلة الاستنكار والشجب إلى مرحلة متقدمة أخرى وهي إرسال طائرات محملة بالمساعدات ومستشفيات الميدان، وفي ذلك قمة الخداع والتضليل للناس؛ لأن المسألة ليست بهذه البساطة، فحينما يستهدف جزء من البلاد الإسلامية بعدوان يهلك الحرث والنسل لا يُردُّ عليه بالأدوية والطعام ولم يحصل مثل هذا الخداع طيلة التاريخ الإسلامي الناصع.
- حكامكم أدمنوا الذل والخذلان والصمت والعمالة ولم يعد لديهم أي شعور بالمسؤولية تجاه الناس، وتغييرهم هو العلاج الوحيد طال الزمن أو قصُر، فلماذا المكابرة والهروب من الدواء الوحيد الصحيح، ومن يأتمنهم على الأموال والأرواح هو كمن يأتمن الذئب على الغنم.
- أما عامة الناس فقد أدمنوا على التظاهر، وحرق الأعلام، وحمل اليافطات، منذ وعد بلفور المشؤوم تظاهروا عند سقوط فلسطين، وحرب حزيران، والعدوان الثلاثي، واجتياح لبنان عام ١٩٨٢م، وانتفاضة فلسطين، وسقوط بغداد، واحتلال أفغانستان، وكل ما رافق ذلك من مجازر، حتى إن مسؤولاً لتنظيم إسلامي كبير ظهر مؤخراً على الشاشة الصغيرة يتباكى على منع النظام الحاكم لتنظيمه من تسيير مظاهرة مليونية!
- هل المظاهرة هي الحل في مثل هذه الظروف المصيرية؟! ❑